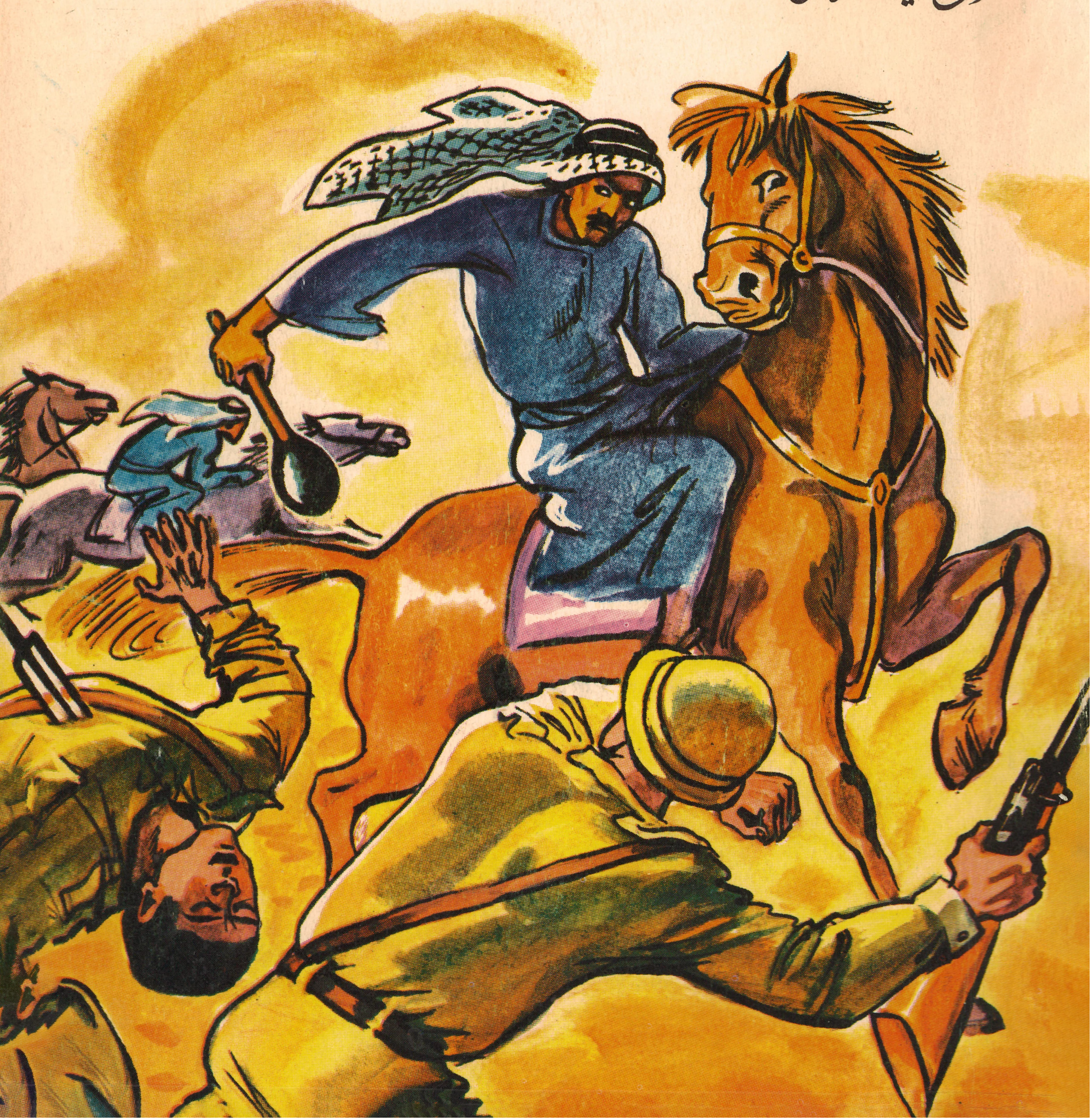
ل . ن . كوتلوف

ثورة العشرين
الوطنية التحررية في العراق

ترجمة
الدكتور عبد الواحد كرم
كلية القانون والسياسة / جامعة بغداد



ثورة العشرين

وزارة الاعلام
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الكتب المترجمة
٨

ل . ن . كوتلوف

ثورة العشرين

الوطنية التحررية في العراق

ترجمة
الدكتور عبد الواحد كرم
كلية القانون والسياسة / جامعة بغداد

بغداد — ١٩٧١

مقدمة المترجم

يعتبر كتاب كوتلوف عن ثورة العشرين في العراق ، أهم ما أصدره المستشرقون السوفيت في هذا المجال • وهو يمتاز عن كل ما كتب عن هذه الثورة المجيدة ، بتحليل علمي للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، التي مهدت للثورة وكانت سببا في قيامها •

وقد اعتمد المؤلف في ذلك على وقائع تاريخية مهمة ، استقاها من عدد كبير من المصادر الروسية والعربية والانكليزية والالمانية والفرنسية•

على ان أهمية كتاب كوتلوف فيما أخذه على نفسه من مهمة صعبة ، تبدو بدراسة ونقد أهم ما كتب عن ثورة العشرين ، وهو بذلك قد ساهم في التعرف على تلك المصادر ، وتقييم كل منها بأسلوب علمي مجرّد •

كما ان كوتلوف في عرضه لتأريخ العراق ، وحوادث الثورة ، قد اعتمد اسلوبا جديدا ، يضع الجماهير ـ خالقة التأريخ ـ في المكان الاول من تلك الحوادث • فهو يُعنى بدراسة أوضاعها ، وتقصي الحقائق عن مآثرها ونضالاتها ، ويبحث في دورها الطليعي في كل مرحلة من مراحل تاريخ العراق • ويرى ان جماهير الفلاحين والبدو وشغيلة المدن، هي التي أشعلت ثورة العشرين ، وتضورت بنارها ، وكانت عمادها وقوتها، بالرغم من ان قيادة الثورة كانت تتكون من شيوخ القبائل ، ورجال الدين والبرجوازية الوطنية •

وقد استخدم كوتلوف العدد الكبير من المصادر التي اعتمدها ، بمهارة فائقة • فهو عندما يستعرض حالة الجماهير الشعبية وأوضاعها المؤلمة في عهد الحكم التركي ، يعتمد بالاساس مصادر ووثائق روسية نادرة ، تعتبر منهلا جديدا لتأريخ العراق في تلك الفترة • وعندما يعالج الصراع الانكلو الماني للاستحواذ على العراق ، قبل الحرب العالمية الاولى ، فانه يعتمد مصادر انكليزية وألمانية ، ذات اهمية بالغة في هذا المجال • أما في حوادث الثورة ، فقد اعتمد المصادر العربية والانكليزية ، بصورة عامة ، واستشهد بأقوال المسؤولين الانكليز ، والصحف البريطانية الصادرة في تلك الفترة ، للتعرف على قوة العدو ، ومدى الخسائر التي مني بها خلال الثورة •

وانتهى الكاتب من بحثه بخاتمة ضمّنها نتائج ثورة العشرين وأهميتها ، ليس فقط في النضال اللاحق للشعب العراقي ، وانما لموقعها بالنسبة للثورة العالمية ضد الاستعمار ، والاحتكارات الرأسمالية بصورة عامة •

لقد وقف كوتلوف ـ بخلاف معظم الكتاب الاجانب ـ مساندا الثورة ، ومدافعا عنها ، مؤكدا قدرة الشعب العراقي في قهر جيوش أقوى دولة استعمارية في ذلك الحين ، والانتصارات الرائعة التي حققها الثوار ، بالرغم من ضعف تدريبهم ، ورداءة تسليحهم ، بالنسبة للقوات الانكليزية النظامية المدربة أحسن تدريب ، والمجهزة باحدث عدة وعتاد ، مقيّما النتائج التي تمخضت عنها الثورة ، والملابسات التي صاحبتها في مختلف أدوارها •

وكان لا بد من نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ، ليضيف الى التراث

الثوري لشعبنا العراقي في مآثره الخالدة ، وليكون مورداً جديدا للمعنيين بتأريخ العراق الحديث •

لقد روعيت الدقة في نقل الحقائق والآراء التي تضمنها الكتاب ، الا انه حذفت بعض الفقرات التي لا تؤثر على سياق البحث •

ولا يسعنا الا أن نتقدم بأجزل الشكر للأخ الاستاذ عبدالجبـــار البصري ، الصديق الوفي ، لما بذله من جهـــد في سبيل مراجعة هـــذا الكتاب ، وابداء كثير من الملاحظات المفيدة بشأنه •

عبدالواحد كرم

مقدمة المؤلف

يولي المجتمع السوفيتي تاريخ الدول العربية اهتماما بالغا ، ويبدي مشاعر عميقة للنضال البطولي الذي تخوضه الشعوب العربية من اجل استقلالها الوطني .

وقد انبثقت الحركة الوطنية التحررية في دول الشرق العربي ، بشكل ظاهر ، بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . ففي العراق حدثت تغيرات جذرية ومهمة حيث كان هذا القطر حتى بداية الحرب العالمية الاولى ، جزءً من ممتلكات الامبراطورية العثمانية ، وأصبح بعد الحرب تحت الحماية البريطانية ، حتى اعترف باستقلاله الرسمي عام ١٩٣٢ .

وفي ظروف اشتداد أزمة النظام الرأسمالي ، وانحلال النظام الاستعماري ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وجدت الدول الاستعمارية نفسها مضطرة لتقديم بعض التنازلات أمام مطالب الشعب العراقي ، فقد زيدت حصة العراق من أرباح شركات النفط الاجنبية ، واستبدلت المعاهدة غير المتكافئة لعام ١٩٣٠ ، التي جعلت العراق تابعا لبريطانيا .

يحاول المستعمرون ان يثبتوا أن تاريخ العراق ، يؤكد ما تدعيه النظريات الاستعمارية عن الدور الحضاري للدول المستعمرة ، في علاقاتها

بشعوب البلدان المتأخرة* • كما يحاولون ان يظهروا ان استقلال العراق ما هو الا نتيجة لمساعدة العالم الرأسمالي ، وثمرة للتعاون الطويل مع انكلترا • الا ان الحقائق تشهد ، أن واقع هذا التعاون مع انكلترا ، و «المساعدة» من جانب الولايات المتحدة ، قد أديا ، ويؤديان باستمرار ، الى سيادة رأس المال الاجنبي على الاقتصاد الوطني ، وتوطيد سياسة ربط العراق بعجلة الاستعمار • كما ان الاتفاقيات والمعاهدات الدولية بين بريطانيا والولايات المتحدة من جهة ، وبين العراق من جهة اخرى ، قد أدت الى زيادة تبعية العراق لهذه الدول • وأهم هذه المعاهدات غير المتكافئة : المعاهدة العراقية ـ البريطانية ، لسنة ١٩٣٠ ، والاتفاقيات المعقودة بين العراق والولايات المتحدة ، ومساعدات برنامج النقطة الرابعة للرئيس ترومان • وأخيرا دخول العراق حلف بغداد ، الذي يعتبر موجها ضد الدول العربية والبشرية التقدمية جمعاء ، ولتعزيز تبعية دول الشرق الادنى للاستعمار ، واستغلال ثرواتها الطبيعية ، وسكانها في الاغراض الحربية •

ان هذه الدراسة تكشف عن مرحلة من أهم المراحل في تاريخ الحركة الوطنية التحررية في العراق الحديث ، وهي ثورة العشرين الجماهيرية الوطنية التحررية ، التي فتحت الطريق لنضال الجماهير الشعبية في العراق من اجل الاستقلال الوطني للبلاد • وتعتبر هذه الدراسة محاولة لاظهار الدوافع والاسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتلك

(*) لقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٨ ، قبيل ثورة الرابع عشر من تموز • لذا فان ما جاء فيه انما يعبر عن رأي الكاتب في تلك الفترة

ـ المترجم ـ

الثورة ، كما تسعى لتوضيح مركز القوى الطبقية في نضال الشعب العراقي من أجل التحرر الوطني ، وموقف الطبقات المختلفة ، والفئات الطبقيـــة للمجتمع العراقي اثناء الثورة • كما تعمل على تقييم نتائج الثورة ، وتحديد أهميتها ومكانها في التاريخ الحديث للبلاد •

وجدير بالذكر انه لم تصدر في الاتحاد السوفيتي ، قبل هذا التاريخ دراسة علمية تأريخية عن الثورة • ومع أن الكثير من الدراسات والبحوث المختلفة عن تأريخ العراق[1] ، قد أعارت أهمية كبيرة لثورة العشـــرين ، الا انها لم تعتمد تحليلا مفصلا للاحداث التي رافقتها •

كما يلاحظ ، ان المصادر الخاصة بتأريخ العراق في تلك الفترة ، قليلة جدا • وأهم المصادر العملية تلك الوثائق التي اصدرتها الســـلطات الاستعمارية البريطانية ، مثل « بحث في الادارة المدنية » لسنة ١٩٢٠ ، وتقارير الموظفين الانكليز في العراق الى مجلس عصبة الامم ••• ومـــا الى

١ ـ كالدجيان آ ـ المسألة الزراعية في العراق – في مجموعـــة بحـــوث : (المسألة الزراعية في الشرق) موسكو ١٩٣٣ • ليفين ي•د• ـ العراق (بلاد ما بين النهرين الحديثة) موسكو ١٩٣٧ • ،

دانتسيك ، ب•م• ـ العراق • عرض جغرافي موجز • موسكو ١٩٥٥ ،

كورسون ، ن•ك • ـ الشرق العربي • الجزء الاول ـ العـــراق موسكو ١٩٢٨ ،

بير شيمتس ، آ•ي ـ الحياة الاقتصادية للقبائل الرحل في العربية السعودية • مجلة « سوفيتسكايا ايتنو گرافيا » العدد (١) لسنة ١٩٥٢ • مقالات في مجموعة العلوم السوفيتية •

ذلك[٢] • على ان هذه الوثائق تتحدث بالتفصيل عن التاريخ الاقتصـادي للعراق ، ونشاط السلطات البريطانية في هذه البلاد ، ولكنها لا تتطـرق بعمق الى الحركة الوطنية التحررية لتلك الفترة ، ما عدا بعض التعليلات لظواهر الاحداث •

---

٢ – Great Britain. Civil Commissioner of Mesopotamia, Review of the Civil Administration of Mesopotamia Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty. London, 1920.

بريطانيا العظمى – المندوب السامي المدني لبريطانيـا العظمى في بـلاد الرافدين – عرض للادارة المدنية لبلاد الرافدين ، المقدم الى مجلس البرلمان بامر من صاحب الجلالة • لندن ١٩٢٠ •

Great Britain. Colonial Office. Report by His Britanic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period April 1923, December 1924, London 1925.

بريطانيا العظمى – دائرة المستعمرات – تقرير لحكومة جلالة الملك عن ادارة العراق للمدة من نيسان ١٢٣ حتى كانون اول ١٩٢٤ • لندن ١٩٢٥ •

Great Britain. Colcnial Office. Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the year 1925. London, 1926.

بريطانيا العظمى – دائرة المستعمرات – تقرير خاص لحكومة جلالة ملك بريطانيا الى مجلس عصبة الامم عن تقدم العراق لسـنة ١٩٢٥ • لنـدن ١٩٢٦ •

Great Britain. Colonial Office. Special report by His Majesty's Government in the Council of the League of Nations on the progress of Iraq curing the period 1920-131. London, 1931.

بريطانيا العظمى – دائرة المستـعمرات – تقرير خاص لحكومة جلال ملك بريطانيا الى مجلس عصبة الامم عن تقدم العراق خلال المدة ١٩٢٠–١٩٣١ لندن ١ ١٩٣١ •

Société des Natiors Mandats. Note du Gouvernment Britanique sur la situation pclitique on Mesopotamia depuis la 1 er octobre 1920. Geneva, 1921.

عصبة الامم • لجنة الوصاية • تقرير الحكومة البريطانية عن الوضـع السياسى فى بلاد الرافـدين منذ الاول مـن تشـرين الاول ١٩٢٠ •

وقد وضع المستعمرون الانكليز ، وكذلك قناصل كلٍّ من النمسا والمجر ، وبلجيكا وروسيا ، دراسات قيمة عن البناء الاجتماعي والاقتصادي للعراق قبل الاحتلال • الى جانب الصحافة البريطانية والامريكية التي تعتبر مصدرا عمليا غنيا عن الحالة السياسية في هذه البلاد(٣) •

كما أعارت وزارة الحربية البريطانية عناية خاصة لعمليات القوات البريطانية في العراق ، ورد الفعل الذي احدثته في الرأي العام البريطاني •

وجدير أن نشير الى ما تضمنته رسائل الجاسوسة البريطانية في العراق (جير ترود بيل) التي لم تنشر بعد(*) ، ومذكرات الاداريين الانكليز (هـ • يونج) و (ب توماس) و (هـ • ب • ديكسون) و (و • د • هيا) و (ت • لابيل) و (هـ • س • ج • فيلبي) وكذلك الدراسة المهمة التي وضعها المندوب السامي البريطاني السابق في العراق (ارنولد ويلسون ١٩١٧–١٩٢٠) في جزئين •

ومع اختلاف وجهات النظر التي انطوت عليها تلك المصادر ، الا انها احتوت على وثائق ثمينة ، بشأن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في العراق ، قبل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، وفي السنوات الاولى التي تلتها (خاصة بالنسبة لدراسات كل من ديكسون وويلسون) • وقد وصف

---

٣ ـ الصحف المستخدمة :

"The Times" (1918-1921), "Daily Herald" (1919-1920), "New York Times" (1920).

(*) ترجمها السيد جعفر الخياط واعدها للنشر (المترجم) •

أحداث الثورة الوطنية التحررية ، كذلك كتاب كانوا شهود عيان فيها[٤].

ويمكن اعتبار تقارير ومذكرات الرحالة الذين زاروا العراق ، من

---

(٤) Bell, G. L. The letters of Gertrude Bell, vol. I-II, London, 1927.

بيل ج٠ل٠ ـ رسائل جرترود بيل ـ الجزئين الاول والثاني ١٩٢٧

Wilson, A. T. Loyalties. Mesopotamia, 1915-1917. Apersonal and Historical Record. London, 1930.

ويلسون ، اي تي ـ الامانة ـ بلاد الرافدين ١٩١٥ ـ ١٩١٧ سجل شخصي وتاريخي ٠ لندن ١٩٣٠

Wilson, A. T. Mesopotamia 1917-1920. A clash of loyalties. Apersonal and Historical Record. London, 1931.

ويلسون ، اي ٠ تي ٠ تنازع الولاء في بلاد الرافدين ١٩١٧ ـ ١٩٢٠ سجل شخصي وتاريخي ٠ لندن ١٩٣١ ٠

Young, H. The Independent Arab. London, 1933.

يونج ٠ هـ ـ العرب المستقلون ، لندن ١٩٣٣

Thomas, B. Alarms and excursions in Arabia. London, 1931.

توماس ، بي ـ رعب ونزهات في البلاد العربية ، لندن ١٩٣١ ٠

Dickson, H. R. P. The Arab of the desert. A glimps into badawin life in Kuwait and Saudi Arabia. London, 1948.

ديكسون ، ايج آر ٠ پي ـ عرب الصحراء ٠لمحة عن الحياة البدوية في الكويت والعربية السعودية لندن ١٩٤٨ ٠

Hay, W. R. Two years in Kurdistan. Experiences of Political Officer, 1918-1920. London, 1921.

هاي ، دبليو ٠ آر ٠ سنتان في كردستان ٠ تجارب ضابط سياسي (١٩١٨ـ١٩٢٠) لندن ١٩٢١ ٠

Philby, H. St. J. Arabian days. An Autofiography. London, 1948.

فيلبي ، ايج ٠ سنت ٠ جي ٠ ـ الايام العربية ـ تاريخ حياة لندن ١٩٤٨ ٠

Philby, H. St. J. Apilgrim in Arabia, London, 1946.

فيلبي ٠ جي ٠ سنت ٠ ايج ـ رحلة في العربية ٠ لندن ١٩٤٦ ٠

Lyell, T. The Ins and Outs of Mesopotamia. London, 1923.

ليل ، تي ـ في داخل وخارج بلاد الرافدين ٠ لندن ١٩٢٣ ٠

المصادر القيمة لدراسة العلاقات الاجتماعية في فترة الاحتلال التركي للعراق • ونذكر بصورة خاصة دراسات الرحالة الروس : (جيريكوف ، ي• ي•) و (بينزرك) و (كارتسيف) و (شيلكوفنيكوف) ، وكذلك كبار المستشرقين في دول أوربا الغربية ، أمثال : (أ• زاخاو) و (م• اوبينكيم) و (أي• ب• سون) و (م• سايكس) •• وغيرهم(٥) •

---

٥ ـ شيلكوفنيكوف ، ب•ي ـ القوات العسكرية والمنطقة السادسة للوحدات التركية (ولايات بغداد والموصل والبصرة) • تقرير عن الفصول (١ ، ٢ ، ٣) تبليس ١٩٠٤

بينزنكر ـ رسالة كردستان • مجموعة وثائق جغرافية وطوبوغرافية واحصائية عن آسيا • ـ سانكت ـ بتربورغ ١٩١١

العقيد كارتسيف ـ نبذة عن الاكراد ـ رسائل فرع القفقاس للجمعية الروسية الامبراطورية الجغرافية ، الجزء التاسع عشر ، تبليس ١٨٩٧ •

جيركوف ، ي•اي•اي•• مجلة الرحلات ـ جيريكوف ،ي•اى ،المندوب الروسي الوسيط في مباحثات الحدود بين تركيا وبلاد فارس ١٨٤٩ ـ ١٨٥٢ سانكت ـ لتربورغ ١٨٧٥

Sachau, E. Am Euphrate und Tigris. Reisenotizen aus dem Winter 1897-1898. Leipzig, 1900.

ساخاو • اى • حول دجلة والرات • ملاحظات سائح في الشتاء ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨ • لايبزك ١٩٠٠ •

Sachau, E. Reise in Syrien und Mesopotamien. Leipzig, 1883.

ساخاو ، اى • رحلة فى سوريا وما بين النهرين • ليبزك ١٨٨٣ •

Oppenheim, M. Vom Mittelmeer zum Persischen Golf. B. I-II. Berlin, 1899-1900.

ابنهايم ، م ـ س البحر المتوسط الى الخليج الفارسى • جـ١ ، ١٢، برلين ١٨٩٩ ـ ١٩٠٠ •

Soan, E. B. To Mesopotamia and Kurdistan in disguise. London, 1926.

صون ، اي • بي • بلاد ـ بلاد الرافدين وكردستان في الخفاء • لندن ١٩٢٦

وبالرغم مما احتوته هذه الدراسات من نواقص ، خاصة في تحديد العلاقات الاجتماعية بين البدو والقبائل المتحضرة ، فأنها تعطي بعض الاستنتاجات العلمية المفيدة ، أضافة الى ما ذكرته المصادر العملية القيمة الاخرى .

أما المصادر العربية التي اعتمدتها دراستنا ، فهي قليلة جدا . وأهمها مخطوطات الامير اسماعيل جولا ، احد اعضاء اسرة الامراء اليزيديين ، التي تحتوي على معلومات قيمة عن البناء الاجتماعي والاقتصادي ل (جبل سنجار) والمناطق اليزيدية المجاورة للموصل(٦) .

ولم يكن بالامكان تلافي النقص في المصادر لروسية والغربية ، المتعلقة بهذا الموضوع . كما يلاحظ ان البحوث المختلفة الخاصة بتاريخ العراق ، لم تعط البناء الاجتماعي سوى أهمية ثانوية . وفي مقدمة هذه البحوث الدراسة التي تقدمت بها دورين ووريتر(٧) ، التي اعتمدت على موقف برجوازي شخصي في تحليلها للعلاقات القانونية في القرية العراقية ، والمصادر المتعلقة باقتصاديات العراق في بداية القرن العشرين ،

Sykes, M. The Calip ıs' last heritage. A short history of the Turkish Empire. Londor., 1915.

سايكس ، ام . ـ التركة الاخيرة للخليفة ، موجز تاريخ الامبراطورية التركية ، لندن ١٩١٥ .

Blunt, A. Apilrimage to Nejd, the cradle of the Arab race. A visit to the court of the Arab Emir "our Persian Campaigne" vol. I-II. London, 1881.

بلنت ، اي رحلة الى نجد ، مهد الجنس العربي ، زيارة الى أمير عربي و « حملتنا الايرانية » الجزئين الاول والثاني لندن ١٨٨١ .

٦ ـ اسماعيل جول ـ اليزيدية ـ قديما وحديثا ـ بيروت ١٩٣٧

٧ ـ

Warriner, D. Land and Poverty in the Middle East. London, 1948.

ووريتر ، دي . الارض والفقر في الشرق الاوسط . لندن ١٩٤٨ .

التي تحتويها بحوث كل من هاشم جواد ، وجعفر الخياط[8] • ويجمع هؤلاء الكتاب على تأكيد الموقف البرجوازي الاصلاحي ، الذي يرى امكانية اعادة بناء المجتمع العراقي على أساس الاصلاح •

وتكتسب أهمية خاصة ، تلك الدراسة التي وضعها القنصل الروسي في البصرة (أ• ادموف) في بداية القرن العشرين ، وهي تعتمد على تحليل موضوعي للواقع العراقي آنذاك[9] ، وتتميز عما كتبه الباحثون في الغرب ، بانها بحثت بالتفصيل أزمة الصناعات الحرفية في العراق ، نتيجة لتسرب رأس المال الاجنبي •

ويلاحظ ان مؤلفات كتاب غربي أوربا وامريكا التي تتطرق الى التاريخ السياسي للعراق ، في أوائل العشرينات من هذا القرن ، تعتبر أوسع بكثير من تلك التي تبحث في القضايا الاقتصادية في تلك الحقبة • على أن ما وضعه هؤلاء في التاريخ السياسي للعراق ، انما يتصف بالواقعية بشكل رئيس • وأهم المؤلفات التي تبحث في حوادث السنوات التي تلت الحرب العالمية الاولى ، هي دراسات المؤرخ الامريكي (ايرلاند ، ف • و)[10] ، التي تتميز بانها اعتمدت على مصادر واسعة ، بما في ذلك

---

٨ —
Jawad, H. The social structure of Iraq. Jerusalem, 1945.
جواد ، اي — التكوين الاجتماعي في العراق ، القدس ١٩٤٥.
جعفر خياط — القرية العراقية • موسكو ١٩٥٣ (باللغة الروسية)

٩ — آدموف ، أ — العراق العربي — ولاية البصرة في ماضيها سانكت — بتربورغ ١٩١٢ •

١٠— Ireland, P. W. Iraq. A Study in Political Development. London, 1937.
ايرلاند ، بي • دبليون • — العراق • دراسة في التطور السياسي • لندن ١٩٣٧ •

السجلات الخاصة،ومجموعات الوثائق التي اصدرتها السلطات الاستعمارية البريطانية • على ان ايرلند ، لم يستطع اعطاء تحليل موضوعي للحالة السياسية ، ولدوافع النضال التحرري ، بسبب موقفه البرجوازي المستقل• فهو على سبيل المثال في تحليله لاسباب الحركة الوطنية في العراق ، يرى انها تعود بالاساس الى أفعال بعض الاداريين الانكليز ـ خاصة المندوب السامي أرنولد ويلسون ـ وليس نتيجة للسياسة الاستعمارية للمحتلين الانكليز[١١] • ومن الاستنتاجات التي توصل اليها ايرلند هي الزعم بحدوث « نجاحات لا مثيل لها في العراق خلال السلطة البريطانية[١٢] • كما يعتقد ان الحركة الوطنية في العراق ، بما فيها ثورة العشرين ، انما هي رد فعل للنشاط الحضاري الذي قامت به السلطات البريطانية[١٣] •

ان أهم نواقص المصادر الرسمية ، انها تتحدث قليلا أو بصورة نادرة عن نشاط الجماعات اليسارية في الحركة الوطنيه ، بالرغم من حرصها على سرد تاريخ الفئات الوطنية اليمينية ، بما فيها جمعية العهد العراقي ، وابراز الاتجاهات الفكرية التي تبنتها •

أما كتاب المؤرخ الامريكي (فوستر ، هـ) ، فانه يعتمد الى حد كبير

---

١١ ـ المصدر السابق ، ص ٢١٩

١٢ ـ ايضا ، ص ٤٥٠

١٣ ـ ايضا ، ص ١٩٥ ، ٢٧٥ ، ٤٢٤

على دراسة ايرلند كمصدر عملي[١٤] • ويحاول فوستر أن يبرهن على ان أحداث العراق في تلك الفترة ، قد أظهرت انتصار الافكار الجديدة التـي أعلن عنها الرئيس الامريكي ويلسون ، والتي سعت السياسة الاستعمارية الى تثبيتها • كما يرى ان حاملي هذه الافكار في العراق هم العهديون ، وأنصار الامير فيصل ، وغيرهم من ممثلي الاتجاهات اليمينية في الحـــركة الوطنية • ويؤخذ على هذا المؤرخ ، انه تطرق بصورة عاجلة الى ثورة العشرين ، ذلك الحدث العظيم في تاريخ العراق • اذ لم تكن هذه الثورة ـ في تقديره ـ سوى « رد فعل » لتذمر الرجعية في الشرق من الحضارة الغربيـة » •

وبنفس الشاكلة جاءت دراسات الكتاب الانكليز : (لودير ، ج) و (مين ، ي) (كوك ، ر) •• وغيرهم[١٥] •

---

١٤ ـ Foster, H. The Making of the Modern Iraq, Norman, 1935.

فورستر ، ايج ، نشأة العراق الحديث • نورمان ١٩٣٥ •

Loder, J. de V. The Truth About Mesopotamia, Palestine and Syria. London, 1923.

لودير ، جي • دي ڤي ـ الحقيقة عن بلاد الرافدين وفلسطين وســوريا لندن ١٩٢٣ •

Main, E. Iraq From Mandate to Independence. London, 1935.

مين ، اي • ـ العراق من الانتداب الى الاستقلال • لندن ١٩٣٥ •

Coke, R. Baghdad, The City of the Peace. London, 1927.

كوك آر ـ بغداد مدينة السلام • لندن ١٩٢٧

Coke, R. The Heart of the Middle East. London, 1925.

كوك ، آر ـ قلب الشرق الاوسط • لندن ١٩٢٥

١٥ ـ Antonius, G. The Arab Awakening. The Story of the Arab National Movement. London, 1938.

انطونيوس ، ج • نهضة العرب • قصة الحركة الوطنية العربية • لندن ١٩٣٨ •

ومن المصادر الشاملة في تأريخ الحركة الوطنية في العالم العربي ، ما كتبه المؤلف الانكليزي (جورج انطونيوس) الذي ينحدر الى أصل لبناني • وهو يشبه في اسلوبه ما كتبه الكتاب الغربيون ، كما انه استند الى كتاب ايرلاند وأعاد أغلب آرائه ، عندما تطرق لاحداث العراق •

أما الموظف البريطاني (لونكريك ، س • هـ)[١٦] الذي خدم في العراق ، خلال الثورة ، فقد اصدر دراسة بعنوان « العراق منذ ١٩٠٠ حتى ١٩٥٠ » ، اعتمدت عددا كبيرا من المصادر التركية ، والانكليزية ، بالاضافة الى مصادر الحكومة العراقية ، وبحوث الاوربيين والامريكان والكتاب العرب في هذا المجال • وفي رأي الكاتب ، انه بالرغم من اخطاء السلطات البريطانية في العراق ، فانها أدت الى تقدم كبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد • وطبيعي ان لونكريك يتبنى نظرة سلبية للثورة الشعبية الموجهة ضد الاستعمار البريطاني • وقد عرف ثورة العشرين بأنها: تمرد القبائل التي وقفت ضد تأسيس حكومة وطنية عراقية[١٧] ، ويعزو أسباب الثورة الى تناقضات دينية حادة بين انكلترا المسيحية والعراق المسلم ، والى الفوارق بين التقاليد والعادات الانكليزية والعراقية ، وجهل الضباط الانكليز للغة العربية ••• الخ[١٨] •

ويلاحظ في دراسات المؤرخين الاوربيين الغربيين والامريكان ، انها لا تتضمن توضيحا كافيا ومتكاملا للحركة الوطنية في العراق ، في الفترة

---

١٦ – Longrigg, S. H. Iraq, 1900 to 1950. A Political, Social and Economic History. London etc., 1953.

لونكريك ، أس ، اج – العراق ١٩٠٠ الى ١٩٥٠ • التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي • لندن ١٩٥٣ •

١٧ – المصدر السابق ، ص ١١٢ ، ١٢٣

١٨ – ايضا ، ص ١١٣ ، ١١٦

ما بين ١٩١٨–١٩٢٠ • كما ان هذه الدراسات لا تبرز بشكل أو بآخر ، تاريخ النضال التحرري للشعب العراقي ، نظرا لقلتها ، وللاتجاهات التي تتبناها • مع ان ذلك يكتسب أهمية خاصة في دراسات العلماء والناشرين العرب ، بمن فيهم من العراقيين •

ويلاحظ ان دراسة المؤرخ المصري المعروف (أمين سعيد) ، بعنوان « الثورة العربية الكبرى »[١٩] ، قد أولت عناية كبيرة ، للحركة الوطنية التحررية في العراق بعد الحرب العالمية الاولى ، خاصة منها ثورة العشرين • الا ان الكاتب لم يستطع اعطاء اي تعليل او تفسير مقنع للحقائق الواردة في مؤلفه • ونحن بدورنا لا نتفق مع أمين سعيد في آرائه السياسية ، التي تمتدح الفئات اليمينية للحركة الوطنية ، بالاضافة الى ان بحثه يحتوي على أخطاء موضوعية ، وعرض غير دقيق للوثائق التي اعتمدها ، مع عدم الاشارة الى المصادر التي تتضمن تلك الوثائق أو الحقائق • الا ان ذلك كله لا يقلل من اهمية الكتاب ، وما تضمنه من وثائق غنية عن الحركة التحررية ، خاصة منها برامج الجمعيات السياسية السرية في العراق ، والفئات السياسية اليسارية ونشاطاتها ، التي تعتبر ذات اهمية خاصة •

كما ان دراسات البحاثة العراقي (عبدالرزاق الحسني) ، تتطرق الى هذه المسألة ، بشكل واف ، وخاصة في كتابه «الثورة العربية الكبرى»[٢٠] • وتمتاز هذه الدراسة عما كتبه أمين سعيد ، بما تضمنته من وقائع ثابتة ،

---

١٩ – أمين سعيد • الثورة العربية الكبرى • القاهرة ••• (ج ١ –)

عبدالرزاق الحسني – تاريخ الوزارات العراقية م ١–٢ • صيدا ١٩٣٣ – ١٩٣٤ •

٢٠ – عبدالرزاق الحسني – العراق في دوري الاحتلال والانتداب (صيدا ١٩٣٥) •

واستعمال دقيق للوثائق والحقائق ، مع ذكر مصدرها •

أما كتاب المؤرخ (محمد طاهر العمري الموصلي) الذي عنوانه «تاريخ مقدرات العراق السياسية»[1] ، فانه يتضمن بالاضافة الى ما ذكره أمين سعيد وعبدالرزاق الحسني في مؤلفيهما ، عرضا مفصلا وقيما عن النضال الوطني التحرري في مدينة الموصل وولايتها • ومع أن هذا الكاتب قد أعطى اهمية كبيرة لنشاط الفرع الموصلي للمنظمة الوطنية اليمينيّة « العهد العراقي » ، فانه لم يتطرق ـ الى حد ما ـ الى الانتفاضات الجماهيرية ، مما يقلل من قيمة تلك الدراسة الى حد كبير •

---

١ ـ محمد طاهر العمري الموصلي • تأريخ مقدرات العراق السياسية • م١و٣ • بغداد ١٩٣٥ •

الفصل الأول

البناء الاجتماعي والاقتصادي للعراق في اوائل القرن العشرين

يملك العراق امكانيات واسعة في جميع حقول التنمية الاقتصادية[1] • فالظروف المناخية ، وطبيعة التربة ، ملائمة جدا لزراعة محاصيل لا حصر لهـا ، كالقمح والرز والاعنـاب وقصب السكر والتمور والتبوغ والقطن •• ومحاصيل أخرى كثيرة • كما توجد مصادر غنيـة للثروة المعدنية ، فقد كان العراق معروفا ، منذ أوائل القرن العشرين ، بما يزخر به مـن ثروات معدنية ، خاصة منها النفط ، والاسـفلت ، والفحم الحجـري ، والرخام والفضة • الا ان مصادر الثروة في العراق ، لم تستغل الا عـلى نطاق ضيق جدا قبل الحرب العالمية الاولى •

وقد خضع العراق لسلطة الامبراطورية العثمانية ، طيلة اربعة قرون (منذ بداية القرن السادس حتى بداية القرن العشرين) • وكان سلاطين الامبراطورية العثمانية ، وولاتهم الذين ينفردون بالحكم المطلق في الاقاليم الخاضعة لسلطتهم ، قد أشعلوا حربا ضارية بين الامبراطورية العثمانيـة وايران ، من اجل الاستيلاء على منطقة العراق ، مما سبب الدمار لاقتصاديات البلاد • وسبب وقوع العراق في الطرف الاقصى للامبراطورية المترامية ،

---

١ ـ ان اراضي العراق ، وبعبارة ادق (العراق العربي) ، حيث اطلق على المنطقة التي تشمل حوض نهري دجلة والفرات الى الجنوب من مدينة بغداد • الا ان العراق الحديث يمتد الى اكثر من منطقة الجزيرة (وهي المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات شمالي بغداد وكردستان الجنوبية وقسم من البادية السورية • والتي دعيت في اوربـا الغربيـة ، وفي المؤلفات الروسية قبل الثورة ببلاد (ما بين النهرين) • وقد بلغ سكان العراق الحديث حتى بداية الحرب العالمية الاولى ، ثلاثة ملايين من الانفس•

الى انعزاله عن المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية لهذه الدولة •

ولم يجر في العراق ، حتى أواسط القرن التاسع عشر اي اصلاح ملحوظ ، الا ان الدولة العثمانية اتخذت بعد تلك الفترة بعض الاجراءات الاصلاحية في الادارة ، كان الهدف الرئيسي منها تعزيز سلطة الحكومة المركزية • وقد ساعد افتتاح قناة السويس عام (١٨٦٩) على انضمام العراق الى السوق العالمية ، مما هيأ امكانيات جديدة لتطور الاقتصاد والثقافة في البلاد ، الا ان ذلك قد أدى ، من جهة اخرى ، الى زيادة نفوذ رأس المال الاجنبي ، واستتبع اضمحلال الاشكال المتأخرة لاقتصاديات البلاد ، وتحويل العراق الى ممول للسوق العالمية بالمواد الخام ، وتكبيله بالقيود الاقتصادية والسياسية لتلك السوق •

تحتل الزراعة مكان الصدارة في الاقتصاد الوطني ، حيث شملت الاغلبية العظمى من السكان • أما الانتاج الصناعي فكان ضئيلا جدا حينئذ • وكانت مناطق العراق المختلفة ، تتفاوت من حيث المستوى الاقتصادي • فألى جانب الاجزاء المغطاة بالبساتين (في منطقتي البصرة وبغداد بصورة خاصة) ، وتلك التي تنتج الحبوب (في منطقتي الموصل وديالى) ، تعتمد البلاد بصورة رئيسية على استغلال الاراضي الزراعية في حوضي دجلة والفرات ، وكذلك الثروة الحيوانية للبدو (في البادية السورية والجزيرة) • ولم يكن الانتاج الزراعي من الوفرة بحيث يلفت النظر الا في الالوية الكبرى كبغداد والموصل • أما مدينة البصرة والمدن الاخرى ، فقد اقتصرت اهميتها باعتبارها مراكز تجارية • وكان معظم سكان المدن الصغيرة والقرى ، ممن يمتهنون الزراعة حرفة لهم ، بينما حافظت المناطق التي يسودها النظام الاقطاعي ، على العلاقات الاجتماعية الاقطاعية ــ البطرياركية ، وعلى بقايا الاقتصاد البدائي المشاع • وظهرت الى جانب ذلك ، اشكال

بسيطة للعلاقات الرأسمالية في الاستغلال الزراعي ، في المناطق المجاورة للمدن ، وأسست في المدن بعض المعامل الرأسمالية الى جانب ورش الحرفيين •

لقد كان لتركيب المجتمع العراقي ، بقومياته المتعددة ، وأديانه المختلفة ، أثر كبير على الحياة السياسية للبلاد • فالعرب يكونون الاكثرية العظمى لسكان البلاد ، ويليهم الاكراد ، ثم الاثوريون ، والتركمان ، وقوميات صغيرة اخرى • كما يشكل العرب والاكراد الاكثرية الغالبة في معظم القبائل العراقية •

ان أغلبية السكان العرب في العراق يدينون بالاسلام ، المذهب الشيعي ، أما الاكراد ، والعرب القاطنين في شمال العراق ، فهم من أتباع المذهب السني[٢] • كما يوجد عدد غير قليل من المسيحيين واليزيديين • وقد حافظت هذه الطوائف على خصائصها الدينية حتى الوقت الحاضر •

لقد هبط الانتاج الزراعي في العراق في تلك الفترة بشكل مروع ، حيث أهملت مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية واكتسحتها الرمال والمياه والاملاح • وتحولت جميع الاراضي في جنوبي العراق الى مستنقعات • ففي المنطقة المحيطة بشط العرب ــ مثلا ــ التي تتميز بتربة

---

٢ ــ السنة ــ هم اتباع احد الاتجاهيين الرئيسيين في الاسلام ، الذين يؤمنون بان مصادر الشريعة هي القرآن والسنة (وهي التقيد بالاعمال والاقوال المنسوبة الى الرسول محمد ، الذي يعتبر مؤسس الاسلام) • ويتبع هذا الاتجاه القسم الاعظم من المسلمين •

أما الشيعة ، فهي تيار آخر في الاسلام ، نشأ في القرن السابع الميلادي • ويعترف الشيعة بالقرآن الا انهم يرفضون السنة • واعظم رجال الشيعة هم الاثنى عشر امام الذين عاشوا في الفترة من القرن السابع حتى القرن التاسع الميلادي ، وينتشر المذهب الشيعي في ايران وجنوبي العراق وبصورة جزئية في بعض دول الشرقين الادنى والاوسط الاخرى •

غرينية عالية الخصوبة ، لم تتعد المنطقة الزراعية فيها أكثر من ٢ـ٥ر٣كم عن شاطي النهر[٣] • واستنادا الى تقدير (شتيمروخ) ، رئيس اللجنة الاقتصادية الالمانية التي زارت العراق في الفترة من ١٨٩٩ـ١٩٠٠ ، كانت مساحة الاراضي التي تستغل سنويا في مختلف اولايات في العـــراق ، تتراوح بين ٢ - ٧٪ من مجموع الاراضي الزراعية[٤] • وقد أدى انهيار منظومة الري بشكل كامل ، الى حدوث فيضانات في حوضي دجلةوالفرات، كبدت العــراق خسائر فادحــة في العديد من مناطقه • ففي عام (١٨٩٦) ـ مثلا ـ اهلكت الفيضانات أكثر من مليوني نخلة[٥] • وفي الفترات التي تنحسر فيها مياه الانهار ، فان الزراعة تواجه جدبا شديدا • أما نظام الري ، فقد بقي على ما هو عليه منذ القرون الوسطى •

لقــد استخدمت الجياد ، والبغال ، والثيران والابقار في أعمــال

---

٣ ـ آدموف - المصدر السابق ، ص ٢١

Persian Gulf (Handbooks prepared under the direction of the Historical Section of the Foreign Office No. 76. London, 1920.

الخليج الفارسي (سلسلة كتب تصدر باشراف قسـم التاريـخ في وزارة الخارجية) رقم (٧٦) لندن ١٩٢٠

Egan, E. F. The War in the Cradle of the World Mesopotamia. London, 1918.

ايكان ، آ • ف ـ الحرب في مهد ما بين النهرين • لندن ١٩١٨ •

(*) لقد كان العراق في العهدالعثماني مقسما اداريا الى ثلاث ولايات هي ولاية الموصل وولاية بغـداد وولاية البصرة ـ المترجم ـ •

٤ ـ سيمنوف ، ف ـ رحلة في آسيا الصغرى

الكتيبة الآلية ، الرئيس الركن سيمينوف ف ـ ي ١٩٠١ ـ ١٩٠٢ ، بتربورغ ، ١٩٠٤

٥ ـ آدموف ، ـ ص (١٦ ، ٤٨٩) رقم (١) ،

الحقل[٦] • اما المضخات الآلية فلم تكن مستعملة عندئذ ، الا في بعض المزارع الكبيرة ، حيث بلغ عددها قبيل الحرب الاولى (١٦٦) مضخة بقوة (١٢٧٦) حصانا[٧] ، بينما اعتمدت أغلب المزارع السقي بواسطة النواعير ، التي بلغ عددها في منطقة بغداد وحدها : (١٠٠٧) نواعير ، تحركها الحيوانات • وبلغ عدد النواعير في منطقة سامراء حوالي (١٠٠٠) ناعور[٨] •

كانت الادوات الزراعية هي الاخرى بدائية جدا ، ويعتبر المحراث الخشبي والفأس اكثرها انتشارا • واستعملت جذوع النخيل ، بمثابة مسلفه في الزراعة • اما المحراث الحديدي المثبت على سكة خشبيّة فلم يكن مستعملا الا في عدد محدود من المزارع • بينما كانت عملية الدراسة تتم بواسطه الماشية[٩]• ولم تستعمل الادوات الزراعية الاوربية غير المعقدة كالمحراث والمسلفة وآلة الدراسة العادية ، الا في حالات نادرة جدا •

وقد كانت أساليب الزراعة ، في تلك الفترة متأخرة أيضا ، حيث شاعت الدورة الثنائية ، اما الدورة الثلاثية فكان استخدامها نادرا جدا •

---

٦ ــ « مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٥ ، رقم (١) ص(٤)•

Bonné, A. State and Economics in the Middle East. Asociety in Transition. London, 1948.

بون ، آ – الدولة والاقتصاد في الشرق الاوسط • المجتمع المتطور • لندن ١٩٤٨ •

الفترة بـ (٣٠٠) مضخة (ويلسون ــ المصدر السابق ، ص ٥٤) •

٨ ــ مجموعة التقارير القنصلية ، لسنة ١٩٠٥ رقم ١ ، ص (٤) •

٩ ــ المصدر السابق ، (٧ــ٨) •

انظر ايضا : يونك ، اج ــ المصدر السابق ، ص ٥٠

ولم تستعمل الاسـمدة الا في المزارع القريبة من المـدن ، وفي بساتين النخيل[10] .

كان مستوى الانتاج الزراعي منخفضا للغاية ، حيث لم يتجاوز معدل الانتـاج للهكتار الواحد من الارض ثمانية تسينتنيرات(*)[11] . الا ان المزارع العراقي في أغلب الاحوال لم يبلغ بانتاجه هذا المستوى . ونتيجة لاهمال نظام الري ، وتخلف أساليب الزراعة ، فقد كان الجدب وقلة المحصول ، غالبا ما يسببان المجاعة في البلاد . وكم من مرة تأزمت الحالة الى حـد اضطرت فيـه الحكومة الى منع تصـدير الحبوب الى خـارج البـلاد[12] .

---

١٠ ـ « مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٥ ، رقم ١ ، ص٠٨

(*) التسينتنر ـ وحدة قياسية للوزن تساوي مئة كغم ـ المترجم .

Great Britain, Civil Commissioner of Mesopotamia p. 53. p. 53.

١١ ـ بريطانيا العظمى ـ المندوب السامي المدني لبريطانيا العظمى في بلاد الرافدين ، عرض للادارة المدينة لبلاد الرافـــدين ، (المصـــدر السابق) ، ص ٥٣ .

(*) الهكتار = ٤ دونمات عراقية = ١٠٠٠٠ م٢

[المترجم]

Great Britain. Foreign Office. Diplomatic and Consular Reports on Trade and Finance. London (1890 1913). No. 2316. p. 2.

بريطانيا العظمى . وزارة الخارجية . التقـــارير الدبلوماسـية والقنصلية عن التجارة والمالية . لندن (١٨٩٠ ـ ١٩١٣) رقم (٢٣١٦) ، ص (٢) .

ويمكن تقدير تطور انتاج الحبوب بملاحظــة ارقـام التصدير من من البصرة . ففي الفترة من ١٨٩٥ حتى ١٩١٠ ، انخفض تصدير القمـح من (٥٦٫٣١٨) طن في ١٨٩٥ الى اقـل من (١٫٠٠٠) طن في السـنوات (١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠٠ ، ١٩٠١ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠) . وتعرض تصدير الشعير والرز والمحاصيل الاخرى الى حالة مشابهة (آدموف ، أ ـ ص (٤٨٨) .

وتربية المواشي لدى القبائل الرحل كانت هي أيضا في وضع سيء جدا ، فقد اصيبت الجياد في كردستان بأضرار كبيرة[١٣] ، وقتل البرد القارس عددا كبيرا من الماشية في البادية السورية ومنطقة الفرات الاوسط ، بلغ ٥٠٪ من مجموع الماشية في هذه المناطق[١٤] .

وسادت القرية العراقية في بداية القرن العشرين ، علاقات اقطاعية متأخرة . ولم يختلف نظام ملكية الارض في العراق عما هو عليه في بقية أنحاء تركيا من الناحية الرسمية . حيث احتلت الاراضي الاميرية (الميري) المكان الاول بين الانواع الاخرى من الارض . وهي تضم أيضا ، الاراضي التي استحوذت عليها الطبقات الحاكمة في فترات مختلفة (الاراضي السنية) ، وتشمل ٣٠٪ من الاراضي الزراعية في ولاية بغداد ، و ٤٠٪ في ولاية البصرة[١٥] . ويعود ٢٠٪ من الاراضي الزراعية ، للمؤسسات الدينية الاسلامية ، وهو ما يدعى ب (الوقف)[١٦] . اما الاراضي المملوكة ملكا صرفا للاشخاص ، وكذلك الاراضي المتروكة ، فانها لم تكن تشغل الا نسبة ضئيلة من مجموع الاراضي الزراعية . كما اعتبرت الاراضي غير المستغلة ، صنفا مستقلا ، سمي بالاراضي (الموات) .

لقد منحت معظم الاراضي الاميرية الى المتنفذين في الدولة ،

---

١٣ ــ العقيد كارتسيف ، المصدر لسابق ، ص ٣١٥

١٤ ــ بيليا كيفج ، ي ، الحالة الاقتصادية في العراق . من مجلة « سخيدني سغيت » خاركوف ١٩٢٩ ، ص ٦٠ باللغة الاكرانية .

١٥ ــ آدموف ص . (١١٥) ،

بريطانيا العظمى . المندوب السامي المدني لبريطانيا العظمى ، (المصدر السابق) ، ص (٧) .

ويلاحظ انه بعد الثورة التركية الاولى عام (١٩٠٨) ادخلت الاراضي السنية ضمن الاراضي الاميرية تحت اسم (المدوّرة)

١٦ ــ مجموعة التقارير القنصلية ، ١٩٠٥ ، رقم (١) ، ص . (٩) .

لاستغلالها بصورة موقتة ، على أساس وثائق خاصة دعيت بـ (الطابو) ، مع بقاء رقبة الارض بيد الدولة • وتميز نظام حيزة الارض واستغلالها في العراق ، بخصائص معينة ، اخضعته لاحكام تختلف عن نصوص تشريعات الاراضي التركية[١٧] •

ويمكن تقسيم العراق الى أربع مناطق متميزة من حيث أشكال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة في القرية • وذلك حسب الترتيب التالي :

أ ـ مناطق البادية السورية والجزيرة :

تسكن في هذه المناطق قبائل بدوية عربية[١٨] ، حافظت على عادات قبلية عريقة • على ان القبيلة هنا لم تعد منظمة تقوم على أساس المساواة بين أفرادها ، بل أصبحت ثروة الافراد في القبيلة ، معيارا رئيسيا للتمييز بينهم • ويذكر المستعرب الالماني (زاخاو) عن قبيلة شمر ان « مركز ونفوذ كل فرد فيها ، يتناسب مع ما لديه من أموال »[١٩] • وكانت جريمة السرقة سببا لايقاع أقسى العقوبات واشدها على الفرد في القبيلة • ففي البادية السورية ، كانت عقوبة السارق ، الذي يعجز عن دفع (الفدية) ، هي قطع يده • اما في منطقة الكويت فكانت عقوبة السارق هي القتل

١٧ ـ كالدجيان المصدر السابق ، ص (٢٨١) •

١٨ ـ واكبر تلك القبائل هي قبيلة (الدافر) التي تقطن في المنطقة الواقعة جنوبي غربي الفرات ، وقبيلة امارة عنزة في شمالي ـ غربي الفرات ، وقبيلة امارة عنزة في شمالي ـ غربي العراق ، وشمر ، في الجزيرة ، والدليم ، قرب الرمادي •

١٩ ـ ساخاو ، المصدر السابق ، ص • (٣١٠)

بالحجارة[٢٠] .

وقد عبر (ساخاو) عن ذلك بايجاز قائلا ان « الملكية كانت مقدسة »[٢١] . وان الاقطاعيين انفردوا بالسلطة في القبيلة وأخضعوا أفرادها لرقابتهم .

ومع ان الارض التي تنتقل فيها القبيلة ، وتدعى (الديرة) ، كانت تعتبر ملكا مشاعا لجميع أفراد القبيلة[٢٢] ، الا ان الرؤساء الاقطاعيين استأثروا لانفسهم بحق الاشراف على تلك الارض ، ومصادر المياه فيها .

كان شيخ القبيلة ، يملك صلاحية تحديد طرق انتقال القبيلة ، والاماكن التي تقف عندها . ويكفي أن نذكر ، ان كل فرد في القبيلة ، يعرض نفسه لالقاء القبض عليه من قبل حراس رئيس القبيلة المسلحين ، بمجرد ان يمس القطيع العائد له[٢٣] ، حيث يضطر البدوي ، في الاحوال التي ينضب فيها العشب والماء ، تحت تأثير الفقر والجوع الى ان يعتدي على أموال أغنياء القبيلة .

وقد عمد الشيوخ الى تحديد المراعي التي تستغلها كل عائلة أو فخذ في القبيلة[٢٤] . وتتناسب مساحة الارض التي تخصص لكل فرد في القبيلة مع ما يملكه من ماشية . لذلك فان شيخ القبيلة يستأثر ، في جميع

---

٢٠ ــ آدموف ، ــ ص (١٣٦) ، وانظر أيضا :
Storrs, R. The Memoirs of Sir Ronald Storrs. New York, 1937, p. 257.
ستورس ، ــ . مذكرات السير رونالدستورس ، نيويورك ١٩٣٧.
٢١ ــ ساخاو ، ص ٣١٠
٢٢ ــ ديكسون ص ٥٨٢ ــ المصدر السابق ، ص (٤٦) .
٢٣ ــ آدموف ، ص (١٢٨ــ١٣٠) .
٢٤ ــ ديكسون ، ص (٥٨٢) .

الاحوال ، بأكبر مساحة من الاراضي الخصبة ، نظرا لما يملكه من عدد ضخم من الماشية ، من جمال وخيول •

وثمة دليل آخر على استحواذ الشيخ على أراضي القبيلة ، من الناحية الفعلية ، انه كان بمقدوره منح أي جزء منها ، للإستغلال الموقت من قبل أفراد قبيلة أخرى[٢٥] •

لقد سلب شيخ القبيلة أفرادها حق ملكية الارض ، بل والغى مفهوم الملكية المشاعة للارض لجميع أفراد القبيلة • ونتيجة للحروب المتكررة بين القبائل المختلفة ، فقد ادمجت القبائل الخاسرة بالقبائل المنتصرة ، وهو ما دعي عندئذ ب (الخوة) • ويقرر هذا النظام ، ان تدفع القبيلة الخاسرة اتاوة معينة للقبيلة المنتصرة ، تتمثل بحقها في استغلال مراعي القبيلة الخاسرة ، واستخدام أفرادها في الحروب التي تثيرها القبيلة المنتصرة (الحامية) أو تثار ضدها ••• وما الى ذلك[٢٦] • ويطلق على هذه العلاقة أيضا ، عبارة (ذبيحة ومنيحة) ؛ وهي تعبر عن المفهوم السياسي والاقتصادي لاستعباد القبائل القوية للضعيفة • ومع ان هذا الدمج يتم ، كقاعدة عامة ، بقوة القبيلة كلها ، الا ان فوائده لا تعم جميع أفراد

---

٢٥ ـ انظر ايضا بريطانيا العظمى ـ المندوب السامي المدني لبريطانيا العظمى ، ص ٥٢ •

٢٦ ـ لقد اطلقت كلمة الـ « خوّة » على العلاقات المتبادلة بين القبيلة واي فرد او مجموعة من الافراد ، ممن يدخلون فيها ، وينضوون تحت لوائها • كما يعني مصطلح الـ « الخوة » الاتاوة التي يدفعها الراغبون في حماية القبيلة •

ديكسون ، ص (٤٤٣ ـ ٤٤٤) •

اوبنهيم ، ص ٦ـ٧٠ •

القبيلة ، بل ينفرد بها الشيخ دون غيره[٢٧] • ويستفيد الشيخ أيضا من الاتاوة التي تقدمها القبيلة الخاسرة على أساس ال « خوة »[٢٨] ، والتي تبيح حق المرور في منطقة القبيلة ، والاستيلاء على الاراضي العائدة للافراد العزل ، والاراضي التي تدخلها الماشية الضالة[٢٩] •

على ان رؤساء القبائل لم يقفوا عند هذا الحد في استغلالهم لقبائلهم ، بل امتدت ايديهم الى الفلاحين المستقرين أيضا ، حيث فرضوا عليهم دفع « الخوة » لحمايتهم ضد غزوات القبائل الاخرى • وتصل هذه الاتاوة الى ٥٠٪ ، وحتى الى ٨٧٪ من الحاصل[٣٠] • ومع ان تلك الاتاوة تجمع باسم القبيلة ، الا ان واقع الحال يدل على ان الشيخ يستحوذ عليها دون ان يترك لافراد القبيلة شيئا منها ، بدليل ان جباة تلك الاتاوة ، لا يمثلون القبيلة ، وانما يمثلون الشيخ[٣١] • ويعتبر استغلال الشيخ

---

٢٧ ــ لقد كان اولاد فرحان شيخ قبيلة شمر ، يقتسمون فيما بينهم كل ما يرد للقبيلة من اتاوة ، نتيجة اتفاقات ال (خوة) مع الافراد والقبائل الاخرى • (بريطانيا العظمى ــ المندوب السامي المدني ••• ، ص (٥١٨) •

٢٨ ــ آدموف ، ص (١٣٧) •

انظر ايضا :

The Geographical Journal, 1909, vol. XXXIII, p. 518.

المجلة الجغرافية ١٩٠٩ ، العدد الثالث والثلاثين ، ص • (٥١٨) •

٢٩ ــ Jamali, M. F. The New Iraq: its problem of bedouin education. London, 1934

الجمالي • ايم • ايف • ــ العراق الجديد ومشكلة تعليم البدو • لندن ١٩٣٤

٣٠ ــ اوبنهيم ، ج (٢) ، ص (١٥) •

٣١ ــ آدموف ، ص ؛ (٣٨) ،

ساخاو ، ص (٣١١) ،

بريطانيا العظمى ، ص ٥٢ •

للمزارعين المستقرين ، بذريعة (الخوة) المزعومة ، بداية تحول شيوخ البدو الى اقطاعيين متنكرين لتقاليد القبيلة . ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، لم يقتصر تحول شيوخ القبائل الى ملاكين ، في المناطق المتطورة نسبيا في جنوب العراق فحسب ، وانما شمل هذا التحول مناطق الجزيرة ، وشمال غربي العراق ، حيث استغل الفلاح استغلالا بشعا من قبل شيوخ قبائل شمر ، وامارة عنزة ، وقبائل أخرى عديدة . فقد امتلك فهد بي رئيس قبيلة امارة عنزة ، أراضي زراعية واسعة قرب كربلا ، بينما استحوذ رئيس قبيلة شمر عجيل الياور ، بالاشتراك مع العنجيفي الاقطاعي الموصلي ، على مساحات كبيرة من الاراضي الخصبة في منطقة شورا بالموصل ... وهكذا .

ان استغلال رئيس القبيلة للفلاحين المجاورين ، سواء كان على أساس الخوة ، أو عن طريق الظلم الاقطاعي مباشرة ، قد ضاعفت من استعباده لافراد قبيلته أيضا ، فقد أصبح محتكرا للمواد الغذائية التي تستحوذ عليها القبيلة من أولئك الفلاحين ، والتي تعتبر احتياطياً ضروريا لسد حاجة البدو(٣٢) .

ومن ناحية أخرى ، فقد عززت الحروب المستمرة بين القبائل ، من مركز الشيخ ، خاصة اذا علمنا انه كان يستحوذ على خمس الغنائم التي تحصل عليها القبيلة نتيجة تلك الحروب ، كما يحصل على نسبة عالية من

---

٣٢ ــ بريطانيا العظمى ــ المندوب السامي البريطاني .. ص (٤١ ، ٥١ ، ٥٢) ،
ساخاو ، ص (٢٩٥ــ٣٠٦) ،

Great Britain, Civil Commissioner..., p. 41, 51, 52. M. Oppenheim, B. II, S. 15; E. Sachau, S. 295, 306.

ايرادات أفراد القبيلة عن الواجبات التي يقوم بها ، بمـا فيهـا الدفاع عن القبيلة •

ان المركز الاقتصادي المرموق لرئيس القبيلة ، قد سبب زيادة نفوذه السياسي الى حد كبير ، حيث أصبح ، في علاقاته القانونية ، أقوى بكثير من أفراد القبيلة العاديين • وبهذا الصدد كتب المستعرب (ساخاو) عن شيوخ قبيلة شمر يقول : « ان أي طفل منهم ، يستطيع ضرب أبرز فرد في القبيلة ، ولا يحق لهذا ان يرفع يده دفاعا عن نفسه »[٣٣] • واذا حدث ان قتل الشيخ فان (الدية) أو (الفصل) الذي يدفع عن الحادث ، تقدر بأضعاف ما يدفـع في حالة ما اذا كان القتيـل واحـدا من أفراد القبيلة[٣٤] •

وجدير بالذكر ، ان الانتخابات التي تجري لاختيار شيخ القبيلة ، لم يعد لها الا مظهر رمزي فحسب ، اذ أصبح منصب الشيخ ينتقل ، في حالة وفاته ، الى ابنه أو أخيه ، وفي جميع الاحوال فان هذا المنصب يجب ان يبقى لعائلة الشيخ[٣٥] •

قد حصر الشيوخ في قبضتهم ، مسؤولية ادارة أجهزة القبيلة بصورة مباشرة ، فكان الشيخ مسؤولا عن السلطات القضائية والتشريعه والتنفيذية

---

٣٣ ــ ساخاو ، ٣٠٠ •

٣٤ ــ الجمالي ، ص (٢٨) •

٣٥ ــ انظر آدموف ، ص (١٤٩) ،

ديكسون ، ص (٥٢) ،

ايس ، جي • فان ، لقاء مع العرب • نيويورك ١٩٤٣

Ess, J. van. Meet the Arab. New York, 1943.

داخل القبيلة[٣٦] • ويظهر ذلك بوضوح في حالة توقف اجتماعات مجلس القبيلة ، حيث يصبح الشيخ عندئذ ، المعبر الوحيد عن ارادتها ، مع انه قد يتشاور مع بعض أفراد القبيلة الذين يطمئن الى رأيهم[٣٧] • اما في حالة سيطرة مجلس القبيلة ، وتحديده النزعة البيروقراطية للشيخ ، فان ذلك لا يتخذ عادة لمصلحة مجموع القبيلة ، وانما لفائدة أعضاء المجلس فحسب •

اما وجهاء القبيلة ، فيشغلون مناصب مختلفة فيها ، بشكل متوارث ، جيلا عن جيل • فقد شغل قسم منهم قيادة الفصائل المسلحة للقبيلة ، ودعوا عندئذ بالعقداء ، أو اختصوا بابداء الرأي والمشورة في القضايا العامة حيث اطلق عليهم العرفاء ••• وهكذا[٣٨] •

على ان مساندة وجهاء القبيلة للشيخ ، لا تكفى لتبرير استجابة أفراد القبيلة للخضوع له ، وهذا ما دفع الشيخ الى تنظيم جهاز جديد لمساعدته في أعمال القمع ، عند ظهور بوادر الاستياء لدى البدو • فقد امتلك كل شيخ فصيلة من الحراس المسلحين ، الذين لا يرتبطون بأي التزام تجاه القبيلة • ويتكون أعضاء فصائل الحرس عادة ، من العبيد التابعين

---

٣٦ – الشيخ هو رئيس مجلس وجهاء القبيلة ، الذي يبت في جميع المسائل المهمة وهو الذى يقوم بالتمثيل الدبلوماسي للقبيلة ، كما يعتبر في بعض القبائل ، القائد العسكري الاعلى للقبيلة (آدموف ص ١٤٨ ، الجمالى ، ص (٢٧) •

٣٧ – الجمالي ، ص (٢٨)

٣٨ – آدموف ، ص (١٥٠) •

اوبنهيم ، ج (٢) ، ص ٨٦

للشيخ ، أو من عناصر من خارج القبيلة[٣٩] • وكلف هؤلاء الحراس بواجب جباية (الخوة) من القبائل المندحرة ، كما كانوا بمثابة ممثلين دبلوماسيين للشيخ لدى القبائل الاخرى[٤٠] • وعلى ذلك ، فان سلطة الشيخ على القبيلة ، كانت تعتمد بالاساس في تلك الفترة ، على القوة ، التي أصبحت الوسيلة الوحيدة لاستغلال أفراد القبيلة واستعبادهم من قبل الرؤساء الاقطاعيين •

لقد خسر أفراد القبيلة تدريجيا ، مركزهم الاقتصادي والسياسي ، وباستثناء بعض البدو الذين حافظوا على استقلالهم الاقتصادي حتى بداية القرن العشرين ، والذين اقتصرت ثروتهم على امتلاك رأس أو رأسين من الجمال ، فان معظم البدو كانوا يشكون الفقر المدقع ، حيث حرموا من أي وسيلة للبقاء[٤١] • وقد تحول الكثيرون من هؤلاء ، الى رعاة للماشية العائدة للشيخ ولاغنياء القبيلة[٤٢] • وبذلك أصبح أفراد القبيلة خاضعين اقتصاديا للشيخ ، مما سبب زيادة موارده • كما سلك شيوخ المناطق الزراعية ، نفس الاسلوب في استغلال أفراد القبيلة ، والاثراء على حسابهم[٤٣] • لذا فقد عدل أفراد القبيلة عن الدفاع عن حقوقها ، ولم يعد باستطاعتهم حيازة أبسط الاسلحة التي كان يستعملها اجدادهم من

---

٣٩ ـ آدموف ، ص (١٤٩) ،
اوبنهيم ، جـ (٢) ، ص ٨٩
وفي نفس الوقت كان شيوخ القبائل الكبار يعتمدون على اتباعهم من صغار الشيوخ ، وعلى حراسهم المسلحين •

٤٠ ـ بلنت ، جـ (٢) ، ص ٦٥ •

٤١ ـ آدموف ، ص (١٤٦) •

٤٢ ـ بلنت ، جـ (٢) ص ٦٥ •

٤٣ ـ بريطانيا العظمى ـ المصدر السابق ، ص ٥٣ ،
ساخاو ، ص ٤٨

قبل ، واعتمدوا في الدفاع عن أنفسهم على الهراوات والفؤوس[٤٤] •

وأدى هذا التطور الطبقي الاقتصادي والسياسي ، الى تمزيق القبيلة باعتبارها منظمة موحدة • ففي أوائل القرن العشرين ، انتشر في أوساط البدو في العراق نظام (القصر)[٤٥] ، ومضمونه ان يخضع البدوي (القصير) لشخص آخر • وقد اطلقت عبارة (القصير) على البدوي الذي يحتمى الى شخص آخر ، بالعيش قرب خيمته • و (الحامي) يكون عادة شيخ القبيلة أو أحد وجهائها ، وفي مقابل قيام لحامي بواجب حماية القصير ، فان على هذا ان يؤدي جميع الخدمات تجاه الحامي ، بما فيها الدفاع عنه ضد اعتداء أفراد القبيلة ، التي يتبعها القصير نفسه • ومن خصائص هذا النظام ، ان البدوي الذي يتحول الى قصير ، يفقد استقلاله الشرعي ، ويصبح الحامي ممثلا له في جميع علاقاته مع الآخرين ، وحتى مع أفراد القبيلة[٤٦] •

ان نظام القصر ، يعطي الدليل عن مدى تحول العلاقات القبلية الابوية الى علاقات طبقية راسخة • كما ان الوحدة الاقتصادية والسياسية للقبيلة ، باعتبارها منظمة تعتمد على اسس القرابة بين أعضائها ، قد تحولت هي الاخرى الى وحدة سياسية واقتصادية ، تحيط بزعماء اقطاعيين • وظهرت في تلك الفترة ، وحدات اقتصادية ، تتكون من عناصر خاضعة لمالك واحد وهو الشيخ أو البدوي الغني[٤٧] •

---

٤٤ – آدموف ، ص (١١٩) •

٤٥ – ديكسون ، ص ١٢٧ ، ١٣٢ •

٤٦ – ديكسون ، ص ١٢٧ – ١٣٢ •

بلنت ، ج (٢) ص ٦٥ ،

انظر ايضا المجلة الجغرافية ، المجلد (٣٧) ، ص (٢٦٥)

الا انه بالرغم من سيادة التمايز الطبقي ، فقد بقيت مجموعة من النظم والعادات المرتبطة بالمجتمع القبلي الذي يعتمد على العلاقات الابوية ، وفرضت طابعا معينا على التركيب الاجتماعي والاقتصادي للقبيلة . ومما يدل على تمسك تلك القبائل بالتقاليد الابوية ، الطريقة التي يتم بها تعويض القبائل المنتصرة في الحروب التي تنشب بينها[٤٨] . فقد كان يجري تبادل الاسرى بتقديم فدية عن كل أسير وهي اما أن تكون فردا حرا في القبيلة، أو قصيرا من اتباع القبيلة المنتصرة . ويعتبر الفصل من القبيلة اخطر جزاء يتعرض له العضو[٤٩] . وقد حافظ أفراد القبيلة على جزء من حريتهم ، وحقهم في تنظيم اقتصادهم المستقل . كما احتفظت القبيلة بتنظيماتها العسكرية القديمة ، مع انها أصبحت خاضعة مباشرة للشيخ . وبقيت خيمة الشيخ مفتوحة لجميع أفراد القبيلة ، الذين يرتادونها لتناول القهوة . وكثيرا ما يحتفل الشيوخ ، ووجهاء القبيلة ، مع أفراد قبيلتهم ، في شتى المناسبات والاعياد ، ويقدمون للمرضى منهم هدايا قد تصل أحيانا الى توزيع الاقمشة لنسائهم[٥٠] .

ان احتفاظ القبيلة ببعض النظم والتقاليد الابوية ، بما في ذلك الوحدات العسكرية الخاصة بها ، قد عزز من قوتها ، وجعلها تلعب دورا كبيرا في الحياة السياسية للبلاد . فقد بقيت مستقلة ، الى حد كبير ، عن السلطة التركية ، ورفضت دفع الضرائب للحكومة المركزية . ولم يستطع الباشوات الاتراك الزام القبائل البدوية ، بدفع بعض الغرامات أو الضرائب ، الا بالاستعانة بالحملات العسكرية التي كانت تنظم ضدها من حين

---

٤٨ ــ الجمالي ، ص ٢٠ .
٤٩ ــ ساخاو ، ص ٣١٠ .
٥٠ ــ آدموف ، ص (١٤٨) .

لاخر[٥١] • كما لم تفلح محاولات السلطة لكسب ود شيوخ القبائل واستمالتهم الى جانبها[٥٢] •

كان أغلب الاقطاعيين البدو ، يشعرون بالعداء للسلطات المركزية التركية ، لانها أصبحت حائلا دون انفرادهم باستغلال الكادحين من أفراد قبائلهم • أما رؤوساء القبائل الذين انحازوا الى جانب السلطات التركية ، فقد واجهوا مقاومة شديدة من قبل أفراد قبائلهم وسرعان ما استطاعت الفئات المعادية للسلطة التركية ، طرد الشيوخ الموالين للاتراك ، ورفضت الاعتراف بالسيادة التركية • وهذا ما يدل على عدم وجود نفوذ للاتراك بين قبائل البدو حتى الاحتلال البريطاني للعراق[٥٣] •

ب ـ مناطق العراق الاوسط (اواسط دجلة والفرات) :

لقد خلف النظام البدوي ، تركة ثقيلة في المجتمع الريفي في العراق ، وجدت انعكاسا لها في زيادة ثروة شيوخ القبائل باستمرار ، على حساب فاقة جماهير البدو وبؤسها • وادى هذا التناقض الى تحول اقتصاد البدو من تربية الحيوانات الى الزراعة ، حتى أصبح الانتاج الزراعي يشغل المكان الأول في عمل البدوي • وقد حدث هذا التحول بوتائر عالية نسبيا في أواسط دجلة والفرات • حيث تكونت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، قبائل كبيرة ، اعتمدت الزراعة مهنة رئيسية لها ، الا انها مع ذلك حافظت على التنظيم والعلاقات السائدة بين البدو الرحل ، الذين يعيشون

---

٥١ ـ بريطانيا العظمى ـ المندوب السامي المدني ••• ،ص (٤٢) •

٥٢ ـ ساخاو ، ص (٢٠٤) ،

بريطانيا العظمى ـ المصدر السابق ، ص (٥٥) •

٥٣ ـ انظر لونكريك ، ص (٢٤) •

على تربية الحيوانات[٥٤] • واحتفظ رؤوساء القبائل المستقرة بنمط الحياة البدوية ، كما احتفظوا لانفسهم بثروة حيوانية كبيرة ، لمدة طويلة ، وعلى هذا فقد احتفظت الفئات البدوية بمركز الزعامة في القبائل المستقرة ، وبقيت (الديرة) من الناحية الشكلية ، ملكا مشاعا للقبيلة المستقرة ، كما كانت في السابق لدى القبائل البدوية[٥٥] • حيث بقيت الارض خاضعة للقبيلة ، وتحت سلطتها مباشرة[٥٦] وتقوم القبيلة بتوزيع الارض على فروعها ، وهذه توزعها على العائلات في القبيلة ، بمساحات تتناسب وعدد الراشدين في كل عائلة ، أو حسب حجم الاراضي المروية[٥٧] • ومع ذلك فقد احتفظ رئيس القبيلة بجزء كبير من الاراضي الزراعية ، يتراوح بين الثلث والنصف من مجموع أراضي القبيلة[٥٨] ، بالاضافة الى ما استحوذ عليه باسم حاشيته وأفراد عائلته[٥٩] • وحتى أوائل القرن العشرين ، كانت قد تركزت بأيدي الشيوخ ، ووجهاء القبيلة ، مساحات شاسعه من

---

٥٤ ــ ففي وادي نهر دجلة في منطقة العمارة ، كانت تقطن قبيلة بني لام ، والى جنوبها قبيلة البو محمد ، اما حول شط الحي وضواحي الناصرية فقد كان يقطن اتحاد قبائل المنتفك • وفي أواسط الفرات عاشت بني حسن والفتلة وغيرها •

٥٥ ــ بريطانيا العظمى ــ المندوب السامي المدني ••• ، ص (٢٢) « نشرة معلومات عن الدول المجاورة ، تحصل عليها المخابرات » ،

نبليس ، العدد ٢١ ــ ٢٢ ، ص • (١٣) والارقام ٢٣ ــ ٢٤ ص(١٩) ورقم (٤٧) ص (٣٩)

٥٦ ــ ويلسون ، بلاد ما بين النهرين ١٩١٧ ــ ١٩٢٠ ، ص ٧٧
كالدجيان ، ص (٨٤) •

٥٧ ــ وورينر ، ص (١٠٤ــ١٠٥) •

٥٨ ــ المصدر السابق ، ص (١٠٤) ،

(٥٩) كالدجيان ، ص (٢٨٤ ــ ٢٨٥) ،
وورينر ، دي (١٨ــ١٩) •

الاراضي الزراعية[٦٠] ، فقـد استحوذ شيوخ آل سعدون في المنتفـك ـ مثلا ـ على اقطاعيات امتدت حدودها حتى مدينة البصرة[٦١] • كمـا استحوذ رؤوساء القبائل على المنظومة الاروائية لاراضي القبيلة ، ففي منطقة الحلة امتلك الشيوخ (٥٣) قناة للري من بين (٥٤) قناة للري في تلك المنطقة[٦٢] • واستولى الرؤوساء الاقطاعيون على مدحولات ضخمة نتيجة استغلال الفلاحين الذين يعملون في أراضيهم • وأصبح المركز السياسي لرئيس القبيلة أقوى من السابق ، حيث امسك في قبضته بالسلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية داخل القبيلة • وكان لكل شيخ مقر في المنطقـة العائدة له ، يحيطه بسور منيع (حصن) أو (مفتول)[٦٣] • وتتجمع حول مقر الشيخ مساكن زعماء القبيلة ووجهائها وحاشية الشيخ ، موزعه حسب درجاتهم ومراتبهم[٦٤] • ولكل شيخ حرس خاص من العبيد ، أو ممن

٦٠ ـ ساخاو ، ص (٤٧ ، ٥٥)•

٦١ ـ خورشيد افندي ـ وصف لرحلة عند الحـدود التركيـة ـ الفارسية • بتربورغ ١٨٧٧ ، ص ٦٧

٦٢ ـ ويلسون ، المصدر السابق ، ص (٥٦) •

٦٣ ـ امين الريحاني ـ ملوك العرب • رحلة في البلاد العربية • المجلد الثاني ، بيروت ١٩٢٥ ، ص (٣٣٢) •
ساخاو ، ص (٥٣) •
الجمالي ، ام • اي ، ص (١٢٩) •
بريطانيا العظمى المندوب السامي المدني •••، ص (٢٢) •
فيلبي ، ايج • اس تي • جي • ص (١١٧) •

٦٤ ـ Geere, H. V. By Nile and Euphrates. A Record of Discovery and Adventure. Edinburgh, 1904.

كير،هـ ، ف ـ بين النيل والفرات • سجل الاكتشاف والمخاطرة • ادنبرة ١٩٠٤ ، ص (١٣٦ـ١٣٧) كان على شيوخ (الاجود) الخاضعيـن لزعماء المنتفك ، ان يظهروا ولاءهم لهم بتقبيل أكتافهم ، واقدامهم وايديهم، وكانوا ينحرون الذبائح عند مرور زعماء المنتفك في اراضيهم •

فقدوا أصلهم القبلي • وقد حول الشيخ حرسه الى ملكيته الخاصة بصورة كاملة ، واستخدمه لاخضاع القبيلة التابعة له • « في العهود المتقدمة كان عدد الخدم لدى شيخ قبيلة (البو محمد) يعدون بالالوف ، ولم يلزم هؤلاء بالقيام بأي عمل ، سوى حمل الهراوات والرماح والبنادق وكان على القبيلة ان تدفع لهم ما يسد اودهم باستمرار »(٦٥) • وقد كون حرس الشيخ جيشا ، أهم واجباته احكام سلطة الشيخ على الفلاحين الكادحين • ومن هذا الحرس استطاع الشيوخ تنظيم جهاز دائم لجباية الضرائب من الفلاحين • ففي قبيلة (البو محمد) « كان الشـيخ يبعث بجبـاته وقت المحصول ، ليجمعوا من الفلاحين النقود أو المحاصيل الزراعية ، أو كليهما معا ، تبعا لنفوذه في المنطقة ، ثم يقوم ببيع تلك المحاصيل ليضيف قيمتها الى ميزانيته السنوية الخاصة »(٦٦) • وتشمل الضرائب مبالغ تدفع لقاء توزيع المياه على الفلاحين ، وأخرى لقاء خدمات (الملا) الخاص بالقبيلة ، وقسم آخر لتلافي نفقات مضيف الشيخ(٦٧) •

بالرغم من احتفاظ القبيلة بوحدتها السياسية ، الا ان العلاقات بين أفرادها قد ضعفت الى حد بعيد ، حيث هاجر عدد كبير منهم ، ممن ضاقت بهم سبل العيش ، الى المدينة باحثين لهم عن عمل كبحارة (نوتيين) أو عمال في السفن الصغيرة (نوخذة) ••• وما الى ذلك(٦٨) •

---

٦٥ ـ الجمالي ، ص (١٢٩ـ١٣٠) •

٦٦ ـ ديكسون ، ص ٤٤٣

٦٧ ـ المصدر السابق ، ٨٤ •

٦٨ ـ لقد كان في السفينة التي تمخر في الفرات ، قبطان من قبيلة Wusultan (لعل المقصود : باي سلطان)

كير ، ايج ، في • ص (٤٠) •

وقد أدى هذا الاتجاه الى تفكك قسم من القبائل البدوية والمستقرة ، وفقدان العلاقات الابوية التي تعتبر أساس الوحدة السياسية للقبيلة ، حيث نشأت بدلا منها روابط جوار أكثر موضوعية ، تعتمد على المصالح الاقتصادية للقبيلة • على ان هذا التحول كان بطيئا ، ارتقى فيه عامل الجوار تدريجيا الى المرتبة الاولى ، وحل محل العلاقات الابوية القديمة • ومع انحلال العلاقات الابوية وتوطد علاقات الجوار في القرية ، فقد حافظت القبيلة على وحدتها السياسية • ويذكر (ساخاو) مثالا على ذلك ان أراضي قرى قويرش ، وقمقم كانت في حيازة الفلاحين في تلك القرى[٦٩] •

وبدلا من خضوع الارض للملكية العامة للقبيلة ، فقد ظهرت ملكيات مشاعة لجماعات منفصلة عن بعضها البعض ، الا انها لا تزال تنتمي الى هذه القبيلة أو تلك •

ونشأت الفوارق الطبقية بين أفراد القبائل المستقرة ، أكثر مما هي عليه بين أفراد قبائل البدو ، الا ان مركز التنظيمات القبلية الابوية كان قويا هو الاخر •• ومع وحدة جماهير القبيلة ، فقد احتفظ أفرادها باقتصادهم المستقل • وكقاعدة لم يكن الشيوخ يستخدمون في ارضهم احدا من ابناء قبيلتهم ، بل يلجأون الى استخدام فلاحين من قبائل أخرى ، مع بقاء أفراد القبيلة مقيدين تجاه زعيمهم بالتزامات معينة • على ان عدم الاعتراف بملكية الشيخ لاراضي القبيلة ، لم يقف حائلا دون دفع اتاوة له بنسبة

---

٦٩ ــ ساخاو بين دجلة والفرات • ص (٣٧) •

وقد تحدث (كير) عن رحلته في منطقة عفك ، قائلا ان اهالي قرية الموسى طلبوا منه ان يصحب معه دليلا من سكان هذه القرية (وليس من القبيلة) • انظر : كير ص (٢٢٧) •

ضئيلة من المحصول ، باعتباره رئيس القبيلة وزعيمها ، وليس بسبب ملكيته للارض ٠

ان تاريخ هذه القبائل مفعم بمساعي الاقطاعيين ومحاولاتهم للقضاء على الحيازة الفلاحية المشاعة للارض[٧٠] ، وقد ساندت الحكومة التركية من جانبها ، هذه المحاولات ، لتعزيز سلطتها في تلك المناطق ٠

وقد ساد الاستغلال الفلاحي الواسع للارض في أواسط القرن التاسع عشر ، نتيجة انضمام العراق الى النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي ٠ ففي هذه الفترة بالذات كانت منطقة اتحاد قبائل المنتفك موزعة رسميا بين رؤوساء وشيوخ السعدون[٧١] ٠ وتوجد حالات أخرى لاستحواذ الشيوخ على أرض القبيلة في ذلك العهد ، كمنطقة الشامية وغيرها[٧٢] ٠ ثم بدأت الحكومة التركية تمنح حيازة الارض رسميا لشيوخ القبائل والموظفين ووجهاء بغداد والبصرة واسطنبول[٧٣] ٠

الا ان قبائل الفرات الاوسط ودجلة ، قاومت بعنف سياسة الشيوخ والسلطات التركية ، فقد كتب (دبكسون) الخبير البريطاني بشؤون الاراضي لدى الحكومة العراقية يقول انه « مع الاعتراف بملكية الدولة لرقبة الارض ، يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار حيازة الجماعات القبلية

---

٧٠ ــ ديكسون ، ص (٥٥٥ ــ ٥٥٩) ٠

٧١ ــ بريطانيا العظمى ــ المندوب السامي المدني ٠٠٠، ص (٢٢)
ديكسون ، ص (٥٥٤) ٠

٧٢ ــ كالدجيان ، ص (٢٨٤) ،
« نشرة معلومات عن الدول المجاورة ، تحصل عليها المخابرات »
تبليس ١٩١١ ، رقم ٢١ ــ ٢٢ ، ص (١٣) ،
الجمالي ، ص ٧٩ ،
بريطانيا العظمى ــ المندوب السامي المدني ٠٠٠، ص (٢٢) ٠

٧٣ ــ ساخاو ، المصدر السابق ، ص (٧١) ٠

للارض ، وكم من مرة رفضت ادعاءات ملكية الدولة للارض وطلباتها بفرض الملاكية (الايجار) »[٧٤] •

لقد بدأ أفراد القبائل نضالا لا هوادة فيه ضد الشيوخ من أجل تنظيم وسائل الري[٧٥] • ولم تكلل بالنجاح مساعي السلطات التركية والاقطاعيين في سلب أراضي القبيلة ، حيث استطاع فلاحو تلك المناطق ، حتى الحرب العالمية الاولى ، ان يحافظوا على أراضيهم ، ورفضوا دفع الايجار للملاكين الصوريين ، كما امتنعوا عن دفع الضريبة للدولة[٧٦] • ولم يكن بامكان السلطات التركية ، ان تلزم المواطنين بدفع الضرائب الملقاة على عاتقهم الا باللجوء الى الحملات العسكرية ، التي كانت تشنها عليهم بين حين وآخر •

وفي سبيل نضالهم من أجل الارض ، لم يلتزم فلاحو العراق الاوسط بالحفاظ على العادات والتقاليد الابوية والاقطاعية ، بل واصلوا النضال ضد الملاكين الذين تعسفوا بحقوقهم ، من جهة ، ووقفوا الى جانب الملاكين الذين أنصفوهم من جهة أخرى[٧٧]• فقد بادرت القبائل بطرد الشيوخ الذين حاولوا حرمانها من ملكية الارض ، بينما اعترفت بسلطة الشيوخ الجدد

---

٧٤ ــ كولدجيان ، ص (٢٨٨) •

٧٥ ــ ففي منطقة الحلة ــ مثلا ــ اهملت مجموعة من القنوات نتيجة الخلافات التي لم يبت فيها بين الملاك والفلاحين (ويلسون ، المصدر السابق ، ص (٥٦)) •

٧٦ ــ فيلبي ، ص (١١٥) •

٧٧ ــ لقد كانت الحركة الفلاحية ضعيفة جدا ، واقتصرت على غارات متفرقة • ففي منطقة (عفك) على سبيل المثال ، كان قد نشط احد المدافعين عن حقوق الفلاحين والذى يدعي (سليمان) «كان لا ينهب سوى الاغنياء بينما كان يحرص على علاقات مخلصة مع الفقراء » • كير ، ص (١٤٠) •

الذين اعترفوا بحق أفراد القبيلة في ملكيتها فقد انتفضت قبائل المنتفك بقيادة أبناء الشيخ (فالح السعدون) ضد الاقطاعي (سعدون باشا) ، الذي حاول سلب الارض وتسجيلها باسمه • واعترفت اللجنة التركية التي بعثت لتحري أسباب الانتفاضة ، اعترفت بانها تسببت « نتيجة استحواذ عدد قليل من الشيوخ المتنفذين على جميع الاراضي الزراعية التابعة للقبيلة » واضطهادهم لافراد قبيلتهم »[78] • على ان الشيوخ الذين قادوا الانتفاضات الفلاحية سرعان ما أصبحوا هم أيضا مستغلين للفلاحين ومتعسفين بحقوقهم[79] • ونشأت حالات مشابهة في مناطق أخرى في العراق الاوسط[80] • كما ان اتحاد أفراد القبيلة مع بعض الشيوخ ، لم يكن يشكل تحالفا دائما ، وانما اتخذ شكلا موقتا ، كمساعي بعض الشيوخ في الحصول على تأييد التنظيمات العسكرية للقبيلة في خصوماتهم ضد أعدائهم ، أو امتناعهم عن مهادنة السلطات التركية وعدم مشاركتها في استغلال المواطنين ••• وما الى ذلك •

ومع ان السراكيل الذين يكونون الفئة السفلى من وجهاء القبيلة أو شيوخها ، يشاركون الشيوخ في استغلالهم لافراد القبيلة[81] ، الا انهم كثيرا ما انتفضوا ضد كبار الشيوخ دفاعا عن حقوق جماهير القبيلة • كما حدث في الانتفاضة التي شنها الفلاحون ضد سعدون باشا([82]) •

---

٧٨ ـ ديكسون ، ص • (٥٥٦) •

٧٩ ـ نفس المصدر ، ص (٥٥٥) •

٨٠ ـ ساخاو ، المصدر السابق ، ص (٧٩) •

الجمالي ، ص • (٧٩) •

٨١ ـ الجمالي ، ص (٨٤) • فقد استحوذ السراكيل على حصة كبيرة من مياه الري ••• الخ •

٨٢ ـ ديكسون ، ص (٥٥٦) •

ان احتفاظ القبيلة ببعض العلاقات الابوية وتمسكها بها ، خاصة منها التنظيمات العسكرية ، قد ضمن لها نجاحا موقتا في نضالها ضد محاولات الشيوخ للاستحواذ على أراضيها ، كما ساعدها على الاحتفاظ باستقلالها عن السلطات التركية . وقد ظهر ذلك بشكل جلي بالنسبة لقبائل الفرات الاوسط ، اذ انه بالرغم من وجود موظفين حكوميين في بعض المراكز في هذه المنطقة ، الا انهم لم يملكوا أي سلطات واقعية[٨٣] . ففي منطقة سوق الشيوخ - مثلا - لم يكن باستطاعة المسؤولين الاتراك مغادرة مقراتهم للاشراف على المنطقة[٨٤] .

ومن دراسة البناء الاجتماعي لقبائل الفرات الاوسط ودجلة ، الذين يعتنقون المذهب الشيعي في الاسلام ، فانه لابد من تأكيد ما تتمتع به المنظمات الدينيــة للعلماء الشيعة (المجتهدين) من نفوذ كبير بين أوســاط تلك القبائل[٨٥] . ويلاحظ ا نمعظم الممتلكات الوقفية للمنظمات الدينية الشيعية تتركز في ايران . ولذلك فقد كانت تعاني مركزا اقتصاديا ضعيفا في العراق أثناء الحكم العثماني ، الذي اعتمد المذهب السني . وحتى في المناطق التي تقطنها أغلبية من الشيعة ، كانت عائدية الممتلكات الوقفية لرجال الدين من المذهب السني . وقد اقتصرت الممتلكات الوقفية للشيعة على المناطق المحيطة

٨٣ - ساخاو ، المصدر السابق ، ص (٤٦) .

٨٤ - فيلبي ، ايج . اس . تي . ، ص (١١٤) .

٨٥ - تقع مراكز المنظمات الدينية الشيعية في النجف وكربلاء والكاظمين وسامراء . وفي هذه المدن ، خاصة منها المدينتين الاولتين ، يقطن كبار المجتهدين الذين لهم نفوذ كبير في المذهب الشيعي في الاسلام . ويعتبر المجتهد الرئيسي في كربلاء او النجف ، من الناحية العملية ، رئيسا لجميع المنظمات الدينية الشيعية في العراق كما هي في ايران والهند ... وغيرها .

بالمدن المقدسة : النجف وكربلا « الاراضي المقدسة »[٨٦] • حيث توجد المقابر التي تعتبر من اعظم المقدسات للشيعة ، اذ يبلغ مجموع من يدفن في منطقة كربلا والنجف حوالي ثلاثة آلاف نعش في السنة ، تنقل من ايران وما وراء القفقاس والهند وتوجد أراض مقدسة أخرى ، أقل أهمية في بعض مناطق العراق الاوسط[٨٨] •

وفيما عدا تلك المدخولات التي ترد الى المدن المقدسة ، فأن تجارة الترب والسبح[*] والاكفان واللوحات الدينية ، تلقى هي الاخرى ، رواجا كبيرا ، وتدر أرباحا جيدة[٨٩] •

وترد الى خزائن كربلا والنجف وغيرها من المدن المقدسة ، مبالغ طائلة من الاوقاف الشيعية في الدول الاخرى ، وكذلك الهدايا التي يبعثها أثرياء الشيعة في مختلف البلدان • وقد اكتسبت تلك الهدايا أهمية سياسية بالغة ، خاصة منها تلك التي تدعى ب (الهدايا الاودية) ، نسبة الى الشيعة

---

٨٦ ــ بريطانيا العظمى ــ المندوب السامي المدني ، ص (١٠) يوجد في النجف مسجد يقع فيه ضريح الامام علي ، وهو اول الائمة الشيعة • اما كربلا فانها مشهورة بضريح الامام الحسين ، وهو الابن الثاني للامام علي• ويتوجه لزيارة رفاة علي والحسين عشرات الالوف من الشيعة في مختلف البلدان ، حتى الوقت الحاضر •

٨٧ ــ Forbes, R. Conflict Angora to Afganistan. New York, 1931. p. 72.

فوريس ، آر • ــ معركة انكورا الى افغانستان • نيويورك ١٩٣١ ، ص (٧٢) •

٨٨ ــ من تلك الاراضى ، على سبيل المثال ، المنطقة الواقعة بين الحلة والديوانية ، حول ضريح الامام جاسم

(مجلة الجمعية الامريكية الشرقية) ١٨٩٦ ، المجلد السابع عشر ، ص ١٦٤ •

(*) جمع سبحة •

٨٩ ــ الزيارة الى كربلاء والنجف • اخبار سياحية لمؤمن محمدي من تبريز ، (خالية من محل الاصدار وتاريخ النشر) ، ص ١٧، ٢٨، ٢٩•

الذين يقطنون منطقة أود في الهند[٩٠] • ويمكن تصور ضخامة خزائن المدن المقدسة ، انه عندما غزا الوهابيون كربلا ، عام ١٨٠١ ، حملوا معهم ، اضافة الى كميات كبيرة من المسكوكات الشرقية ، (٦) آلاف دوبلن اسباني ، و (٣٥٠) ألف قطعة فضية فينسية ، و (٤٠٠) ألف دوكات هولندي ، و (٢٥٠) ألف تالير(*) اسباني[٩١] • وكان ينفق على اضاءة ضريح الامام علي عشرة آلاف جنيها استرلينيا في السنة[٩٢] •

يعتبر المجتهدون من الناحية الرسمية في مستوى واحد ، الا انهم يتدرجون في التنظيم من المجتهد الاكبر الى رجال الدين المنتشرين في مختلف المدن ، الذين يعتبرون رسلا للمجتهد الاكبر[٩٣] •

لقد كانت الروابط بين المنظمات الدينية الشيعية ، والقبائل الشيعية في العراق الاوسط ، قوية جدا ، وكانت تلك القبائل تدفع للمجتهدين

٩٠ ـ كانت ادارة (الهدايا الاودية) تبعث الى المدن المقدسة في العراق حوالي ٢١٢٠ الف روبية وبعد ان احتل الانكليز العراق ، لم يسمح المندوب السامي البريطاني بايصال الهدايا الاودية الى النجف وكربلاء سوى مرتين فقط • (انظر لونكريك ، ص ٣) •

* الدوبلن (doublon) كلمة فرنسية ، عن اصل اسباني ، وتطلق على عملة ذهبية اسبانية قديمة ، تزن حوالي ٥ر٠ غم من الذهب الخالص •

الدوكات (ducato) كلمة ايطالية عن اصل اغريقي ، وتطلق على عملة فضية قديمة ، تحولت فيما بعد الى عملة ذهبية ، صدرت لاول مرة في ايطاليا ، عام ١١٤٠ ، ثم انتشرت في جميع انحاء اوربا •

التالير (taler) عملة ذهبية المانية ، تعادل ثلاثة ماركات ، كانت متداولة حتى عام ١٩٠٧ • (المترجم)

٩١ ـ انظر ، آدموف ، ص ٣٩٥ •

٩٢ ـ ليل ، ص ٥١ •

٩٣ ـ الجمالي ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ •

الزكاة والخمس وفريضة على توزيع المياه ••• وما الى دلك[٩٤] • كما كانت تلك القبائل سندا لرجال الدين في نضالهم ضد السلطات التركية[٩٥] •

وكان لرجال الدين الشيعة نفوذ كبير في أوساط القبائل الشيعية في العراق ، الذين يرتبطون بالسكان بروابط الدم ، والذين يلعبون دورا مهما في الحياة اليومية للقرى وفي أوساط قبائل البدو ، وكثيرا ما دعي شيوخ القبائل للاجتماع بالمجتهدين لبحث المشاكل • وقد كانت العلاقات بين قبائل العراق الاوسط والمنظمات الدينية الشيعية ذات أهمية سياسية كبيرة •

لقد سادت المناطق الجبلية في العراق[٩٦] بقايا للعلاقات الابوية ، من

---

٩٤ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٨

انظر ايضا / ليل ، ص ٤٦ – ٠٥١

٩٥ـلقد اقيمت في النجف وكربلاء ادارة ذاتية دينية ، استمرت حتى اوائل القرن العشرين ، وكان المتصرفون الاتراك مضطرين للاعتراف بهذا الوضع • وكانت لتلك المدن شرطتها الخاصة ، كما استثنى سكان النجف وكربلاء من الخدمة العسكرية •

انظر / بريطانيا العظمى ، ص ٢٩ •

٩٦ ـ ان التركيب العرقي لهذه المناطق ، بالمقارنة مع ما ذكر من المناطق العربية ، كان معقدا الى حد كبير • حيث يشغل المواطنون الاكراد ممن يعتنقون المذهب السني الجزء الاكبر من كردستان العراق • وفي اقصى الشمال ، في منطقة عقرة يعيش الفلاحون الاثوريون • اما جبل سنجار فيقطنه اكراد من اليزيديين (كما يعيش اليزيديون شرقي الموصل ، على ان هذه المنطقة تختلف من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية عن المنطقة التي نحن بصددها ، ولذلك سنرجىء دراستها الى الفصول القادمة) •

حيث الشكل ، برقعت الاستغلال الاقطاعي ، واحاطته بهالة من القدسية . فقد تفسخت الروابط الابوية في هذه المناطق[٩٧] ، بسبب انقطاع علاقة القسم الاكبر من الاكراد واستقرارهم في (الرعية)[٩٨] . اما اولئك الذين احتفظوا بروابطهم السابقة بالقبيلة ، فانهم لم يختلفوا كثيرا عن الفئة الاولى ، وبدأوا يسلكون طريقهم الى الرعية[٩٩] . وقد كتب البحاثة الروسي بينزنكر يقول : « لقد تحولت العلاقات الابوية البطرياركية الى علاقات قانونية لنظام آخر . حيث بدأ النظام نصف الاقطاعي يظهر بالتدريج ، وأصبحت المميزات العامة للمجتمع ، تشبه الى حد كبير عهد الاقطاعيين النبلاء في روسيا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر »[١٠٠] .

واختفت الملكية المشاعة للارض من الناحية العملية في معظم هذه المناطق . وازداد خطر الغزوات التي كانت تشنها الجماعات الاقطاعية على الفلاحين المستقرين ، خاصة بعد زوال التنظيمات العسكرية القبلية . ولكي يدافع الفلاحون عن انفسهم ضد تلك الغزوات المدمرة ، فقد اضطروا الى منح الارض لاي من الاقطاعيين من رؤساء القبائل ، الاغوات والبيكات ، الذين يقطنون تلك المنطقة[١٠١] . واحتل هؤلاء الاقطاعيون مركز

---

٩٧ – الرائد تروتير – اكراد آسيا الصغرى . تبليس ١٨٨٢، ص٥٠

٩٨ – الرعية : اتاوة تفرض على سكان القرى سواء كانوا مسلمين او غير مسلمين . (الرعية – معناها الحرفي القطيع . وهي فئة من دافعي الضريبة في عهد السلاطين الاتراك . وقد اطلقت هذه التسمية ، منذ اوائل القرن التاسع عشر على السكان غير المسلمين – المترجم) .

٩٩ – كارتسيف ، ص (٣٥٠) .

١٠٠– بيننزنكر ، ص (٨ – ٩) .

١٠١ – سفاندزتيانتس ، ك – تاريخ اقليم فاسبوراكانسكي والبقاع المتاخمة له . تبليس ١٨٩٠ ص (١٦) .

المجلة الجغرافية . العدد (١٠٤) ص (٣٣٠) .

« المدافعين » عن الفلاحين ضد غزوات الاقطاعيين الاخرين[١٠٢] • وبتأثير الظروف السياسية والاقتصادية[١٠٣] ، ظهرت في بداية القرن العشرين ملكيات اقطاعية ضخمة ، حيث استحوذ رؤساء القبائل واثرياء المدن ورجال الدين والشيوخ على الملكيات الفلاحين الصغيرة[١٠٤] • فقد بلغت الاراضي التي استحوذ عليها رئيس قبيلة (الجاف) ـ مثلا ـ عشرات الالوف من الدسياتنات[*] ، بينما كان يقطن في أراضي (اسماعيل باي) التي صادرتها السلطات البريطانية فيما بعد ، ١٧٠٠ شخص ، وكان من المزمع توطين ٦٠٠ شخص آخر[١٠٥] • وقد أدى استحواذ الاقطاعيين على أراضي الفلاحين الاكراد الى توطيد الاستغلال الاقطاعي لجماهير الكادحين ني القرية ، وافقدتهم استقلالهم الشخصي ، بعد ان فقدوا استقلالهم

---

١٠٢ - Percy, H. A. G. Highlands of Asiatic Turkey. London, 1901, pp. 212, 240.
برسي • اج • اي • جي • الاراضى المرتفعة في تركيا الآسيوية لندن ١٩٠١ ، ص (٢١٢ ، ٢٤٠) •
بريطانيا العظمى ـ المندوب السامي البريطاني ، ص(٥٤)
١٠٣ـ سوان ، ص (١٠٩)
١٠٤ـ بينزنكر ، ص (٨)
معلومات عن اتنوغرافية وجغرافية تركيا الآسيوية • تبلس ١٨٨٨ ص (٣٣) •
Luke, H. C. Mosul and its minorities. London, 1925, p. 130.
لوك ، هـ ك • • الموصل والاقليات القاطنة فيها • لندن ١٩٢٥ ، ص (١٣٠) •
بيرسي ، اج ، ص (٢١٦ ، ٢٢٤)
(*) الدسياتن : وحدة روسية لقياس مساحة الارض وتساوى (١ر٠٩) هكتارا ـ المترجم) •
١٠٥ـ بينزنكر ، ص • ص (٨) ،
كولدجيان ، ص (٢٨٢) •

الاقتصادي[١٠٦] .

وقد عانى الاكراد الرحل ، وأشباه الرحل (الكوچر)[١٠٧] ، الذين حافظوا على استقلالهم الظاهري ، عانوا ظروفا استعبادية لا مثيل لها . وتحوّل معظمهم الى رعاة مأجورين[١٠٨] . وكان الكثيرون منهم محرومين من أي رأس من الجياد[١٠٩] . ولم يكن لديهم من الماشية ، ما يوفر لهم حدا أدنى من الاستقلال الاقتصادي . كما حرموا من الحقوق السياسية التي كانوا يتمتعون بها في المنظمات القبلية . واضطر قسم منهم الى الانخراط في خدمة رئيس القبيلة وحراسته ، مما أفقدهم ارادتهم ، بشكل مهين للغاية[١١٠] ونتيجة للاستغلال الاقطاعي ، فقد حاول قسم من الرحل الهرب من (الرعية) تخلصا من المستغلين .

وقد تحولت القبائل التي تقطن جنوب كردستان ، الى تنظيمات طبقية

١٠٦ـ « لقد كان المزارعون خاضعين الى رؤساء القبائل او اثرياء المدن »

Emin, A.. Turkey in the worldwar. New Hafen 1930, p. 208.

أمين ، آ . ، تركيا في الحرب العالمية . نيوهافن ١٩٣٠ ، ص (٢٠٨) .

١٠٧ـ اسماعيل جول . ص . (ج) كان الاكراد اشباه الرحل ، يكوّنون القسم الاكبر من سكان كردستان العراق . وقد كان هؤلاء يقطنون شتاءا في قرى موقتة قرب الحقول . اما في الصيف فكانوا يتنقلون باحثين عن المرعى في ساحات واسعة ، من حوض دجلة حتى كرمنشاه وساكيز (في بلاد الفرس) .

١٠٨ ـ صون ، ي.ب. الاكراد وبلادهم . ترجم عن اللغة الانكليزية وزود بملاحظات وتعليقات من قبل نيكيتين ، الذي كان يشغل منصب نائب القنصل الروسي في اورميا . اورميا ١٩١٧ (اورميا : مدينة تقع في الشمال الغربي من ايران . وتعتبر مركزا للتجارة والمواصلات بين خوي ـ في ايران ـ والموصل ـ المترجم) .

١٠٩ ـ كورتسيف ، ص. (٣٥٢ ، ٣٥٤) .

١١٠ ـ سايكس ، (٤٣٠ ـ ٤٣١) .

لخدمة مصالح الاقطاعيين ، حتى ان (بينزنكر) قارن هذه التنظيمات بتلك المقاطعات الصغيرة ، التي انتشرت في بولونيا في القرون الوسطى[١١١] . وتعتبر قبيلة الحماونديين مثالا للاتحاد الاقطاعي في تلك المنطقة . اذ انه « من أجل الاستحواذ الكامل على الرعية ، فقد قاموا بتوطين العائلات الفلاحية في تلك المناطق ، وبنوا القصور المنيعة في الاقطاعيات الزراعية مكونين اتحادات لفرسان قراصنة ، ترتبط ارتباطا عضويا بالاتحادات القبلية »[١١٢] . وكانت منظمات « فرسان القرصنة » تقوم بنشاطها باسم القبيلة ، فهي تعمل على تعزيز الاستغلال الاقطاعي على أفراد القبيلة ، أو على اؤلئك الذين فقدوا روابطهم القبلية .

ويعيش صغار الاقطاعيين عادة قرب مسكن الاقطاعي الكبير ، الذي يعتبر رئيسا للقبيلة[١١٣] . وكان الابناء يتوارثون منصب الشيخ عن آبائهم . ولم يهمل هذا التقليد الا في حالات النزاع بين الطبقة الاقطاعية نفسها .

ويعتمد الشيخ في اخضاعه لافراد القبيلة ، على حرسه الخاص ،

---

١١١ ـ بينزنكر ، ص . (٨) .

١١٢ ـ المصدر السابق ، ص . (١٩) .

CCCC No. 11-12 cup. 7-8.

١١٣ ـ كثيرا ما يحدث ان ينضوي رؤساء القبائل الصغيرة تحت لواء رؤساء القبائل الاكبر منها . ففي منطقة راوندوز كانت قبيلة ريكاني خاضعة لزعيم قبيلة ارامار ، وبعد ذلك اصبحت تابعة للشيخ صادق امير منطقة شمس الدين . وقد كانت القبائل التابعة تدفع اتاوة باهضة للاقطاعيين الذين انضوت تحت حمايتهم . فقبيلة ريكاني كانت تدفع للشيخ محمد صادق ١ من ١٠ من الحاصلات التي تزرعها .

(Bulletin of the School of Oriental Studies, 1923-1925 vol. III, pp. 70, 74.

وفرق الفرسان الاقطاعية الخاضعة له[١١٤] ، التي انخرط فيها بعض من أفراد القبيلة نفسها • وتكون هذه المجموعات ، قوة مسلحة مهمة ، تضم بضع مئات من المحاربين • فقد جمع زعماء الجاف ــ مثلا ــ أربعة آلاف رجل لهذا الغرض[١١٥] •

ومع انه سمح لافراد القبيلة العاديين بالانتماء الى تلك المجموعات ، الا انها لم تفقد وظيفتها كقوة مسلحة لخدمة الطبقة الاقطاعية ، حيث يكوّن الحرس الاقطاعي القسم الاكبر من أفرادها •

اما المنظمات الاقطاعية في منطقة الاثوريين (حكيار) ، وجماعات اليزيديين في جبل سنجار ، فقد كانت على نحو آخر ، اذ اكتسبت طبيعة شبه تيوقراطية ، حيث كان رئيس قبائل الاثوريين ، الذي يدعى (المارشمون) ، يحتل مركزا معقدا في التدرج الدنيوي باعتباره اقطاعيا ، وكذلك في المركز الديني ، باعتباره رئيس المنظمة الدينية في القرية • وهو يعتمد على مجموعات من الحرس الخاص والاتباع الدنيويين والدينيين على حد سواء[١١٦] • وفي منطقة اليزيديين كان رئيس الملة يشغل

---

١١٤ ــ صون ، ص (٢٠٧ ، ٢٢٤)
برسي ، ص (٢٤٨)
١١٥ ــ صون ، ص (٢٢٤)
١١٦ ــ مالوما ، يا • « طبيعة ومنطقة حكيار » اخبار الجمعية الجغرافية الامبراطورية الروسية – قسم القفقاس ، الجزء الثاني ، ص (١٥٦ـ١٥٧) •

معلومات عن اتنوغرافية وجغرافية تركيا الاسيوية • تبليس ١٨٨٨ ص (٣٠ ، ٣١ ، ٣٤) •

« مجلة الجمعية الشرقية الامريكية » نيوهافن ١٩٠ ، العدد (٢٢) ص (٨٠) •

Hourani, A.H. Minorities in the Arab Wolrd. London 1947, p. 99.

حوراني ، آ • هـ ، الاقليات في العالم العربي لندن ١٩٤٧ ، ص (٩٩) •

منصبا دنيويا متوارثا يدعى (مير ميران)[١١٧] ، ولهذا الرئيس وزن كبير في المنظمات اليزيدية الدينية • وهو يشغل مركز المستغل الرئيسي لكادحي اليزيديين •

لقد سادت في كردستان وجبل سنجار علاقات المزارعة بين الملاكين والفلاحين ، اما الايجار النقدي فكان التعامل فيه على نطاق ضيق • وتختلف حصة الفلاح من منطقة الى أخرى ، حيث تخضع لعوامل متعددة •

اما بالنسبة للقبائل الكردية القاطنة في تركيا ، والتي تنزح عادة خلال فصلي الربيع والصيف الى بلاد فارس طلبا للمرعى ، فان عليها ان تدفع لزعماء القبائل المحلية من ٥ ــ ٦ قرانات أو خروفا واحدا مع خيمة ، عن حق استعمال المراعي خلال موسم الصيف • و « اذا شرعت تلك القبائل بالزراعة الربيعية بأي شكل من الاشكال ، فان عليها ان تدفع ٢/١٠ من الحاصل »[١١٨] • وتتحمل هذه القبائل ــ اضافة الى ذلك ، التزامات عديدة لمصلحة زعمائهم • وفي جبل سنجار كان الـ « مير ميران » يستحوذ على

---

١١٧ ــ علي سيدي الكوراني ، من عمان الى العمادية جولة في كردستان الجنوبية • عمان ١٩٣٩ • ص (١٨١ــ١٨٢) •

سيمينوف ، أ•أ• جيل الشياطين لدى الاكراد في اسيا • نشرة جامعة آسيا الوسطى التابعة للدولة ١٩٢٧ عدد ١٦ ، ص (٦٩) •

جول • ص (٤) •

(*) التيوقراطية ــ تنظيم خاص لادارة الدولة ، تتركز السلطة السياسية فيه بيد الكهنة ورجال الدين ، ويتميز هذا النظام عن نظامي العبودية والاقطاع • ويعتبر (الفاتيكان) النموذج الوحيد المتبقى لهذا النظام في الوقت الحاضر – (المترجم) •

١١٨ ــ اياس ، أ•ي • ــ رحلة في شمال كردستان الفارسية ، الفوج اللاتفي ــ العقيد اياس ، أ • ي • القنصل الامبراطوري الروسي السابق في سوج – بولاج ، بتروغراد ١٩١٥ ، ص • (١٠)

المحصول والماشية من كل فلاح[119] . كما يلزم الفلاحون بجمع مبالغ كبيرة لحساب المنظمات الدينية اليزيدية[120] ، اضافة الى ما يقدم لرجال الدين اليزيديين من الهبات والهدايا في مناسبات الولادة والزواج[121] وما الى ذلك . وفي أثناء الطقوس الدينية التي يقوم بها رجال الدين في القرى اليزيدية ، حاملين معهم الرايات المقدسة ، فان على السكان الذين تمر المواكب بهم ان يطعموا القائمين بتلك الطقوس[122] ، اما في حالة عجز السكان عن دفع ما يترتب عليهم من التزامات ، فان عليهم دفع

---

١١٩ ـ فوربس ، ص . (٣٢٤) .

لوك ص . (١٣٠ـ١٣١)

١٢٠ ـ لقد جمع الـ(ميرميران)في منطقة بلد سنجار لسنة ١٩٢٤وحدها (١٤) الف ربية لخدمة ضريح الشيخ عاد ، وللانفاق على عائلته واقربائه .... وما الى ذلك .

Field, H. The Yezidis of Iraq (General Series of Anthropology No. 10. Menasha, 1943, p. 7.

فيلد ، هـ ، اليزيديون في العراق ـ (السلسلة العامة في الانثروبولوجي رقم ١٠) مناشا ١٩٤٣ ، ص .(٧) .

سيمينوف ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

بريطانيا العظمى ـ المندوب السامي البريطـــاني ، ص . (٤٩) .

چول ، ص (٤١) .

اوبينهايم ، الجزء الثاني ، ص . (١٥٠) .

١٢١ ـ Stevens E. S. By Tigris and Euphrates. London 192? p 190.

ستيفنس ، أ.اس . حوض دجلة والفرات لندن ١٩٢٣ ، ص (١٩٠) .

چول ، ص (٤ ـ ٧ ، ٤٨)

١٢٢ ـ سيمينوف ، المصدر السابق ، ص (٧٠)

الضرائب الدينية ، قسرا[١٢٣] • وفي حكيار ، كان الفلاحون يدفعون ـ بالاضافة الى الايجار النقدي ـ ضرائب مختلفة لمصلحة الكنيسة : كالعشر وغيره[١٢٤] •

لقد حصل الاقطاعيون الاكراد والاثوريون واليزيديون ، نتيجة استغلالهم لابناء جلدتهم ، على مبالغ كبيرة جدا حيث بلغ الايراد السنوي للشيخ محمد صادق ، رئيس قبيلة شمس‌الدين ، في أوائل القرن العشرين (٣٠٠) ألف قرش • اما مدخولات زعماء الجاف ، فقد قدرت بمئات الآلاف من الروبلات الذهبية[١٢٥] •

وبسبب المسألة القومية ، والعلاقات بين القبائل المختلفة ، فقد تأخر ظهور التناقضات الطبقية في كردستان • حيث استمرت النزاعات الدموية بسبب الخلافات القبلية والقومية والدينية ، مما كان سندا لطبقة الاقطاعيين • وتحولت العداوات بين زعماء القبائل المختلفة ، الى مصادمات عنيفة بين تلك القبائل • وعانى أفراد القبائل الامرين ، نتيجة غزوات حراس

---

١٢٣ ـ نفس المصدر • ص (٧١)
ستيفينس ، ص (١٩٠) •
"Bulletin of the School of Oriental Studies" London University, London, 1921-23, vol. II p. 204-205.
ان جميع افراد القبائل اليزيدية كانوا (مريدين) لدى احد رجال الدين ، وكانوا ملزمين بالقيام بواجبات متعددة تجاهه تفرضها الطقوس الدينية المتبعة (اسماعيل چول ، ص (١٨))•
فيلد ، ص • (١٠) •

١٢٤ ـ معلومات عن الاتنوغرافية تركيا وجغرافيتها ، تبليس ١٨٨٨ ص (٣١ ، ٣٣)
« انباء اركان حرب منطقة القفقاس » رقم ٣ ـ ٤ ، ص (٣٩،٤٠)
ماك كوان ، ك ،المحميات الجديدة التابعة لنا • وصف للخصائص الجغرافية والاثنوغرافية والاقتصادية لتركيا الاسيوية • ١٨٨٤ • ص (١٤٠) •

الاقطاعيين المعادين لزعماء تلك القبائل • بينما يلاحظ ان الكثيرين من الاقطاعيين الذين يحتكرون استغلال قبائلهم ، يقفون مع حرسهم باعتبارهم « حماة » لقبيلتهم ضد زعماء القبائل الاخرى[١٢٦] •

وقد حافظت المناطق المختلفة في كردستان وجبل سنجار ، حتى بداية الحرب العالمية الاولى ، على قسط كبير من الاستقلال الداخلي[١٢٧] • وكثيرا ما اشغل الاقطاعيون الكبار مناصب امراء محليين ، يتمتعون باستقلال نسبي عن الولاة الاتراك ، ويحتكرون حق ادارة المناطق الخاضعة لهم • وقد اعترفت السلطات التركية بهذا الواقع ، ونصبت الاقطاعيين ولاة في المناطق التابعة لهم ، ودفعت لهم رواتب حكومية[١٢٨] • وكان بعض كبار الاقطاعيين يتمتعون بحق سيادة الدولة في المناطق الخاضعة لهم • فقد احتكر شيخ شمس الدين بيع التبوغ في منطقته ، وسيطر زعماء منطقة العمادية على تجارة العفص••• وهكذا • اما الثروات الباطنية فقد أصبحت في بعض المناطق (كما هي الحال في شمس الدين) محل احتكار الزعماء الافطاعيين من الناحية الفعلية[١٢٩] • وكانت لزعماء القبائل المتاخمة للحدود الايرانية ،

---

١٢٥ ـ بينزنكر ، ص (٨) ،
بيرسي ، ص (٢٤٨)

١٢٦ ـ الرائد تروتير ـ اكراد اسيا الصغرى • تبليس ١٨٨٢ ،
بيرسي ، ص ٢٤٨

١٢٧ ـ لقد كانت اكبر الامارات في كردستان : حكيار ، منطقة الاثوريين ، وامارة شمس الدين ، ومنطقة قبيلة جاف ، وعدد غيرها •

١٢٨ ـ « نشرة معلومات عن الدول المجاورة ، تحصل عليها المخابرات » تبليس ، رقم١٥ ، ١٦ ، ص (١٦) ، ورقم ١٩ ، ٢٠ ص (٥)
بينزنكر ، ص (٨) •

١٢٩ ـ « نشرة معلومات عن الدول المجاورة ••• » رقم ١١ ، ١٢
ص (١٦) ، رقم ١٩ ، ٢٠ ، ص (٤،٥،٨) •
بيرسي ، ص ٢٤٨ـ٢٢ •

علاقات مستقلة مع الحكومة الايرانية ، وكانوا يبعثون بممثلين عنهم الى طهران ، مما يكشف عن ضعف السلطات التركية في تلك المناطق •

ولم يكن للادارة التركية نفوذ ، سوى في المناطق المحيطة بالمدن الكبيرة ، وكذلك في الوديان القريبة ، حيث تعسكر حامياتهم القوية • اما في الامارات شبه المستقلة ، المنتشرة في كردستان ، فقد اقتصرت سيادة الامبراطورية العثمانية على جباية ضريبة اسمية ، كان يدفعها هذا أو ذاك من زعماء القبائل[١٣٠] • ولم يخدم سكان هذه المناطق في القوات المسلحة التركية • وفي جنوب كردستان ، امتنع السكان المحليون عن تنظيم وحدات الخيالة المسماة بـ « الحميدية » ، التي كان يجب ان تؤلف من الاكراد أنفسهم[١٣١] •

د - مناطق بغداد والبصرة والموصل :

تتميز هذه المناطق بضمور كامل للعلاقات الابوية البطريركية • حيث لم يكن لتلك العلاقات أي مظهر سوى بعض الآثار التاريخية[١٣٢] • ولم يبق للاستغلال القبلي للارض ، الذي كان سائدا من قبل ، وجود فعلي عندئذ • حيث طرد الاقطاعيون الفلاحين من الارض ، والزموهم بالتخلي عنها دون ثمن ، وقد توصلوا الى ذلك باسناد من السلطات التركية ، التي القت بالعصاة من الفلاحين في السجون[١٣٣] • ومما اسرع

---

١٣٠ - «نشرة معلومات عن الدول المجاورة ...» رقم ١٥ ، ١٦ ص (٢٢) صدون ، ص ٢١٣

١٣١ - آفير يانوف،«عرض اثنوغرافي عسكري سياسي عن الممتلكات الاسيوية للامبراطورية العثمانية سانت بتربورغ ١٩١٢ ، ص (١٢)

١٣٢ - بيرسي ، ص ٢٤٩

«الخليج الفارسي» ، ص ٧٨

١٣٣ - بريطانيا العظمى - المصدر السابق ، ص ٥٢

في القضاء على الملكيات الفلاحية الصغيرة للارض ، اضطرار الفلاحين الى رهن أراضيهم لدى المرابين لقاء القروض التي يقترضونها بفوائد عالية ، بسبب كثرة الضرائب المفروضة عليهم من قبل الدولة ، واستغلال الاقطاعيين والتجار الجشعين[١٣٤] لهم .

وقد سادت في هذه المناطق ، حتى أوائل القرن العشرين ، حيازات كبيرة للاراضي من قبل الاقطاعيين . بحيث بلغت حيازة اثني عشر فقط من كبار الاقطاعيين ، في منطقة شط العرب من ١٦٠ اى ٤٠٠ هكتار أو أكثر من ذلك ، من أخصب بساتين النخيل[١٣٥] .

وكانت بساتين ديالى ملكا لبضع عائلات من الاثرياء الاقطاعيين الذين يقطنون بغداد . وقد بلغت مساحة هذه البساتين عندئذ أكثر من ٥٠٠ هكتار[١٣٧] . كما احتفظت الدولة الاقطاعية ، والاقطاعيون الاعراد ، بملكية قنوات الري في البلاد .

وكان رؤساء القبائل ، أمثال السويدي والهاشمي ، وجميل زاده ، وغيرهم ممن يقطنون بغداد والعمارة والموصل وبعض المدن الاخرى ، يستحوذون على مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية . ففي منطقة البصرة - مثلا - لم يتجاوز عدد الملاكين أربعة من شيوخ لقبائل ووجهاء المدينة

---

١٣٤ - المصدر السابق .

١٣٥ - كولدجيان ، ص ٢٨٣

١٣٧ - Bell, G. L. The Letters of Gertrude Bell, vol. II. London, 1927, p. 449.

بيل ، جي . آيل . رسائل جرترود بيل ، لندن ١٩٢٧ ، ج (٢) ص٤٤٩ .

والتجار[١٣٨] • وفي منطقة الموصل شارك زعماء قبائل البدو أثرياء المدينة ، في الاستحواذ على اقطاعيات واسعة من أخصب الاراضي الزراعية •

وكان للملاكين حصة الاسد في استغلال الاراضي الوقفية ، المخصصة لخدمة المؤسسات الدينية • حيث انتشرت هذه الاراضي على نطاق واسع جنوب ولاية البصرة ، وكانت تدار من قبل المؤسسات الدينية ، وتعود ايراداتها الى الجهات التي رصد الوقف لخدمتها ، بعد خصم نسبة ضئيلة منها للمشرفين عليها •

ومن الطريف ، ان الفلاحين كانوا يرصدون أراضيهم للوقف ، خوفا من مساعي الاقطاعيين نقل ملكيتها اليهم ، « وبهذه الوسيلة فحسب ، كان باستطاعة الفلاحين الاحتفاظ لانفسهم بالحيازة الحرة للارض »[١٤٢] الا ان هذه الاراضي أصبحت ، من الناحية الفعلية ، ملكا لكبار رجال الدين ، ولم يعترف بحقوق المستغلين الحقيقيين للارض الا في حدود ضيقة جدا •

واضافة الى الاوقاف الاسلامية ، فقد كانت للكنائس حيازات واسعة من الاراضي • حيث اكتسب رجال الدين البطارقة والمطارنة ، في القرى المسيحية في الموصل ، حقوقا اقطاعية على الارض[١٤٣] •

لقد اتصفت الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذه المناطق بحرمان الفلاحين من الارض ، وتركزها بأيدي الاقطاعيين • وظهر في مناطق زراعة النخيل في البصرة نظام عرف في البلاد العربية بـ « المغارسة » ، ووفق هذا

---

١٣٨ ــ «مجموعة التقارير القنصلية» ١٠٥ ، رقم ٥ ، ص ٣٧٣ «الخليج الفارسي» ، ص ٥٤

١٤٢ ــ المجموعة التركية (عن الاحداث في الشرق الادنى) رئيس التحرير بكرمان ، م٠ك ٠بترسبوغ ١٩٠٩ ، ص (١٤٣) ماك كوان ك٠ ، ص (٢٨٤) ٠

١٤٣ ــ بريطانيا العظمى ، المصدر السابق ، ص ٥٤ ٠

النظام كان على الفلاح ان يعمل في الارض العائدة للملاك ، بفلاحتها ، وزرعهـا ، وفتح القنوات فيهـا ... الخ ، وفي مقـابل ذلـك يحـق لـه ان يستغل المسـاحة التي تتخلل النخيـل بالخضروات والحبوب ، خلال سبع سنوات (وهي المدة التي تعطي فيهـا النخيل محصولها من التمور) . وبانتهاء هذه المدة يعيد الفلاح الارض للاقطاعي ، ولا يأخذ عن عمله الشاق في زراعة النخيل سوى قران ايراني واحد عن كل نخلة . اما اذا كان الفلاح قد غرس النخيل بنفسه ، فعندئذ يستلم جزءا من الارض المغروسة تتراوح من ربع الى نصف الارض[١٤٤]. الا ان مثل هذه الحالة لم تكن مطبقة من الناحية العملية ، حيث لم يملك الفلاح في أغلب الاحيان سوى ذراعيه ، وبعض الادوات البدائية ، وهو في البداية يرمي نفسه في اتون الالتزامات الجائرة من اجل ان يهيء مـا تحتاجه عائلته من غذاء . ولم تكن محاصيل الحبوب والخضروات التي كان يزرعهـا الفلاح بين النخيل ، تكفي لسد رمق عائلته ، نتيجـة الديون والاستقطاعات التي يجب عليه دفعها . وبعد انتهاء مدة السنوات السبع ، تكون الديون المتراكمة على الفلاح قد تجاوزت حصته من الارض المغروسة ، وعندئذ يصبح عبداً للمرابي الذي يكون في غالب الاحيان صاحب الارض نفسه . وعلى ذلك يقيد الفلاح بالارض التي سلمت له لزراعتها بعد ان كانت قفراء مجدبة .

وقد حدث نفس الاسلوب في استغلال الفلاحين في مناطق أخرى مشابهة[١٤٥] ، ففي منطقة الموصل ـ مثلا ـ تحول عدد كبير من الفلاحين

---

١٤٤ ـ آدموف ، ص (١٧١) .
« مجموعة التقارير القنصلية » ١٩٠٢ ، رقم ٥، ص (ص٣٥٧ـ٣٥٨).
١٤٥ ـ گولدجيان ، ص (٢٩٧) .

الى رقيق أو اقنان مرتبطين بأرض الاقطاعي ، نتيجة الديون المترتبة عليهم لذلك الاقطاعي[١٤٦] .

لقد ساد مناطق الموصل وبغداد والبصرة ، في أوائل القرن العشرين ، شكل كامل للاقتصاد الاقطاعي ، حيث لم تكن هناك فروق تميزه عن النظام الاقطاعي سوى بعض المسائل التفصيلية .

وتشبه مناطق شمال العراق الى حد كبير المناطق الجنوبية لآسيا الصغرى وشمال سوريا . فقد دخل الوسطاء ، في معظم الحالات ، في العلاقة بين الملاكين والمستغلين المباشرين للارض[١٤٧] . وكان الملاك يستحوذ على نسبة من الحاصل تتراوح بين ١-١٦ و ١-٤ وكقاعدة كان يستحوذ على $\frac{1}{8}$ المحصول[١٤٨] . أما الملاكون الذين يستغلون الارض بصورة مباشرة ، أي بدون وسطاء ، فقد كانوا يستحوذون على دخل أكبر بكثير من أولئك . وفي وصف للفلاح المحاصص (المرابعجي) ، كتبت (بيل) تقول ، ان هذا الاصطلاح يستعمل لان الفلاح « لا يحصل مطلقا على ربع المحصول من الارض التي يزرعها ، ولا تزيد حصته في الوقت الحاضر على $\frac{1}{8}$ المحصول على أحسن تقدير ، وغالبا ما يكون مدينا للملاك ، صاحب الارض ، مما يجعله أشبه بحالة الرقيق المقيد بالارض »[١٤٩] . وبالاضافة الى ذلك فقد كان على معظم الفلاحين أن يفتدوا أنفسهم ضد الغزوات التي يشنها شيوخ البدو ، بدفع أتاوة خاصة

---

١٤٦ ـ بريطانيا العظمى ـ المصدر السابق ، ص ٥٤ .
١٤٦ ـ المصدر السابق ، ص ٥٤ .
١٤٧ ـ المصدر السابق .
١٤٨ ـ ايضا .
١٤٩ ـ ايضا .

تدعى (الخوة)[١٥٠] • وقد سادت هذه الحالة في المناطق المحيطة ببغداد ، وفي حوض نهر ديالى • ووصفت الرحالة الانكليزية (آنا بلانت) فلاحي كوت الامارة بأنهم « فقراء للغاية ، ويتذمرون بمرارة من الحكومة التي تعمل على تدميرهم • فقد عاشوا تحت وطأة الحكومة التركية ، التي كانت تمتلك سفنا نهرية ، وجباة للضرائب يستحوذون على حوالي ثلثي المحصول • وعدا ذلك كان على الفلاح أن يدفع (١٠) عشر (بيزات) عن كل خيمة ، ونصف بيزة عن كل عنزة ، وبيزتين عن كل رأس جاموس ، مما كانوا يملكون ، بالاضافة الى ضريبة الدخل التي تقدر ب ٥ر٢ بيزة • كما يؤم الفلاحين ، بين حين وآخر ، رجال الشرطة ، حيث يستولون على خيولهم التي لم يتح لهم اخفاءها ، بحجة عدم امكانهم اطعامها • وقد فرض عليهم المدعو « مزبان » ، دفع أتاوة خاصة لحمايتهم ، ولمنحهم (الحق) في العيش بأمان »[١٥١] • وعلى ذلك فقد حكم على الفلاحين بالجوع والبؤس ، نتيجة ضخامة ما يستحوذ عليه الاقطاعي ، وقسوة نظام الضرائب الذي فرضته السلطات التركية •

أما حالة الفلاحين في مناطق النخيل حول البصرة ، فلم تكن أفضل مما هي عليه في المناطق الاخرى • ويقول (آدموف) انه في حالة تكليف الفلاح بدفع الضرائب الحكومية ، يقسم الحاصل الى ما يتراوح بين ١ـ٤ ، ١ـ٥ للملاك ومن ٣ـ٤ الى ٤ـ٥ للفلاح الذي عليه أن يدفع ⅓ المحصول سدادا للضرائب الحكومية • أما اذا دفع الملاك الضرائب الحكومية فان

---

١٥٠ ـ « انباء اركان حرب منطقة القفقـــاس » رقم ٥ ـ ٦ ، ص (٤٧ ـ ٤٨) •

١٥١ ـ بلنت ، ج (٢) ، ص ١٢١ـ١٢٢ ،
مزبان شيخ بني لام •

المحصول يقسم عندئذ مناصفة(١٥٢) • ويعتبر أكثر المعلومات دقة ، ما ذكره (خورشيد افندي) المندوب التركي في لجنة الحدود التركية ـ الايرانية ، حيث كتب يقول : ان الفلاح ، المستغل المباشر للارض كان يحصل على ربع الحاصل فقط من التمور(١٥٣) • ومع ذلك الاستغلال البشع لجهود الفلاح فان أسعار الاراضي الزراعية كانت هي الاخرى مرتفعة نسبيا(١٥٤) •

لقد كان نظام جمع الضرائب الحكومية أشد وبالا على الفلاحين من أي نوع آخر من أنواع الاستغلال • ففي عام ١٩٠٢ ـ مثلا ـ بلغ ما جمع من الضرائب في ولاية البصرة وحدها ٢٨٪ من المجموع الكلي ، وفي ولاية بغداد ٤٨٪(١٥٦) • ويلاحظ ان الملاك نفسه هو الذي يقوم بواجب الجباية(١٥٧) ، وهذا ما فتح المجال أمام الملاكين (خاصة في جنوب ولاية البصرة) الى مضاعفة نهبهم للفلاحين ، المستغلين الحقيقيين للارض •

لقد أدى تعسف الاقطاعيين ، وثقل الضرائب الحكومية الى ارباك الحالة الاقتصادية للفلاحين ، بحيث لم تعد هناك أية امكانية لتكوين اقتصاد مستقل لهم • حيث كان الاقطاعيون يقومون بدور المرابين وجباة للضرائب

---

١٥٢ ـ « مجموعة التقارير القنصلية » ١٩٠٥ رقم ١ ، ص (١٤) •

١٥٣ ـ خورشيد افندي ـ المصدر السابق ، ص (١٩،٥٤)• ويمكن اعطاء نفس التقدير في اوائل القرن العشرين بين ١/٤ الى ١/٣ ، كما ذكر في كتاب گولوبو رودكو ، اي • اي • تركيا القديمة والحديثة• موسكو ١٩٠٨ ص (١٣٠) •

١٥٤ ـ « مجموعة التقارير الفنصلية » لعام ١٩٠٢ ، رقم (٥) ، ص (٣٦٤) رقم (٦،٥) ص (٤٩) •

١٥٥ ـ بريطانيا العظمى ، المصدر السابق •

١٥٦ ـ « مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٥ ، رقم (١) ص ١٤) •

١٥٧ ـ برطايا العظمى ، لمصدر الساق •

في آن واحد ، وأخضعوا اقتصاديات القرية العراقيـــة لاهوائهم بصورة كاملة •

وبالاضافة الى السلطة الاقتصادية المطلقة للاقطاعيين ، فقد اكتسب هؤلاء سلطات سياسية مهمة جدا • وذلك بسبب (كراهية) الفـلاحين العراقيين للتقاضي أمام المحاكم ، ورغبتهم في حـــل منازعاتهم المشتركة بواسطة الاقطاعي[١٥٨] • وهذا يعني انه أصبح للاقطاعي حق القضاء في المنطقة التي يسيطر عليها •

ومع ما كانت تتمتع به السلطة التركية من قوة في هذه المناطق ، الا ان الاقطاعيين كانوا يحيطون أنفسهم بعدد كبـــير من الحرس الخاص ، يستخدمونهم لفرض سيطرتهم على الاراضي الخضعة لهم • وقد قاوموا بعنف ، محاولات الحكومة في التدخل بشؤونهم ، وأوضح مثال عـــلى ذلك ، ما قام به الحرس الخاص ل (طالب باشا) ابن نقيب البصرة ، من ارهاب للمواطنين ، في محاولة لاسناد عائلة الرفاعي وتوطيد هيمنتها على المنطقة[١٥٩] • كما لم يكن بامكان السلطات التركية معارضة آراء الفئات الاقطاعية في العراق[١٦٠] ، وكان باستطاعة بعض الاقطاعيين الأثرياء ، ممن لهم علاقة وطيـــدة مع اسطنبول ، رفض رؤساء الوحدات الادارية الذين لا يرغبون فيهم[١٦١] • ومع وجود اختـــلاف في وجهـــات نظر الاقطاعيين المحليين والحكومة المركزية التركية ، الا انهم اتحدوا معهـــا ، للمصالح العامة التي تربطهم بها ، خاصة في القضاء على أعمال (التمرد

---

١٥٨ ــ فوستر ، ٥٦ •

١٥٩ ــ ساخاو ، المصدر السابق ، ص ٢٣ •

١٦٠ ــ « الخليج الفارسي » ص ٧٣ •
بريطانيا العظمى ، المصدر السابق ، ص ٢•

١٦١ ــ ساخاو ، رحلة في سوريا وبلاد ما بين النهرين ، ص ٣٤٧•

والعصيان) التي تقوم بها الجماهير المستعبدة • وبالرغم من ظهور جماعات اقطاعية معادية للحكومة في بغداد والبصرة والموصل ، فان الاغلبية الساحقة من الاقطاعيين كانت سندا قويا للحكومة التركية • وقد أصبحت المنـــاطق الخاضعة لهؤلاء قواعد للسلطة التركية في البلاد • كما ألزموا فلاحيهم بالخدمة في الجيش التركي ، الا ان هناك مناطق عديدة في العراق احتفظت باستقلالها الداخلي ، متحملة عبء مقاومة السلطات التركية الدخيلة •

★

لقد ساد العراق بأكمله نظام الانتـــاج الاقطاعي ، رغم الاختلافات الكبيرة بين المناطق المختلفة في البلاد • واقترن ثراء وبذخ الاقطاعيين بمنتهى البؤس والحرمان للمنتجين المباشرين للخيرات المادية[١٦٢] • وكتب بلنت يصف حالة الفلاحين في منطقة كوت الامارة ، قائلا : « انهم يعيشون فعلا في حالة مؤلمة ، وغريب جدا انهم يواصلون عملهم المضني فيزراعة الارض، مقابل مثل تلك الحصة التافهة • الا انهم ، على ما يظهر ، أمام اختيار بين أمرين : حالة الفقر المدقع أو الموت جوعا »[١٦٣] •

ان البؤس الذي كان يعانيه الاطفـــال والكبار على حد سواء ، قد اتصف بالشمول ، والانتشار في جميع أنحاء البلاد ، مما أدهش الكثيرين

---

١٦٢ ــ مين ، ص ٢٦

Bonné, A., The Economic Divelopment of the Middle East. An Outline of Planned Reconstruction after the war. London 1945, p. 36.

بون ، أ • التطور الاقتصادى فى الشرق الاوسط• الخطوط العامة لخطة اعادة بناء ما بعد الحرب لندن ١٩٤٥ ص ٣٦ •

اي • مين ، العراق من الانتداب الى الاســـتقلال ، لندن ١٩٣٥ ، ص ٣٦ •

١٦٣ ــ بلنت ، ص ١٢٢

من الرحالة الذين زاروا العراق عندئذ[١٦٤] • وكتب الرحالة دبكسون يقول : انه لم يتيسر للبدو أن يذوقوا اللحم الا في الولائم التي يقيمهـــا الشيخ أو وجهاء القبيلة[١٦٥] •

وكان مسكن الفلاح في شمال العراق ، أشبه بحفرة تحت الارض ، حيث تعيش العائلة والماشية في مكان واحد • أما في المناطق الجنوبية ، فقد تكدس الفلاحون في أكواخ قصبية ، بينما سكن البدو خياما ممزقة ، كان يتصدق بها عليهم الشيوخ من حين وآخر •

وحاول الفلاح التخلص من البؤس الذي يعانيه ، بمضاعفة انتاجه وتطويره « فقد كان العمال الزراعيون يكدحون طوال النهار ويحرمون أنفسهم من استراحة الظهيرة ، عندما لم يكن بالامكان مقاومه القيظ الا بالحصول على فترة استراحة »[١٦٦] • الا أن محاولات الفلاح لتحسين حالته المعاشية ، في اطار العلاقات الاجتماعية السائدة ، قد باءت جميعهـــا بالفشل •

لقد أدى نهب الفلاح والبدوي ، من قبـــل الدولة والاقطـــاعيين والمرابين ، الى منع المستغل المباشر للارض من استخدام الاساليب الاقتصادية المتقدمة في الانتاج ، بل انه عجز عن السير بالانتاج بشكل طبيعي ، لاعتماده على المرابين بصورة كلية ، وتحوله الى محاصص مقيد • كما ان النزاعات بين القبائل المختلفة ، والغارات التي كانت تشنها القوات المسلحة التركية بين الحين والآخر ، وادخال نظام الجباية الالزامية لمصلحة الشيوخ ، كل

١٦٤ ـ صون ، ص ٣٥٧
١٦٥ ـ ديكسون ، ص ٥٣
گير ، ص ٩
١٦٥ ـ نيكسون ، ص ٥٣
١٦٦ ـ كوك ـ ص ٢٨٦ •

ذلك قد أعاق تطور الاقتصاد الفلاحي لقبائل الفرات الاوسط التي تعتمد على الزراعة • أما الاقطاعيون فلم تكن لهم رغبة في تطوير اقتصادهم • وقد أدى وجود جيش من الفلاحين الفقراء ، المستعدين للقيام بأي عمل ، الى توفر امكانيات واسعة للاقطاعيين لاستغلال الفلاحين المحاصصين الذين يسعون للحصول على دخل أكيد وسريع • ولمس الاقطاعيون عدم جدوى ادخال الماكنات الباهضة الثمن والوسائل الحديثة في الانتاج ، لانها لم تكن مربحة لهم ، بسبب عدم تحمل الفلاح المحاصص أي نفقات للانتاج • كما ان رأس المال الذي أنفقه التجار في الزراعة لم يغير الصورة العامة للانتاج في القرية •

لقد أدت سيطرة الامبراطورية العثمانية على العراق الى تحطيم الانتاج الزراعي في البلاد ، ليس بسبب التعسف في فرض الضرائب العالية ، التي حطمت الاقتصاد الفلاحي ، وأعاقت تطوره فحسب ، بل بسبب سياسة النهب المباشرة التي اعتمدتها الحكومة التركية في جميع أنحاء العراق • ولا يرصد من الضرائب التي تجبى في العراق الا جزء ضئيل للاغراض التي لها علاقة بالزراعة أو بالاقتصاد العراقي ككل ، ويخصص القسم الاكبر للانفاق على الجهاز الاداري التركي والجيش وفي المجالات التي تحددها حكومة اسطنبول • وعلى ذلك لم تعد الضرائب التي تجبى من العراق بفائدة على البلاد • ويكفي أن نذكر انه في عام **١٩١١** ، **بلغت** ايجارات ممتلكات الدولة **(٢ر٤)** **مليون** روبيـــة ، بينما **بلغت الضرائب**

المباشرة (٨ر٩) مليون روبية[١٦٧] ، جاء ثلثها من قطاع الزراعة • ولم تخصص من هذه المبالغ الضخمة سوى نسبة تافهـــة للنفقات الانتاجية • وتعتبر منظومة الري في منطقة الحلة ، أهم ما أنجزته الحكومه التركيـــة لخدمة الزراعة في العراق •

تنقسم البلاد من حيث أنواع المحاصيل التي تنتجها الى عدة مناطق : ففي منطقة البصرة تكون التمور المحصول الرئيسي • أما في منطقة الفرات الأوسط فالمحصول الرئيسي هو الشعير ، وفي أهوار العمارة الرز ، وتزرع الموصل وكردستان القمح بالدرجة الاولى • وتخصصت منطقة الجزيرة والبادية السورية بتربية الماعز والخيول والجمال • ويلاحظ عدم وجود قاعدة ثابتة لتحول الاقتصاد المغلق للفلاح والبدوي في العراق • فقد كان الفلاحون بصورة عامة ، يعتمدون في غذائهم على المحاصيل التي ينتجونها هم أنفسهم • واعتمد الاقتصاد الفلاحي ، اضافة الى الزراعة ، على بعض الحرف اليدوية ، « فقد أصبح الفلاح بالضرورة ، نتيجة لفقره ، حرفيا يصنع محراثه الخشبي ويصلحه بنفسه ، وكانت زوجته ، تغزل الصوف والقطن وتنسجه لتصنع الملابس لنفسها ولاطفالها »[١٦٨] •

وبقي الاقتصاد المغلق ، الذي لا توجـد له روابط قوية بالسوق ، سائدا في معظم مناطق العراق ، حتى أوائل القرن العشرين • ويذكـر

---

١٦٧ ـ Great Britain. Colonial Office Report by His Britanic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period April, 1923 -- December, 1924. London, 1925, p. 133.

دائرة المستعمرات لبريطانيا العظمى ، تقرير حكومة صاحب الجلالة لبريطانيا وشمالي ايرلندا الى مجلس عصبة الامم عن ادارة العـــــراق للمدة من نيسان ١٩٢٣ لى كانون الاول ١٩٢٤ ، لندن ١٩٢٥ ، ص ١٣٣ •

١٦٨ ـ جواد ، ص ٢٣

(گير) الرحالة والاثري البريطاني مثالا عن ضعف علاقات الاقتصاد الفلاحي بالسوق التجارية ، حيث يقول ان الاطفال الفقراء كانوا يرفضون استلام ما يتصدق به المحسنون من النقود ، لانهم لم يعرفوا ــ على مايظهر ــ الغرض منها[١٦٩] • وكانت امكانيات نمو الحرف الموسمية ضعيفة جدا نتيجة لطبيعة العلاقات في القرية في تلك الفترة •

ومن أهم تلك الحرف : صناعة السروج ، التي كان قد تخصص بها البدو وسكان الوديان القريبة من الانهار ، وأعمال جمع جذور السوس، والعفص ، وصنع الزوارق ، خاصة في المناطق التي تجرى فيها تعبئة التمور للتصدير •

وبدأت العلاقات البضائعية ــ النقدية ــ تنمو في المناطق القريبة من المدن ، حيث امتهن الفلاحون زراعة المحاصيل التي تلبي طلبات المدينة • ففي المناطق المحيطة بغداد كان القرويون ينتجون اللبن والفواكه والحطب ••• وما الى ذلك[١٧٠] لبيعها في المدينة كما ظهرت امكانيات واسعة في هذه المناطق لنمو الصناعات الحرفية ، باعتبارها مهنة ثانوية •

وهكذا فقد تقوضت أسس الاقتصاد الفلاحي المغلق في هده المناطق، وبدأت تتعزز علاقاتها بالسوق ، وظهرت أولى علائم العلاقات الرأسمالية في الزراعة ، باستخدام العمال الاجراء[١٧١] • وقد أدى ازدياد الطلب

---

١٦٩ ــ گير ، ص ٩

١٧٠ ــ المصدر السابق ، ص (٢٨٠) ، بيل ، ص ٤٣٤ ــ ٥٧٦ •

١٧١ ــ Stark, F. Beyond Euphrates. Auto-biography 1928-1933, London, 1951, p. 114.

اف • ستارك ، في اعالي الفرات • بيوغرافية ١٩٢٨ ــ ١٩٣٣ لندن ١٩٥١ ، ص ١١٤ •

على المنتجات الزراعية الى مضاعفة انتاج المحاصيل الزراعية ، وبدأ في هذه الفترة استيراد المكائن الزراعية والمضخات وغيرها من الدول الرأسمالية •

على ان تطور العلاقات الرأسمالية في القرية ، كان بطيئا جدا • فقد بقيت المشاعة الفلاحية في جميع أنحاء العراق • وفي بعض المنـــاطق في العراق ، كمنطقتي الفرات الاوسط ودجلة ، بقيت هذه العلاقات بوجود الاقطاعيين • أما في مناطق كردستان والموصل وبغداد والبصرة ، فقد أدت وظيفتها باعتبارها وحدة متحدة على أساس الحيازة المشاعة للارض • وهذا يدل على عدم عمق التناقضات الطبقية في تلك الفترة • ومما كان له أثر كبير في تعزيز العلاقة بين أعضاء المشاعة ، الرغبة في تنظيم الانتاج الزراعي وقد ساعد ذلك على بقاء المسؤولية المشتركة لاعضاء المشاعة على وجوهـــا السابقة(١٧٢) ، وتأخر ظهور الطبقات في المجتمع الريفي ، الذي كان يبدو على انه طبقة موحدة للمجتمع الاقطاعي •

وبدخول العراق النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي ، وارتباطـــه باحتياجات السوق الدولية ، ازداد الاقبال على المنتجات الزراعيه بشكل ملحوظ ، كما ازداد التبادل السلعي للمنتجات الزراعية والحيوانية زيادة كبيرة • وبذلك اتسعت المساحات المزروعة بوتائر ســريعة ، خاصــة في جنوبي جبل سنجار ، والاقسام الغربية من كردستان العراق ، وحول

١٧٢ ـ « ان القبيلة البدوية ، والقرية الفلاحية ، تعتبر نفسها وحدة اجتماعية • انهم يرغبون في العيش معا او الموت سوية • وتشمل الجريمة كل الجماعة • كما ان الفدية عن اعمال القتل ، والضرائب الحكوميــة المفروضة على المشاعة كانت تدفع من قبل الجماعة ، ولا تعتبر مشـــكلة فردية »انظر:

Gordon C. H. Lands of the Gross and Crescent, Aspects of Middle Eastern and Occidental Affairs. Ventnor 1948, p. 96.

شط العرب[١٧٣] . وقد مهد دخول العراق السوق العالمية ، لظهور عوامل عدة لانحلال الاقتصاد المغلق في القرية العراقية . وتوفرت امكانيات كبيرة لتطور الاعمال الموسمية في مؤسسات التجارة الخارجية التي كانت تتوسع بتعبئة ورزم المنتجات الزراعية ... وما الى ذلك . كما اتسع التبادل البضائعي بين المدينة والقرية ، نتيجة لهجرة قسم من سكان الريف الى المدن . على انه حتى تلك الفترة ، لم يكن أثر تلك العوامل كافيا .

لقد أدى التغلغل الاستعماري الى اعاقة التطور الاقتصادي في العراق بسبب سياسة النهب الامبريالية والتبادل غير المتكافيء بين العراق وانكلترا . كما أدى استيراد البضائع الصناعية الى عرقلة تطور الصناعة المحلية . وضاعف دخول العراق النظام الاقتصادي العالمي ، من بؤس جماهير الفلاحين . كما أدت زيادة الاقبال على المنتجات الزراعية في السوق العالمية الى زيادة ضغط الاقطاعيين على نظام الاستغلال الفلاحي الصغير لاراضي القبيلة في جميع أنحاء البلاد ، وانتشار نظام المزارعة الاستعبادي . وقد أخذ الاقطاعي يسعى بكل ما اوتي من قدرة الى زيادة كمية المنتجات الزراعية المخصصة للتصدير ، مما ضاعف من استغلال الفلاح والبدوي ، كما أدى نمو التبادل البضائعي للمنتجات الزراعية في العراق ، في تلك الفترة ، الى ارتفاع بدلات ايجار الارض . وبصورة عامة فقد كانت جميع المحاصيل التي تستلمها الدولة أو الاقطاعي كضرائب ، وبدلات ايجار عينية للارض ، تطرح في السوق المحلية . أما حصة الفلاح فكانت تستهلك بأكملها أو في معظمها لاغراض الانتاج . ويلاحظ ان تسرب رأس المال

١٧٣ ـ ادموف أ . ، ص ١٦٦
ساخاو بين دجلة والفرات ، ص ٤٨
سيكيس ، ص ٣٣٨ .

الاجنبي ، ودخول العراق السوق العالمية ، لم يؤد في تلك الفترة الى تغير كبير في الاقتصاد الفلاحي المغلق •

في نفس الوقت الذي تحولت فيه الزراعة لتلبية متطلبات السوق العالمية ، بدأ الانتاج الزراعي يرتبط بالدول الغربية الرأسمالية ، وأصبح العراق منتجا للخامات ، تابعا للدول الرأسمالية المتقدمة • وأوضح مثال على ذلك ، تحول عدد من المناطق ، خاصة منهـا منطقة شط العرب ، لزراعة محصول واحد فقط وهو التمور • وقد أصبح الاقتصاد الوطني في العراق ـ بما فيه الانتاج الزراعي ـ خاضعا لرأس المال الاجنبي ، الذي كان يقرر أسعار الشراء للتمور والحنطة والرز والشعير وغيرها من المحاصيل الزراعية •

المدينة ونشوء الانتاج الرأسمالي في البلاد

أ ـ ازمة الحرفيين :

تتيجة لسيادة النظام الاقطاعي في القرية العراقية ، وخضوع البلاد للامبراطورية العثمانية المتأخرة ، اضافة الى التسرب الاقتصادي لرأس المال الاجنبي ، فقد انخفض الانتاج الحرفي في المدينة العراقية الى حد كبير ، وواجهت الصناعة الحرفية الخراب أكثر من أي فرع آخر من فروع الانتاج • وأدى تدهور حالة الفلاحين ، وفقرهم المدقع ، الى انحسار السوق الداخلية ، وعرقلة نمو الصناعة • وقد كشفت الاحصائيات المتوفرة ، ضآلة القوة الشرائية للمواطن العراقي • ففي المدة من (١٨٩٠ ـ ١٩١٣) كان المعدل السنوي لمشتريات المواطن العراقي من

البضـــائع المستوردة من (٨٥) كبيــك الى (٤) روبــلات[*] و (٣٠) كبيك[١٧٤] ، بينما كان المعدل السنوي لمشتريات المواطن الايطالي في تلك الفترة (٣٦) روبلا ، والمواطن المصري (٢٢) روبلا ، وفي بقيـــة أرجاء الامبراطورية العثمانية (١٤) روبلا و (٩٠) كبيك[١٧٥] . وبلغ الاستهلاك السنوي للسكر في ١٩١٠ (٥ر٤) كغم للفرد الواحد ، بينما بلغ في تركيا في تلك الفترة (٨ر٦) كغم للفرد الواحد[١٧٦] .

لقد أدت هيمنة الامبراطورية العثمانية على العراق ، الى عرقلة تطور التجارة والحرف ، والصناعة ، بسبب الثروات الضخمة التي سلبتها من العراق على شكل ضرائب مختلفة . بالاضافة الى الآثار السيئة للنظـــام الاقطاعي الفوضوي السائد في العراق . وقد سادت الحواجز الكمركيـــة بين المناطق المختلفة في العراق ، حتى بداية الحرب العالمية الاولى ، وكانت الرسوم تجبى من المواطنين على الجســور والعبّارات ، لمصـلحة الدولة والاقطاعيين المحليين وشيوخ القبائل[١٧٧] . كما ان الورش الحرفية في المدن وغيرها من بقايا القرون الوسطى قد تأخر تطورها .

على ان أهم عائق في سبيل تطور المدينة العراقية ، هو توطد مركز الاستعمار في البلاد ، الذي حول البلاد الى منتج للمواد الاولية ، تابع للدول الرأسمالية والسوق التجارية العالمية .

(*) ـ الروبل = ١٠٠ كبيك = ٤٠٠ فلس (المترجم)

١٧٤ ـ كان سكان العراق (٣) ملايين نسمة في تلك الفترة .

١٧٥ ـ نوفيچيف ، أ . د . ، مقتطفات عن اقتصاد تركيا قبـــل الحرب العالمية . موسكو ـ لينينغراد ١٩٣٥ ص . (١٧٩) .

١٧٦ ـ نوفيچيف ، المصدر السابق ، ص (٨٦) .

١٧٧ ـ حقوق ، ص ١٣٣ ،
توماس ، ص ٨١ .
« انباء اركان حرب منطقة القفقاس » رقم (١٣) .

وتتحدث المعلومات المتعلقة بالتجارة الخارجية عن النمو المطرد لاستيراد البضائع الصناعية ، التي احتلت الاسواق الداخلية ، وعن انخفاض استيراد الخامات نصف المصنوعة ، التي يحتاجها الحرفيون لانتاج البضائع التي يكثر الطلب عليها ، خاصة منها الغزول والاصباغ (النيلة)[١٧٨] • وحتى بداية الحرب العالمية الاولى ، كان استيراد البلاد من الاقمشة قد استقر بنسبة ٤٣٪ – ٤٥٪ من مجموع الاستيرادات[١٧٩] • أما استيراد المكائن فكان ضئيلا جدا خلال هذه الفترة ، خاصة بالنسبة للمؤسسات التي تنتج للسوق الداخلية •

وليس عبثا أن يذكر القنصل البريطاني ، ان ايصال ماكنة نسيج يدوية واحدة يعتبر حادثا يستحق الاهتمام البالغ في تلك الفترة[١٨٠] • أما سبب زيادة استيراد المكائن في السنوات القليلة التي سبقت الحرب ، فيفسره توسع منشآت سكة حديد بغداد ، وانشاء مؤسسات اخرى للمواصلات ، واعداد المواد الاولية للتصدير • وعلى كل حال ، فان أوربا الرأسمالية استخدمت العراق والامبراطورية العثمانية بأكملها سوقا لترويج منتجات الصناعات الخفيفة ، وامتصاص البضائع ذات النوعيات الرديئة • فقد « كانت أوربا تصدر الى تركيا الصنف الثاني أو الثالث لبضائعها ، غير مهتمة بنوعيتها ، وانما تعني بمظهرها الخارجي فحسب • وكانت تلقي هنا بكل ما لديها من بضائع كاسدة وسقط »[١٨١] •

لقد واجهت الصناعة الحرفية المحلية الخراب ، نتيجة استيراد البضائع الصناعية الرخيصة • واذا كان عدد ورشت النسيج في بغداد في

١٧٨ ـ ادموف أ • المصدر السابق ، ص • (٥١٣) • وغيره •
١٧٩ ـ آدموف ، المصدر السابق ص ٥١٣ •
١٨٠ ـ المصدر السابق ، ص ٥١٤
١٨١ ـ گولوبورودكو ، المصدر السابق ، ص (١٥٠)،
انظر ايضا : كير ، ص ١٠٨

منتصف القرن التاسع عشر حوالي (١٢) ألف ورشة[١٨٢] ، فقد انخفض عددها في بداية القرن العشرين الى بضع مئات فقط • أما في البصرة فكانت هناك صناعة حرفية مزدهرة ، لانتاج قماش (البازة) والشماش في بداية القرن التـــاسع عشر ، الا ان هـــذه الصناعة اختفت تقريبا خلال هذا القرن[١٨٣] • كما تحطمت صـــناعة الاقمشة ذات الشهرة الواسـعة في الموصل • وكتب آدموف في ذلك يقول : « لقد عملت الصناعات الاوربية الرخيصة ، على قتل الانتـــاج المحلي للاقمشة بصورة تدريجية ، حيث ازدادت وتائر اضمحلالها في النصف الثاني للقرن التاسع عشر • بل ان ما اعتاد الناس على استعماله من الاقمشة المحلية الملونة ، استبدل بالاقمشة الاجنبية البيضاء ، خاصة في استعمال الاكفان ، وأصبحت المصنوعات المحلية أقل استعمالا من الشيت الاجنبي الجاهـز »[١٨٤] • وبازدياد اســـتيراد الاواني المعدنية المطلية بالمينـــاء من النمسا ، فقد تقلصت صناعة النحاس المحلية الى حد كبير • كما حلت البضائع الاوربية محل صناعة الاحـذية المحلية ••• وهلم جرا[١٨٥] •

وحلت بصناعة النفط المحلية ، والاسفلت ، في مندلي وهيت وأماكن أخرى ، أزمة عميقة[١٨٦] ، حيث عجزت عن منافسة نفط باكو والولايات

---

١٨٢ ــ خورشيد امين ، المصدر السابق ، ص • (٦٧) •
١٨٣ ــ المصدر السابق ، ص (٣) •
١٨٤ ــ آدموف ، ص • (٥١١) ،
لوك ، ص ١٥ •
١٨٥ ــ آدموف ، ص (٥٠٨) •
كير ، ص ١٠٨ •
١٨٦ ــ اي • شولنسه ــ النزاع من اجل نفط العراق وفارس • موسكو ١٩٢٤ ص ٥٦ ،
Kirchner Jwan, Der Nohe Osten. Brinn (1943), S. 574.

المتحدة • وقد اغلقت في ١٩٠١ العين النفطية في مندلي ، التي كانت تبعث بمنتجاتها حتى ذلك الحين الى بغداد[١٨٧] •

وهكذا فقدت الحرف العراقيـــة مركزها السابق ، باستثناء بعض الفروع القليلة لهـا ـ خاصة تلك التي تلبي الحاجات الخاصة بالسوق المحلية ، لانتاج الملابس الشعبية والاواني والاسلحة ••• وما شابهها ، اضافة الى الاعمال الحرفية الدقيقة •

وقد « كان العمال الماهرون جـــدا ، يعملون من عشر الى احدى عشرة ساعة يوميا ، أو أكثر من ذلك في بعض الاحيـــان • وعلى سبيل المثال ، يبدأ المصحّف عمله في الساعة السابعة صباحا وينهي عملـه في الساعة السابعة أو الثامنة مساء ، مع انه لا يتناول غداءه في بيته »[١٨٨] •

وبالرغم من ذلك العمل المضني ، لم يكن في وسع الكثير من الحرفيـين شراء المواد الخام الاعتيـــادية ، وكانوا مضطرين الى استعمال النفـايات وفضلات الانتاج • فمثلا كان النحاسون (الصفافير) يستخدمون الصفيح (التنك) القديم المتروك في النفايات ، الذي كان ينقل فيه الكيروسين الى العراق ، لعمل المصابيح[١٨٩] •

واتصفت الحرف المتبقية بطابع القرون الوسطى ، الذي كان الشكل السائد فيه أن يعمل الحرفي قرب السوق • ولم يرتبط أغلب الحرفيين في العراق بالانتاج الصناعي الثقيل أو بالمعامل الصغيرة ، وربما باعـــوا منتجاتهم بدون وسيط » • وقـد تحولت السوق عندئذ الى مكان للانتاج

١٨٧ ـ « المجلة الجغرافية » ، المجلد التاسع ص ٥٣١
١٨٨ ـ كوك المصدر السابق ، ص ٢٨٦
١٨٩ ـ كير ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦

والتجارة في آن واحد[١٩٠] ، نتيجة لازدهار الانتاج الحرفي • ويلاحظ ان الحرفيين في الورشة الواحدة كانت تربطهم ، في كثير من الاحيان ، روابط قومية أو دينية[١٩١] • فقد هيمن اليهود على صياغة الذهب بصورة رئيسية • أما صياغة الفضة فكانت بأيدي الصابئة العرب • ويلاحظ ان الحرف انتقلت بين الطوائف الحرفيـــة والحرفيين الافراد من جيـــل لآخر[١٩٢] •

كان المعلم الحرفي (الاسطة) ، يعمل لوحده عـــادة أو بمساعدة أفراد اسرته أو بعض تلامذته • أما وسائل الانتاج فهي بدائية جـدا ، حيث لم يكن بالامكان تحسينها لعدم توفر المعدات الضرورية لدى معظم الحرفيين • فقد كان العمال ـ مثلا ـ يستخرجون الاسفلت الساخن من المنبع بواسطة جذوع النخيل •

ب ـ ظهور الانتاج الرأسمالي ، وتسرب رأس المال الاجنبي :

لقد كانت المؤسسات الكبيرة التي خرجت من اطار الانتاج الحرفي قليلة جدا ، بحيث تعد بالاصابع • وقد ادخلت من الخارج ، ولم تكن نتيجة عفوية لتطور الرأسمالية في البلاد[١٩٣] ، وانما تعود بصورة عامة

---

١٩٠ ـ ستيفنس ، ص ٣٤ ، ١٣٠ المصدر السابق
ساخاو ، ص ١٢٤

١٩١ ـ علي سيدو الكوراني ، ص • (٢٤ ، ١٣٧) ، كوك المصدر السابق ، ص ١٢٣

١٩٢ ـ علي سيدو الكوراني ، ص• (١٥٣) ، ستيفنس ، ص ١٣٤ ، ١٤٥ لوك ، ص ٣١ •

١٩٣ ـ لقد واجه انشاء المؤسسات الاقتصادية في البـــلاد أقصى الصعوبات نتيجة نقص رؤس الاموال • فقد فشلت مشاريع الســـنوات الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر لاقامة خط السكة الحـديد بغداد ـ خانقين بالوسائل المحلية المتوفرة • انظر : لونكريك ، ص ٣٢ـ٣٣ •

لرأس المال الاجنبي أو الحكومة العثمانية ، فقد امتلكت الحكومة محطات التصليح الميكانيكية التي تعمل لحساب الجيش والاسطول ، والمصانع الحربية (العبخانة) في بغداد ، التي كانت تنتج قماش الجوخ والاقمشة القطنية والمصنوعات الحديدية والخشبية ... وما الى ذلك[١٩٤] . وكانت في بغداد أحواض لصناعة السفن ، ربما كانت تابعة للحكومة أيضا[١٩٥] . أما في البصرة فكانت هناك معامل للاسلحة البحرية ، وأقسام لتصليح مكائن السفن والمعدات والبنادق[١٩٦] . كما ان شركة النقل البحري الحكومية (أمان عثمان) امتلكت أحواضا لبنـــاء السفن في البصرة[١٩٧] . وكان معظم العمال الذين يعملون في تلك المؤسسات ، من الجنود المكلفين أو السجناء .

أما تطور المؤسسات الرأسمالية الخاصة فقد كان ضعيفا ، ولم يحدث أي تطور سوى في بعض الفروع الانتاجية التي تلبي احتياجات السوق المحلية كانتاج الاقمشة الخاصة لصنع الملابس القومية ، والشال ، ومواد البناء ، وصناعة السجاد والصباغة ، وفي الفروع التي لها علاقـة بتعبئـة المنتجات الزراعية وتهيئتها للتصدير ، وأعمال الحدادة والسراجة والنقل .

---

١٩٤ ــ « نشرة معلومات عن الدول المجـــاورة ، تحصل عليهـــا المخابرات » ، رقم (٢١ــ٢٢) ، ص (١٣ــ١٥) .
« مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٤ ، رقم ١ ص ٢٨ــ٢٩ ، ساخاو ، ص ٢٨ــ٢٩ المصدر السابق .

١٩٥ ــ لونكريك ، ص ٣٤ .

١٩٦ ــ آدموف ، ص ٣٢ .

١٩٧ ــ « مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٢ ، رقم ٤ ص٣٠٢
Great Britain. Foreign Office. Diplomatic and Consular Reports on Trade and Finance. London, 1890-1913, No. 4999, pp. 22-23.

اوبنهيم ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

وهنـاك معلومـات تدل على استخدام العمـل الاجير في الانتاج[١٩٨] •

وبذلك فقـد أسس عدد كبير من المعـامل الصغيرة لبعض فروع الانتاج في مختلف أنحاء البلاد • ففي بغداد ـ مثلا ـ انشئت تسعة معامل للدباغة وصناعة الجلود ، وفي الموصل أسس معمل لورق السجاير ، وفي البصرة أقيمت أحواض لصناعة السفن النهـرية الخشبية ••• وما الى ذلك • وانخرط عدد كبير من العمال للعمل في السفن العـائدة للتجار المحليين ، وفي مؤسسات النقل التابعة لشركات البريد ونقل المسافرين ، التي تعمل في طريق بغداد ـ كربلا ـ نجف ، وعلى عربات ترام بغداد ـ كاظمية التي تجرها الخيول • الا أن أكبر عدد من العمال كانوا يشتغلون في الاعمال الموسمية لتعبئة التمور المعدة للتصدير الى الخارج ، حيث بلغ عددهم (في البصرة فقط) بين ٢٠ ـ ٢٥ ألف شخص[١٩٩] •

على ان فروع الاقتصاد الوطني ، التي تطور فيها الانتاج الرأسمالي لم تتسع بشكل عام • وكقاعدة فانها لم تخرج عن نطاق الاشكال البدائية للرأسمالية • ولم تبق سوى تلك الصناعات التي تعمل على تلبية احتياجات السوق الرأسمالية العالمية ، والتي تخصصت في انتاج الخامات واعدادهـا للتصدير • وقـد ارتبطت هـذه الفروع تدريجيا برأس المـال الاجنبي ، وأصبحت في قبضته • وبالرغم من الاستغلال البشع للطبقة العاملة الناشئة ، فان الصناعة الوطنية في العراق لم تستطع منافسة البضائع الصناعية الاجنبية•

ان التطور الوحيد الجانب للعلاقات الرأسمالية في الاقتصاد الوطني في العراق ، قد واكب تسرب رأس المال الاجنبي في البلاد ، الذي تكيّف لتلبية احتياجات هذا أو ذاك من فروع الاقتصاد الوطني • وقد أصـبح

---

١٩٨ ـ «مجموعة التقارير القنصلية» لسنة ١٩٠٢ ، رقم٥ ص٣٦٨ •
١٩٩ ـ المصدر السابق ، لسنة ١٩٠٢ ، رقم ٤ ، ص ٣٠٢ •

العراق ميدانا لرأس المال الاجنبي والاحتكارات الاستعمارية ، كغيره من ولايات الدولة العثمانية الاخرى • وكانت المؤسسات التي انشئت بمساعدة رأس المال الاجنبي في تلك الفترة ، تعمل بالأساس لخدمة التجارة الخارجية • ويلاحظ ان تسرب رأس المال الاجنبي كان قد بدأ منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وبلغ أوجه في بداية القرن العشرين •

لقد انشئت في العراق ، في منتصف القرن التاسع عشر ، مؤسسات للنقل يمتلكها الرأسماليون الاجانب ، حيث حصلت الشركة الانكليزية « اخوان لنج » على امتياز بتأسيس خط مواصلات عبر نهر دجلة[٢٠٠] • وفي بداية القرن العشرين ، قامت هذه الشركة التي دعيت عندئذ ب « شركة النقل في دجلة والفرات قامت باحتكار التجارة النهرية في دجلة ، بالشكل الذي لا يتعارض مع مؤسسة النقل النهري الحكومية (أمان عثمان)[٢٠١] • وقد سبب ذلك نشوء مزاحمة غير متكافئة لسفن النقل المحلية • حيث هيأت هذه الشركة التجهيزات التكنيكية الضرورية لاحواض بناء السفن ومراكز تصليحها في البصرة ، وأصبحت أضخم مؤسسات النقل في البلاد • وقد استحوذت على أرباح ضخمة تراوحت بين ٢٠ ــ ٢٤٪ من رأس المال الموظف[٢٠٢] •

أما المؤسسة ، الكبيرة الثانية للنقل فهي الشركة الالمانية Societe des Transports Fluvi aix en Orient) التي تعهد باقامة سكة حديد بغداد ، فقد انشيء لخدمة الشركة عدد كبير من المرافق كالمخازن ، ومراكز التصليح ، والشركات النهرية • ومع ان هذه

٢٠٠ ــ كوك ، بغداد مدينة السلام ، ص ٣٤١ •

٢٠١ ــ المرجع السابق ، ص ٢٧٢ •

٢٠٢ ــ « انبار اركان حرب منطقة القفقاس » رقم ١٩ ص٦ •

الشركة لم تنجز حتى الحرب العالمية الاولى ، سوى جزء غير كبير من خط السكة الحديد ، الا انها وجهت ضربة قوية لاعمال النقل بواسطة العربات وكذلك النقل بواسطة الزوارق عبر دجلة(٢٠٣) وبغية اعداد المواد الخام والمنتجات الزراعية للتصدير ، فقد انشأت الشركات الاجنبية عددا من المطاحن الميكانيكية ، ومعامل تنظيف الرز ، وغسل الاصواف ، ومكابس لتعبئة الصوف ، وعرق السوس ، ومعامل الثلج ... وما شاكلها ، في بغداد والبصرة والعمارة ومدن اخرى(٢٠٤) .

ج ـ حالة جماهير الشغيلة في المدن العراقية :

لم يتجاوز عدد العمال الاجراء في العراق في تلك الفترة ، بضع عشرات الالوف ، بمن فيهم العمال الموسميون . ويلاحظ ان وجود عدد كبير من الفلاحين المعدمين المحرومين من الارض ، المستعدين للاشتغال في أي عمل ، بالاضافة الى الضغط المتزايد من قبل رأس المال الاجنبي ، كل ذلك قد أدى الى أبشع أنواع الاستغلال للعمال .

وبالمقارنة مع مستوى اجور العمال في بقية أنحاء الامبراطورية العثمانية ، فان مستوى أجر العامل العراقي كان منخفضا للغايه . ففي حين بلغ المعدل اليومي لأجر العامل في معامل النسيج في تركيا **(٤ر٨)** قرشا ،

---

٢٠٣ ـ آفيريانوف ، المصدر السابق ، ص ٣٧ . لم ينجز من خط السكة الحديد ، حتى بداية الحرب سوى جزء بغداد ـ سامراء .

٢٠٤ ـ آدموف ، أ. ، ص ٤٩٠ .

بارفيت ، اج. اى. تى. عشرون عاما في بغداد وسوريا ، تبين اطماع المانيا للسيطرة على الشرق . لندن ١٩١٧ ، ص ٧٥ .

Great Britain. Foreign Office, Diplomatic and Consular Reports on Trade and Finance, No. 1142, p. 7.

فان معدل الاجـــر في العراق لم يتجاوز (٧) قروش فقط • وبينما كان معدل الاجر اليومي للدباغ الواحد في تركيا (٦ر١٣) قرشا ، فقد بلغ في العراق (٥ر١١) قرشا[٢٠٥] • ويلاحظ ان الأجر اليومي للعامل بصورة عامـة كان يتراوح بين قرشين الى خمسة قروش[٢٠٦] • وقـد اتسـع استخدام الاطفال والنساء في المؤسسات الصناعية ، حيث كانوا يستلمون أجورا أقل بكثير مما يحصل عليه العمال البالغون • اذ كانت النسوة اللواتي يعملن على جمع الصمغ العربي ، وأعمال الصوف ، يحصلن على أجر أقل بمرتين أو ثلاث مرات مما يحصل عليه العمال من الرجال •

أما حالة عمال التراحيل (العمال المتنقلين) ، فكانت صعبة للغـاية حيث اشتغل هؤلاء في الاعمال الموسمية وفي رصف الطرق وبناء السدود • ويرسم آدموف صورة جلية لاهدار الحقوق والبؤس والخنوع التي كان يعيشها العمال العراقيون ، ففي أعمال تعبئة التمور وتهيئتها واعـــدادها للتصدير الى الخارج ، كان معظم العمال من النسوة اللواتي يقدمن الى البصرة مع أطفالهن ، وكن يعشن في أكواخ من القصب والحصران ، وتستلم الواحدة منهن في أحسن الاحوال (٥ر٢) قرشا يوميا • لقد كان العمال المكدسون في أقبية السكن التي اعدت لهم ، يتناولون غذاءهم مما جلبوه من بيوتهم من الطعام ، اضافة الى التمور التالفة (الحشف) التي

Farfit C. J. T. Twenty Years in Baghdad and Syria. Showing Germany's bid for the mastery of the East. London 1917, p. 75.

٢٠٥ ــ نوڤيچيف ، أ٠د٠ ، مقتطفات عن اقتصاد تركيا حتى الحرب العالمية ، موسكو – لينينغراد ١٩٣٧ ، ص ١١٣ •

Great Britain. Foreign Office. Diplomatic and Consular...", No. 4999, p. 23.

القرش يساوي ٨ كبيكات ذهبية تقريبا •

٢٠٦ ــ « انباء اركان حرب منطقة القفقاس » رقم ٣١ ، ص١٤ •

يتصدق بها عليهم أرباب العمل[٢٠٧] • ويضيف آدموف قائلا « ••• ولا يستغرب أبدا ، في مثل هذه الظروف ، أن يصاب معظم أهالي البصرة بالكوليرا ، والطاعون والحصبة وأمراض العيون »[٢٠٨] •

ونتيجة لبشاعة استغلال الفلاحين ، ظهر العامل الاجير الذي كان بالامس فلاحا أو حرفيا ، وفقد كل ما كان يتمسك به من عادات وتقاليد ، كقضايا التنظيم والواجبات التي كان يفرضها نظام الورشات أو النظام الاقطاعي أو الابوي البطرياركي[٢٠٩] • ودخل في العلاقة بين العمال وأرباب العمل ، عدد كبير من المتعهدين والوسطاء ، الذين ينحدرون من أغنياء الحرفيين أو من وكلاء الاقطاعيين • فقد منحت شركة حط سكة حديد بغداد التزام العمل في كل ١ ـ ١ر٥ كم الى أحد المتعهدين الذي كان بدوره يستخدم العمال ، لانجاز ذلك العمل[٢١٠] • أما عمال التراحيل الذين يعملون في كبس التمور ، فقد كانوا يتساومون عن طريق المتعهدين الذين يدعون (حمال باشي)[٢١١] ، وجرت حالات مشابهة في في أعمال النقل وبعض الاعمال الاخرى[٢٢٢] •

لقد كانت الطبقة العاملة عند نشأتها ، قليلة العدد ، شديدة الارتباط بالمجتمع الاقطاعي ، ولم تكن تمثل قوة طبقية ملحوظة • وأهم أسباب

٢٠٧ ـ « مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٢ ، رقم ٥ ، ص ٣٦٧ـ٣٦٨ •

٢٠٨ ـ المصدر السابق ، ص ٣٦٩ •
الجرداغ ـ موسم تجارة التمور في البصرة •

٢١٠ ـ « نشرة معلومات عن الدول المجاورة ، تحصل عليها المخابرات » ، رقم ٤٥ ، ص ٦ •

٢١١ ـ « مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٢ ، رقم ٥ ، ص (٣٦٧) •

٢١٢ ـ آدموف ، ص ٤٧٨ •

تأخر ظهور الوعي الطبقي للعمال ، عدم استقرار الطبقة العاملة ، وخاصة فئة العمال الموسميين ، الذين كانوا يعتبرون العمل في المدينة مساعدا موقتا للاقتصاد الفلاحي[٢١٣] ، بالاضافة الى تبعثر العمال في مؤسسات صغيرة ، وشركات منعزلة ، وقد حال ذلك دون تقارب العمال المؤقتين والدائميين لمختلف القوميات والعقائد[٢١٤] ، مما أعاق تضامنهم الطبقي ٠

ان الاستغلال البشع للعمال ، وعمل الحرفيين الشاق المضني ، قد سببا بؤسا مرعبا ومجاعة لا مثيل لها لجماهير سكان المدن ٠ فقد عاش الحرفيون والعمال الاجراء والمتشردون في أكواخ متهدمة أشبه بالانقاض ، وفي زرائب ضيقة من الطين ، في ظروف صعبة وغير صحية للغاية[٢١٥]٠

د ـ تجارة العراق الداخلية والكومبرادورية :

ان المدينة العراقية ، باعتبارها مركزاً للانتاج الصناعي ، سواء كان حرفيا أم رأسماليا ، قد بدأت بالاضمحلال والتدهور ، وتحولت الى مركز للمعاملات التجارية بالدرجة الاولى ٠ فقد اتسعت بشكل ملحوظ عمليات تبادل المنتجات الزراعية بين المناطق المختلفة في البلاد ، وكذلك تجارة المواشي في المناطق العربية ، كما ازداد الاقبال على حبوب الفرات الاوسط ، ونشطت تجارة الخيول الى حد كبير بين العراق والمناطق الوسطى من الجزيرة العربية ، وكانت الاسواق في مناطق البدو قوية وثابتة ، حيث

---

٢١٣ ـ يذكر (كير) على سبيل المثال ، ان حمالي بغداد ، كانوا اكرادا في معظمهم ، يقدمون الى بغداد من أجل أن يجمعوا كمية من النقود ليعودوا بها الى مناطقهم ٠ انظر كير ، ص١٠٢ ٠

٢١٤ ـ كير ، ص ١٠٢ ٠

٢١٥ ـ كوك المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ٠
بيل ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ ٠

كانت تباع الجياد وغيرها من البضائع الخاصة بحياة البدو • وامتد نشاط تجار بغداد والبصرة الى الاحساء ، ومناطق نجد وجبل شمر • كما نشطت الحركة التجارية بين المناطق الزراعية المختلفة داخل البلاد • فكانت الموصل تبيع الفحم لبغداد والبصرة • بينما تخصصت العمارة ببيع الرز ، ومناطق ديالى وعانة ببيع القطن ، وكردستان بالتبغ[٢١٦] •

وعرضت القبائل الرحل ، أعدادا كبيرة من المواشي للبيع في المدن ، فقد كانت ولاية الموصل – مثلا – تبيع سنويا من ٣٠ – ٨٠ ألف جنيها استرلينيا من الماعز الى سوريا[٢١٧] • كما بيعت المواشي الى مصر عن طريق سوريا ، وبيع الجاموس الى الاناضول[٢١٨] • وفيما عدا ذلك فقد نشطت تجارة المنتجات الزراعية في المناطق القريبة من المدن •

على ان التجارة الخارجية كانت قد احتلت المقام الاول في العمليات التجارية في البلاد ، مثال ذلك شراء المواد الخام وتصريف البضائع الصناعية الجاهزة المستوردة من أوربا[٢١٩] • وقد سبب ذلك اخضاع تجارة العراق للسيطرة المباشرة لرأس المال الاجنبي •

كانت المؤسسات التجارية الاجنبية تمسك في قبضتها مقاليد الامور في التجارة الخارجية للبلاد ، فقد أزاحت منذ أمد بعيد المراكز التي كان يحتلها التجار المحليون في هذا المجال •

Great Britain. Foreign Office. Diplomatic and Consular..." No. 4885, p. 7.

٢١٧ – المصدر السابق • وانظر ايضا : بيل ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، ١٩٠–١١٠ ، ٢٧٥ •

٢١٨ – لونكريك ، ص ٢٩ •

٢١٩ – وقد ظهر ذلك بوضوح في البصرة الميناء البحري الوحيد في العراق حيث اقتصرت الحياة الاقتصادية على خدمة التجارة الخارجية •

وضعفت أهمية الاسطول المحلي الذي كان يرتاد البصرة دائما لنقل البضائع من الميناء واليه • ففي خلال الخمس سنوات (١٨٨٧ - ١٨٩١) كانت قد أبحرت من ميناء البصرة (٦٠٣) سفينة شراعية ، بلغ مجموع حمولتها (١و٤٠) ألف طن ، أما في السنوات الخمس (١٩٠٧ - ١٩١١) فقد أبحرت (٤٢٢) سفينة شــراعية فقط بحمولة (٢ر٢٣) ألف طن • وخلال هذه الفترة أيضا كانت حمولة الاسطول التجاري قد ارتفعت من (٤ر١١٣) ألف طـــن الى (٣ر٢١٧) ألف طن ، أي انهـــا ازدادت الى الضعف تقريبا[٢٢٠] •

لقد أشغلت البرجوازية الكومبرادورية ، المرتبطة بالشركات التجرية الاجنبية ، المركز الرئيسي في عالم التجارة في العراق ، فمن بين المؤسسات الثماني التي قامت بتصدير (٣٠) ألف صندوق من التمور الى الخارج عام ١٩٠١، كانت اربع شركات منها أجنبية ، والأربع الاخرى كومبرادورية محلية مرتبطة برأس المال الاجنبي • وكان ممثلو المصدرين الاجانب ، والكومبرادور ، والاقطاعيون في البصرة ، يقومون بتحديد أسعار جميع أنواع التمور في اجتماعات خاصة تعقد لهذا الغرض[٢٢١] • وقد ارتبطت البرجوازية الكومبرادورية الكبيرة ، في تلك الفترة ، بعلاقات وثيقة مع الشركات الاجنبية • ونذكر على سبيل المثال ، عائلة (ساسون) التجارية المصرفية في بغداد ، التي كان أفرادها من كبار التجار في بومبي ، وكانت تملك معامل للنسيج في مانشستر ، ولها علاقات وثيقـــة بعائلة روتشيلد اللندنية[٢٢٢] •

---

٢٢٠ ــ آدموف ، ص ٤٧٤ •

٢٢١ ــ « مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٢ ، رقم (٥) ، ص (٣٦٥) •

٢٢٢ ــ آدموف ، ص (٢٢١) « تايمس » في ١٥ــ٥ــ١٩٢٠ •

وفي نهاية القرن التاسع عشر أسست في البصرة شركة مختلطة ، تركية ـ أمريكية ، لجمع وتصنيع وتصدير عرق السوس الى أمريكا (٢٢٣).

وكان نظام الاقراض أقوى وسيلة بأيدي الشركات الاجنبية لربط البرجوازية التجارية الوطنية في العراق بالمؤسسات المصرفية الاجنبية الضخمة ، التي تتعاطى الاقراض بفوائد عالية جدا . فقد كان للانكليز ـ مثلا ـ مكتب للبنك الشرقي في بغداد كما افتتحوا في بغداد والبصرة فروعا للبنك العثماني (٢٢٤) .

وكانت البرجوازية الكومبرادورية في معظمها ، قد نشأت من قوميات غير عربية ومن عناصر غير مسلمة ، فمن بين عشرين من كبار مصدري التمور ، كان ستة منهم فقط من العرب (٢٢٥). كما ان غالبية تجار البصره ، الذي يعتمدون بالاساس على التجارة الكومبرادورية كانوا من اليهود (٢٢٥)، فقد تركزت بأيدي هؤلاء تجارة الجملة للاقمشة ، وتجارة الترانسيت مع ايران (٢٢٧) . وفي كردستان احتكرت تجارة شعر الماعز من قبل بضع شركات مسيحية تعمل في بغداد ... وهكذا .

أما التجار العراقيون من العرب والاكراد فانهم كانوا يشغلون تجارة المفرق والتجارة المتوسطة . وكان في بغداد ، التي يعد نفوسها حينذاك

---

٢٢٣ ـ آدموف ، ص ٤٩٧ـ٤٩٩ .
٢٢٤ ـ نفس المصدر ، ص ٨٤ ، ٥٢٧ ، ٥٣١ .
٢٢٥ ـ « مجموعة التقارير القنصلية » لسنة ١٩٠٣ ، رقم (٣) ص (٢٢٦ـ٢٢٧) .
سرنچانيفوف ، ن. الشرق والغرب ، موسكو ١٩١٢ ، ص ٢٣٣ـ٢٣٤ .
٢٢٦ ـ ستورس ، ص ٢٢٨ .
٢٢٧ ـ صون ، ١٢٤ .
« الاستخبارات العسكرية لمنطقة القفقاس » في ٣٠ـ٤ـ١٩١١ .

ب (٢٠٠) ألف نسمة ، حوالي (٤) آلاف مخزن صغير (دكّان) . أما في البصرة ، التي كان عدد نفوسها (٦٠) ألف نسمة ، فقد كان فيها ألفا مخزن ، وعدد كبير من المقاهي ، والمراكز التجارية[٢٢٨] . ونتيجة للاضمحلال التدريجي للانتاج ، فقد أصبح التجار المحليون مضطرين للتعامل بالبضائع الاجنبية غير المربحة .

ان أكثر الارباح ضمانا ، مما كانت تحصل عليه البرجوازية العراقية يأتي من الانتاج الزراعي ، ويرتبط كليا بالاستغلال الاقطاعي للفلاح العراقي . فقد كانت البرجوازية التجارية في العراق ، مرتبطة بالقرية في تجارة المنتجات الزراعية ، وأعمال الربا ، وحيازة الارض . وفي نظام الاستغلال الاقطاعي للفلاح العراقي ، شغلت البرجوازية التجارية نظام التزام الضرائب الحكومية . أما البرجوازية المرتبطة بالانتاج الصناعي فقد كانت قليلة العدد وضعيفة .

* * *

في بداية القرن العشرين ، لم تكن في العراق حركة اقتصادية موحدة ، تساعد على تنشيط السوق المحلية . فقد كانت أسواق المدن والمناطق الزراعية المختلفة في ركود عام ، كما ان العلاقات الاقتصادية بين المناطق المختلفة في البلاد كانت ضعيفة جدا . وأوضح دليل على ذلك ، التباين في الاوزان والمكاييل والاحجام ونظام العمل[٢٢٩] . ويعود ضعف الروابط الاقتصادية في مختلف أنحاء البلاد ، الى انقسام سكان العراق

---

٢٢٨ ـ آدموف ، ص ° (٣١ ، ٣٢) ، انظر ايضا : كوك ص ٢٨٦ ، و « أنباء اركان حرب منطقة القفقاس » رقم (٣١) ، ص (١٦) .

٢٢٩ ـ صون ، ص ١٩٧ ، ١٩٨
ساخاو ـ بين دجلة والفرات ، ص ٣٢

الى عدد كبير من المجتمعات المنعزلة أو شبه المنعزلة ، التي كانت الخلافات بينها واسعة جدا • ان قرونا من هيمنة السلطات التركية على البـــلاد ، وسيادة النظام الاقطاعي ، قد هيئا الظروف المناسبة لتطبيق سياسة (فرق تسد) ، واثارة جماهير الشغيلة من العرب والاكراد ضد بعضها البعض ، مما أدى الى ظهور عدم الثقة والعداء المباشر بينها •

كما ان الوحدة الداخلية ، لتلك الجماعات الوطنيـــة ، لم تتوفـــر شروطها حتى تلك الفترة ، فقد انقسم العرب والاكراد الى قبائل مختلفة ، لا تربطها ببعضها سوى روابط ضعيفة جدا • وعلى سبيل المثال كانت تعيش في منطقة سوق الشيوخ ، على ضفاف نهر الفرات ، حوالي (٥٠) قبيلة صغيرة ، اشتعلت العداوات فيما بينها زمنا طويلا[٢٣٠] ، كما كانت الحروب مستمرة دون انقطاع بين أكبر الاتحادات القبلية في شمال العراق : شمر وامارة عنزة ، وكان للفوارق الدينية أثر كبير في عدم التحام صفوف أبناء الشعب ، مما جعل النضال الطبقي يتخذ طابعا دينيا في كثير من الاحوال •

وبالاضافة الى ذلك ، لم تستطع المـــدن المختلفة أن ترسم لنفسها أهدافا موحدة ، حيث انقسمت الى قطاعات شبه منعزلة عن بعضها البعض ، يعيش في كل قطاع سكان هذه أو تلك من القوميات أو القبائل أو الاديان• ففي بغداد ــ مثلا ــ كانت هناك قطاعات منفصلة لانصار الكنائس المسيحية المختلفة ، كما كان لليهود قطاع خاص بهـم[٢٣١] • وقـد اتصفت هذه العزلة بتخصص سكان كل قطاع بحرف معينة توحدهم في طوائف منعزلة مغلقة • وكانت العلاقات بين سكان المناطق المختلفة في بعض المدن تنطوي

---

٢٣٠ ــ بريطانيا العظمى ، المصدر السابق ، ص ٢١

٢٣١ ــ كير ، ص ١١٣

ساخاو ــ جولة في سوريا وبلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٨

على عداوات دموية[٢٣٢] فقد انقسم أهالي النجف ـ مثلا ـ الى جماعات (زكرت وشمرت) تعود الى تبعية السكان الى مجموعتين قبليتين مختلفتين • حيث أشغل الزكرت ثلاثة قطاعات في مدينة النجف ، بينما أشغل الشمرت أربعة قطاعات فيها • ويتزعم كل منطقة في المدينة رؤساء الجماعات التي تقطنها • وكانت النزاعات مستمرة بينهم من أجـــل السيطرة على ادارة المدينة • وكان هؤلاء الرؤساء يزجون أتباعهم في خضم المعارك التي تنشب نتيجة خلافاتهم •

وقد انعكست كل هذه الاوضاع على الحياة السياسية للبلاد ، وأعاقت ظهور الفوارق الطبقية ، ونمو الوعي الطبقي لجماهير الشغيلة ، مما أدى الى استغلالها لمصلحة السلطات التركية والمستعمرين •

---

٢٣٢ ـ ساخاو ، المصدر السابق ، ص ٣٣٨ •

الفصل الثاني

العراق خلال الحرب العالمية الاولى
وسياسة المحتلين الانكليز

لقد أصبح للرأسماليين الانكليز الدور الحاسم في توجيه اقتصاديات العراق منذ أوائل القرن العشرين ، حيث وضعوا أيديهم على التجارة الخارجية ، وشبكة المواصلات في البلاد ، واستخدموا العراق سوقا لتزويد الصناعة البريطانية بالمواد الخام • وكان مركز المستعمرين الانكليز عندئذ قويا جدا ، فقد أنشأوا في قنصليتهم ببغداد حامية عسكرية من الهنود ، واحتفظوا بسفينة حربية عند أسوار المدينة[1] •

على ان دولا استعمارية اخرى حاولت التسلل الى العراق ، كفرنسا وروسيا وألمانيا • وأصبحت ألمانيا العسكرية أهم خصم لبريطانيا في العراق لانها أصبحت « تمسك » بشدة على المناطق الامامية لآسيا • وقد سعى المستعمرون الالمان لربط العراق بخطط اقتصادية وسياسية بعيدة المدى ، ونظمت دعاية واسعة على الصعيدين الرسمي والاهلي لاخضاع العراق للاحتكارات الالمانية • ووجه « باول روورباخ »(*) نداءا الى العسكريين الالمان ، للفوز بالسيادة العالمية ، بما في ذلك احتلال العراق • وقوبلت « المؤلفات » العلمية الكاذبة لـ « شبرينگر » وغيره بالتأييد من قبل المستعمرين الالمان • وفي تلك الفترة بالذات أصدر كاتب

---

١ ــ پارفت ، ص ٧٣

(*) باول روورباخ ــ ولد عام ١٨٦٩ ، سياسي وكاتب اجتماعي ألماني ، ومن ابرز الدعاة لاقامة امبراطورية استعمارية المانية ، بضم المستعمرات البريطانية والفرنسية اليها ــ المترجم

ألماني كتابا عن الامبراطورية الالمانية العالمية ، التي اطلق عليها اسم « برلين ـ بغداد »[٢] .

وقبل أن تحصل الكتل المالية الالمانية بزعامة البنك الالماني "Deutsche Bank" ، على امتياز اقامة خط سكة حديد بغداد ، والتنقيب عن المصادر المعدنية واستخراجها في المنطقة المحيطة بخط السكة الحديد ، بدأ تغلغل كبير لالمانيا في العراق ، وركز على بناء خط السكة الحديد ، وسيلة فعالة للتوسع الاقتصادي للرأسماليين الالمان ، وقيدا سياسيا على العراق والامبراطورية العثمانية بأكملها[٣] . وقد بذلت شركة خط بغداد والبنك الالماني ، أقصى جهودهما للتنقيب عن النفط في منطقة السكة الحديد ، وفي مناطق كركوك وخانقين[٤] ، وأسست الشركة مختلف المؤسسات المختصة ، بما فيها محطات عديدة للتصليح ، واسطولا للنقل النهري . وفي ١٩٠٦ افتتح خط منتظم للمواصلات البحرية بين هامبورك والبصرة . واذا كانت السفن التي تحمل العلم البريطاني قد بلغت نسبتها ٩٦٪ من مجموع السفن التي دخلت البصرة عام (١٩٠٠) فان هذه النسبة قد انخفضت عام (١٩٠٩) الى (٨٥٪) وفي (١٩١٠) الى ٥ر٨١٪ وبلغت في (١٩١٢) ٦ر٨٤٪ . وفي نفس الوقت ارتفعت نسبة السفن الالمانية من صفر ٪ الى ٧٪ ، ١١٪ ، ٢ر١٠٪ لنفس السنوات

---

٢ ـ Martin, R., Berlin-Baghdad. Das Deutsche Wellreich in Zeitalter der Luftschiffahrt 1910-1931. Stuttgart and Leipzig, 1907.

٣ ـ بونداريفسكي ، ا . ل . طريق بغداد ، وتسرب الاستعمار الالماني في الشرق الادنى (١٨٨٣ ـ ١٩٠٣) طشقند ١٩٥٥ ص . (٢٩٨ ـ ٢٩٩) .

٤ ـ شولتزة ، + ب . ـ الصراع من أجل نفط العراق وايران ـ موسكو ١٩٢٤ . ص . (٥٢،٤٣) .

المذكورة[٥] • ونتيجة لتلك التطورات فقد انخفض نشاط الاحتكارات البريطانية ، واتسع دور التجار الالمان في العلاقات الاقتصادية مع العراق • فحتى عام (١٨٩٦) لم يكن لالمانيا أي مؤسسة تجارية في الخليج العربي، الا انه قبيل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) أصبح التجار الالمان أقوى المنافسين للتجار الانكليز في هذه المنطقة[٦] •

وقد وضع المستعمرون الالمان خطة للمحافظة على السيادة التركية في العراق[٧] ، واخضاع ساسة الامبراطورية العثمانية ، من عبدالحميد الثاني الى الاتراك الشباب لتحكم السياسة الالمانية •

ومن أجل أن تواجه انكلترا خصمها ، فقد عززت من وسائلها العسكرية في المنطقة ، ليس للحفاظ على ما استحوذت عليه من مكاسب فحسب، وانما للحصول على مكاسب جديدة • ووضع المستعمرون الانكليز في أواخر القرن التاسع عشر ، خطة لسلخ العراق عن الامبراطورية العثمانية

---

٥ – آدموف ص • (٤٧٦) •

The Imperial and Asiatic Quanterly Review and Oriental Records", London, (1886-1907, vol XXVI, No. 51, p. (173-174.

٦ – لم تكن تجارة البضائع الالمانية واسعة عندئذ • فقد كان الاستيراد من المانيا – في الاعوام (١٩٠٨–١٩١١) وعلى سبيل المثال يتأرجح بين ٨ر١٪ من مجموع البضائع التي مرت عبر كمارك بغداد • أما الصادرات الى المانيا عبر كمارك بغداد فقد بلغت عام (١٩١٥) ، (٩ر٤٪) من مجموع الصادرات العراقية ، وفي عام (١٩١٢) بلغت ٥ر٩٪ أما في (١٩١٣) فقد بلغت (٢ر٦٪) •

انظر المصدر التالي للسنوات المذكورة بغية الاطلاع على ارقام الصادرات والواردات :

Great Britain. Foreign Office Diplomatic and Consular Reports on Trade and Finance...

٧ – C. A. Schäfer-Deutsche-Turkisch freundschaft. Stuttgart und Berlin. 1914, S. 5116.

وضمه الى مستعمراتهم[٨] • ففي (١٩١١) أعلن للورد (كيرزون) من على منصة مجلس اللوردات عن برنامج المستعمرين الانكليز بهذا الشأن ، فقال ان « من الخطأ الاعتقاد ان مصالحنا محددة بالخليج العربي ، انها ليست محددة به ، كما انها ليست محددة (أيضا) بالمنطقة الممتدة بين البصرة وبغداد ، وانما هي تتسع لاكثر بكثير من بغداد »[٩] • في الفترة ما قبل الحرب العالمية الاولى ، تدارست أركان حرب الجيش الانكلو ـ هندي ، مسألة امكانية احتلال منطقة البصرة[١٠] ، وبذلك اشتد التنافس بين المستعمرين الالمان والانكليز على احتلال العراق ، نظرا لموقعه الجغرافي الذي هو في غاية الاهمية ، حيث تمتد على طول البلاد وعرضها طرق سهلة للمواصلات من جنوب غرب آسيا الى ايران وما وراء القفقاس في روسيا وآسيا الوسطى • أما العسكريون الالمان فكانوا ينظرون الى العراق كرأس جسر (سهل المنال) لاقتحام الهند •

لقد بلغت مساعي الدول الاستعمارية أوجها لكسب زعماء المجتمع العراقي ، ولعبت الشركات الاجنبية دورا مهما في هذا الصدد ، حيث أقامت علاقات اقتصادية وثيقة مع الاقطاعيين العراقيين والكومبرادور • كما بعثت دوائر المخابرات العسكرية والسياسية بعملائها بصفة سائحين ومبشرين وأثريين ••• وما الى ذلك • ويلاحظ ان الكثيرين من الانكليز

---

٨ ـ ايرلاند ، ص ٤٩

٩ ـ المرجع السابق •

١٠ ـ كانت اللجنة الخاصة التي اشترك فيها ممثلون عن قيادة الجيش الانكلو ـ هندي ، مع بيرسي كوكس المندوب العام لبريطانيا في الخليج العربي ، قد اصدر قرارا باحتلال الفاو والبصرة في حالة قيام تركيا باي تحرك عسكري • وقد صادقت الحكومة البريطانية على هذا القرار في ٣٠ تموز ١٩١٤ •

انظر : ايرلاند ، ص ٢٢

ممن أشغلوا مناصب عليـا في العراق ، بعد الاحتلال ، (أمثـال بيل ، وصون ، وليجمين •• وغيرهم) كانوا قد زاروا العراق مرات عديدة في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى • وعلى هذا فقـد استفاد هؤلاء من العلاقات الواسعة التي أقاموها سابقا ، عنـد تعيينهم في مناصبهم بعـد الحرب[١١] • كما ان ضباط المخابرات الاجنبية ـ بما فيهـا الالمانية ـ سلكوا نفس الاتجاه في علاقاتهم بالمجتمع العراقي ، وأصبحت القنصليات الاجنبية أوكارا للتجسس وبؤرا لشـراء ضـمائر رجالات المجتمع في العراق[١٢] •

وكان للبعثـات التبشيرية أهميـة كبيرة في تعبئـة المواطنين العراقيين سياسيا ، وتجنيد العملاء من بين الزعماء الأقطاعيين والكومبرادور • ومن أنشط هذه المنظمات : Charch Missionary Society وبعثـة أسقف كينتيري التابعة للكنيسة الفيستوريانية الفرنسية ، وبعثة الدومنيون وكارميليت ، والمنظمـة الفرنسـية اليهـودية Alliance Israélite
أما في جنوب العراق ، فقد لعبت البعثة الامريكية :
Arabian Mission of the Dutch Reformed Church of America.
دورا كبيرا في المجال السياسي • ويلاحظ ان البعثات التبشيرية الانكليزية

---

١١ ـ انظر مؤلفات بيل (G. Bell) ، وصون (E. B. Soan)
فقد التقت بيل ـ على سبيل المثال ـ بفهد بي ، شيخ امارة عنزة في فترة ما قبل الحرب ، واقامت علاقات وطيدة مع عدد كبير من الاقطاعيين ووجهـاء المـدن •

١٢ ـ انظر : ماك كوان ، ك• ، ص • (٦٢) •• فقد اعلن قناصـل انكلترا في الموصل عن انفسـهم حمـاتا للجمـاعات النسـطورية(*) في حكيار • وكانوا يمولون شيوخها بالمال علانية •
(النسـطورية – مذهب ديني ظهـر في المسـيحية في الثلاثينات والاربعينات من القرن الخامس في سوريا التي كانت عندئـذ مركز الامبراطورية الرومية الشرقية (البيزنطية) – المترجم –) •

كانت قد بلغت نجاحا كبيرا في بلوغ أهدافها[١٣] • أما البعثات الالمانية فلم تؤد جهودها الى نتائج ملموسة[١٤] •

لقد كان تنافس انكلترا والمانيا من أجل العراق ، من أهم حلقات الخلاف بين الدولتين في العالم أجمع • وعلى هذا فليس غريبا أن تلقي انكلترا بقواتها العسكرية في منطقة شط العرب ، بعد بدء الحرب مباشرة• وقد اشتبكت القوات الانكلو ـ هندية مع الجيش التركي بقيادة المشير الالماني (فون در گولتسه)[١٥] ، وواجهت أثناء الحرب هزائم متعددة • ففي كانون الاول ١٩١٥ ، حوصرت القوات البريطانية ، بقيادة الجنرال (كاونشند) في كوت الامارة ، واستسلمت في التاسع والعشرين من نيسان ١٩١٦ • وبعد هذه الهزيمة تأخر تقدم القوات البريطانية الغازية التي كانت قد احتلت خلال تلك الفترة مناطق البصرة والناصرية والعمارة، ولم تستطع التقدم الى بغداد الا في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧ • وحتى اعلان الهدنة في الثلاثين من تشرين أول عام ١٩١٨ ، لم تكن القوات البريطانية قد تجاوزت الخط الواصل بين تكريت والرمادي والمناطق الجنوبية من كردستان ، بالاضافة الى انها عجزت عن احتلال بعض مناطق الفرات الاوسط حتى ذلك الحين[١٦] • ولم يتم لانكلترا احتلال العراق بأكمله الا بعد انتصار دول الحلفاء على المانيا •

---

١٣ ـ « التايمس » في ١٨/١١/١٩١٩ •

١٤ ـ ك • سر ڤاندا تيانيتس ـ نبذة عن منطقة ڤاسبوراكاتسكي والمناطق التابعة لها • تبليس ١٨٩٠ ، ص ١٧ •

١٥ ـ امين سعيد ، ج (٢) ، القسم الثاني ، ص ٧

١٦ ـ عبدالرحمن البزاز ، ص (١٧) •

العراق اثناء الحرب العالمية الاولى

لقد أدت العمليات العسكرية ، أثناء الحرب العالمية الاولى ، الى زيادة تأزم الوضع الاقتصادي في العراق • حيث استخدم كلا الجانبين المتنازعين جميع الامكانيات والثروات المتوفرة في البلاد لتلبية احتياجات القوى المسلحة[١٧] • فقد ظهرت الحاجة الى فتح طرق ستراتيجية جديدة[١٨] ، وتهيئة السكن للقوات المسلحة وتموين الجيوش المتحاربة بما تحتاجه من المواد الغذائية ، والقي كل ذلك العبء على كاهل الشعب العراقي • فحظر المحتلون الانكليز رسميا بيع المواد الغذائية ، الا بعد تلبية جميع احتياجات القوات المسلحة منها ، واستولى الغزاة على بيوت المواطنين لاسكان جيوشهم ، ولجعلها مقرات للدوائر الرسمية الاستعمارية[١٩] • فقد حوّلت السلطات البريطانية ، في البصرة فقط ، سبعمائة دار الى ثكنات لجنودها[٢٠] • وسلكت السلطات التركية ، سياسة مشابهة ، لما سلكه المستعمرون الانكليز ، اذ القت ثقل كافة النفقات العسكرية على اكتاف الشعب العراقي ، خاصة الفلاحين الذين يعتبرون دافعي الضرائب الاصليين والمنتجين المباشرين للارض • وتدهورت الاوضاع

---

١٧ ـ المصدر السابق ، ص• (١٨) •

١٨ ـ قامت السلطات البريطانية ، اثناء الحرب ، بانشاء خط سكة حديد بصرة ـ بغداد (مع فرع يبدأ من اور الى الناصرية) ، وكذلك خط خانقين ، ونتيجة لذلك فتح طريق الحلة ـ كفل ، وبغداد ـ كوت الامارة ، وبغداد ـ فلوجة ، وطرق اخرى غير رئيسية • ومن جهة اخرى فقد استمرت شركة سكة حديد بغداد الالمانية ، في انشاء خط السكة الحديد الى الشمال من سامراء حيث اوصلته الى الشرقاط •

١٩ ـ عبدالرحمن البزاز ، ص • (١٨) •

٢٠ ـ بيل ، ج (٢) ، ص ٤٤٣ •

« تايمس » في ١٩١٩/١١/٨ •

الاقتصادية في القرى والمدن ، نتيجة سحب السلطات التركية أعداداً كبيرة من السكان المحليين من الانتاج ، وسوقهم الى الخدمة العسكرية •

اما في المناطق التي تحتلها القوات البريطانية فقد فرضت أعمال السخرة المرهقة على المواطنين ، وسيق عشرات الالوف من الشغيلة العراقيين لاقامة المنشآت للمحتلين الانكليز • وقوبلت مقاومة المواطنين بالتنكيل والبطش من قبل السلطات البريطانية ، وبالزامهم عنوة على الخدمة في الجيش • وقد كتب (يونك) في هذا الصدد يقول : « لقد ارسلت وحدات متنقلة صغيرة ، في المنطقة الممتدة من جنوب شط العرب حتى الفاو ، لغرض جمع الف رجل من مختلف القوى للخدمة في الجيش »(٢١) واستخدمت الادارة العسكرية البريطانية أربعين ألفاً من المواطنين العراقيين في أعمال السخرة ، اضافة الى خمسين ألفاً آخرين كانوا يعملون لنقل المعدات الحربية • كما استخدمت المواشي والسفن النهرية العائدة للسكان المحليين في أعمال النقل الحربي(٢٢) •

لقد اخرج الفلاحون من حقولهم والحرفيون من ورشاتهم بالقوة للعمل في ظروف قاسية جدا ، حيث استخدموا في انشاء خط سكة حديد بصرة ــ بغداد ، وكانوا يعيشون في العراء ، أو في طوابير كبيرة(٢٣) • ولم يكن بالامكان توفير الحد الادنى من الغذاء بما يسد الرمق ، باعتراف المحتلين الانكليز انفسهم • واستخدمت القوة ضد من يرفض الخدمة في أعمال السخرة(٢٤) • كما خربت منظومة الري ، واتلفت الحقول في مناطق

٢١ ــ يونك ، ص ٥٢

٢٢ ــ ويلسون ، ص ٤٧ •

٢٣ ــ يونك ، ص ٥١ ــ ٥٢

٢٤ ــ المصدر السابق ، ص • (٦٥)

عديدة ، نتيجة للعمليات العسكرية[٢٥] •

ونتج عن ذلك أضرار فادحة بالثروة الوطنية للبلاد[٢٦] • فقد نسفت الطرق ــ مثــلا ــ بشكل أدى الى تخريب شبكات الري[٢٧] • وأقــامت السلطات البريطــانية السدود في منطقتي العمارة وســوق الشيوخ لرفع مستوى نهر دجلة وهور الحمار بغية تسهيل مرور السفن الهندية المحملة بالمؤن للقوات المحتلة ، ممــا أدى الى انحسار المياه عــن مزارع الرز في هاتيك المنطقتين[٢٨] •

ومما زاد الوضــع تعقيدا ، كثرة الضــرائب واجراءات الاستيلاء والمصادرة والغرامات[٢٩] ، التي فرضتها الجيوش المتحاربة على المواطنين • وعلى سبيل المثال ، كان ثلثا ما يموّل به الجيش البريطاني في العراق ،

---

٢٥ ــ واكثر المناطق التي اصابها الخراب : المنطقة المحصـــــورة بين بغداد وسامراء ، وحوض نهر ديالى ، وضواحي كوت الامارة • وغيرها

بريطانيا العظمى ، المصدر ، السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ •

٢٦ – Candler E. The long road to Baghdad. vol. II. London etc. 1919, p.

أي كاندلر ــ الطريق الطويل الى بغداد • لندن ١٩١٩ ، ص (٢٦٣) •

٢٧ ــ ويلسون ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٥٦ ، ١١

٢٨ ــ بريطانيا العظمى ، المصدر السابق ص ٢٤ •

٢٩ ــ ففي ١٩١٩ طلب الانكليز الحصول على (١١٧) الف طن مــن الحبـــوب مــن المنـــاطق المحتلة من قبلهــم ولبيان ضخامة هــذه الــكميات مــن الحبــوب ، نذكر انــه في سنوات ما قبل الحرب ، لم تتجاوز صادرات الحنطة والشعير (٩٠ــ١٠٠) الف طن بالمعدل • مع التأكيد على ان معظم صادرات الحنطة كانت تأتي من ولاية الموصل التي بقيت أثناء الحرب في قبضة الاتراك •

يأتي من الضرائب التي فرضت على المواطنين[٣٠] ٠

وقد ازدادت الضرائب المباشرة في المنطقة التي احتلها الانكليز للسنة المالية (١٩١٨ - ١٩١٩) بـ (١ر٦٥) مرة بالنسبة لما كانت عليه في عامي ١٩١١ ، ١٩١٢ ، وارتفعت الى أكثر من مرتين خلال السنوات ١٩١٩ - ١٩٢٠[٣١] ٠ وفي سنة (١٩١٧ - ١٩١٨) بلغت واردات الادارة المدنيـة (١٥٢٥٠) ألف روبية ، منهـا (٧٩٥٠) ألفـا من الضرائب الزراعيـة ، و (٦٧٥٠) ألفا من الرسوم المختلفة ، اما في سنة (١٩١٨ - ١٩١٩) فقد ارتفعت الى (٢٩٣٠٠) ألف روبيـة ، منهـا (٢١٧٥٠) ألفـا من الضرائب الزراعية ، و (٦٥٠٠) ألف من الرسوم[٣٢] ٠ وكانت الضرائب التي القيت على عاتق المواطن العراقي تعادل ضعف ما فرض على المواطن في المحافظـات المستعمرة في كل من الهنـد والبنجاب ، باعتراف احـد الاداريين الانكليز[٣٣] ٠ وما عدا تلك الضرائب (الشرعية) فقد جمعت مبالغ كبيرة بصورة استثنائية لمصلحة الصليب الاحمر[٣٤] ، ٠٠٠ وما الى ذلك ٠ ومما يؤكد اهتمام المستعمرين الانكليز بالموارد المتأتية من العراق ،

---

٣٠ - كاندلر ، ج (٢) ، ص ١٩١

٣١ - ايرلاند ، ص ١١٨

بريطانيا العظمى ، المصدر السابق ، ص ١١٨ ٠

٣٢ - بريطانيا العظمى ، المصدر السابق ، ص ١١٨٠

كانت قيمة الربية قبل حرب (١٩١٤ - ١٩١٨) حوالي ٥٥ كبيك ذهـب ٠

٣٣ - بريطانيا العظمى ، المصدر السابق ، ص ٨٨ ٠

٣٤ - لقد حصل الانكليز على (٥٠٠) الف ربية نتيجة (جمـع) الاموال لمصلحة الصليب الاحمر في ايار ١٩١٨

ويلسون ، ص ٨٩ ٠

ان اولى الدوائر التي اسست من قبل الادارة المدنية البريطانية هي مديرية ضريبة الدخل[٣٥] •

ومن جهة ثانية فقد اقتصر نشاط السلطات الادارية في الاقسام التركية من العراق على جمع الضرائب و (شراء) المحاصيل الزراعية بأسعار بخسة جدا لتلبية احتياجات الجيش[٣٦] •

وقد ألزمت السلطات التركية المواطنين بعد اعلان الحرب ان يبدلوا ما لديهم من عملات ذهبية رائجة بالعملات الورقية التي انخفضت الى ثلث قيمتها الرسمية[٣٧] • نتيجة لمقاومة الجماهير الشعبية لاجراءات ابتزاز الاموال والاستيلاء على المحاصيل الزراعية ، اضطرت السلطات الاستعمارية الى شن حملات عسكرية ، بمختلف أصناف القوات المسلحة ، بما فيها المدفعية الثقيلة لارغام المواطنين على دفع تلك الضرائب[٣٨] •

واصيب الاقتصاد العراقي بنكسة شديدة ، لانحلال الروابط التجارية والاقتصادية التقليدية • حيث منع الاستيراد من المناطق التي يحتلها[٣٩] الانكليز ،

---

٣٥ ــ في اواسط عام ١٩١٨ فصلت من مديرية ضريبة الدخل كل من مديريات الكمارك والتعليم ، والاوقاف (بريطانيا العظمى المصدر السابق ، ص ٨ ، ١٠) •

٣٦ ــ كاندلر ، ج (٢) ، ص ١١٩ •

٣٧ ــ المصدر السابق ، ص • (١٢٠) •

٣٨ ــ

S. Torossian, From Dardanelles to Palastine A true story of five battle fronts of Turkey and her allies and harem romance. Boston, 1947 pp. 134-141.

توريسيان ، ايس • ــ من الدردنيل الى فلسطين • قصة حقيقية لثلاث معارك امامية لتركيا وحلفائها ، وقصة الحريم ، بوسطن ١٩٤٧ ، ص (١٣٤ــ١٤١) •

ايكان ، ص ٣٤٤

٣٩ ــ بريطانيا العظمى ، ص ٨

وأدت الصعوبات في النقل والمواصلات ، بسبب الحصار ، الى تقلص تبادل البضائع الى حد كبير بين مختلف المناطق في البلاد . كما كان للحرب اثر سلبي على مصادر الثروة الوطنية ، وعلى العاملين في مجالات التصدير . فقد توقفت تقريبا تجارة العفص والصمغ وعرق السوس . كما وجهت ضربة قوية لتربية الماعز في الفرات ودجلة وتوقف تصدير الفرو الى ما وراء القفقاس في روسيا ، والى السوق الموسمية في المدن الجنوبية .

ومن جهة أخرى فقد انخفض استيراد البضائع الصناعية من الخارج ، خاصة في القطاع الذي تشغله القوات العسكرية التركية من البلاد . وعانى العراق من نقص كبير في الغزول والاقمشة ، والكيروسين ، والاصباغ ، والسكر ، والورق ، والصابون ... وما شابهها . وبالرغم من استيراد المنطقة المحتلة من قبل القوات البريطانية في العراق ، كميات كبيرة من البضائع المختلفة ، الا ان معظم تلك البضائع كانت مخصصة لسد احتياجات الجيش[٤٠] .

لقد هيأ توقف استيراد البضائع الصناعية الجاهزة ، ظروفا مناسبة لازدهار الانتاج المحلي ، الا ان ذلك لم يكن الا في حدود ضيقة[٤١] ،

---

٤٠ ـ فقد استوردت المنطقة المحتلة من قبل القوات البريطانية في العراق ، خلال الحرب ما يقارب (١٥٠) الف طن من النفط والمنتجات النفطية . الا ان المضخات الزراعية التي تعمل على النفط قد تعطلت بسبب عدم توفر الوقود .

ويلسون ، ص (٤٨ـ٥٤)

٤١ ـ لم يحدث نمو ، سوى في فروع الانتاج التي تعمل لخدمة جيش الاحتلال فقد ارتفع استخراج النفط اثناء الحرب ، بعض الشيء (ففي منطقة كفري ، مثلا ، ارتفع انتاج النفط من ١٥٠ طن في ١٩١٣ الى اكثر =

حيث قوضت مستلزمات التطور الصناعي المستقل في البلاد ، بسبب التغلغل الاستعماري •

وادت المشاكل التي واجهت صناعة النسيج ـ مثلا ـ الى تحديد زراعة القطن في مختلف المناطق التي تنتج هذا المحصول • مما سبب ضررا بليغا بالانتاج الزراعي وأدى الى ازدياد هجرة الفلاحين الى المدن • كما واجهت المؤسسات الصناعية التي كانت تعمل قبل الحرب ، كسادا لا مثيل له ، بسبب انقطاع استيراد الخامات نصف الجاهزة التي تحتاجها كالغزول والاصباغ وغيرها • اما الحرف اليدوية المحلية ، فانها لم تستطع بناء قاعدة تكنيكية متقدمة ، تمكنها من رفع مستوى الانتاج • وسبب توقف استيراد المكائن في المناطق المحاصرة من العراق ، عرقلة نمو الانتاج الصناعي أثناء الحرب العالمية الاولى ، بالرغم من توفر ظروف مناسبة لذلك •

وقد ظهرت ازمة حادة في الانتاج الزراعي أيضا ، عندما اخليت مناطق زراعية باكملها ، نتيجة العمليات الحربية ، وسيق عدد كبير من سكان الريف القادرين على العمل ، للخدمة في الجيش ، وللقيام بأعمال السخرة ، مما سبب انخفاضا كبيرا في المساحات المزروعة في جميع أنحاء

من الف طن في سنوات الحرب) •

ومن ناحية اخرى اسس معمل صغير لتكرير البترول على حساب الالمان ، لتلبية احتياجات الجيش التركي • ومن اجل ضمان توفير الوقود لخط حديد بغداد ـ سامراء ، واللاسطول النهري التركي ، فقد بدىء بتعدين القار الموجود في كفرى لتلبية تلك الاغراض •

كما ازداد انتاج زيت السمسم الذى استعمل لتلافي النقص في الكيروسين • انظر : كورسين ، ص • (٢٠٢) ،

Berichte der K. und K. Osterr - ung Konsularamter. Wien, December, 1917 Juni, S. (7)

ويلسون ، ص ٤٨

البلاد[٤٢] • وحتى نهاية الحرب بلغت مساحة الاراضي الزراعية التي تركها أصحابها في ولاية الموصل وحدها حوالي ٥٠٪ من مجموع الاراضي الزراعية[٤٣] ، بالاضافة الى مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية في منطقة ديالى ، التي لم تستغل في تلك الفترة • ونتيجة لنقص اليد العاملة ، فقد اصيبت بساتين النخيل باضرار جسيمة[٤٤] • كما انخفضت اعداد الماشية الى حد كبير[٤٥] •

وأدى هبوط الانتاج الزراعي ، وتوقف استيراد البضائع الصناعية ، الى ارتفاع فاحش في الاسعار • حيث ارتفعت أسعار الاقمشة في ١٩١٦ الى ثلاث مرات عما كانت عليه في عام ١٩١٣ ، وازدادت أسعار الغزول في ١٩١٥ ، (٤ر٢) مرة عما كانت عليه في ١٩١٣ أيضا ، والخيوط (٣) مرات ، والشموع (٥ر٤) مرة ، والاصباغ (٥) مرات وهكذا[٤٦] • كما ارتفعت أسعار المواد الغذائية ارتفاعا فاحشا ، حيث ارتفع سعر الخبز ثلاث مرات

---

٤٢ ـ في الحقيقة ، كانت السلطات البريطانية ، قد اتخذت اجراءات في بعض المناطق ، بما فيها منطقة الفرات الاوسط ، لزيادة رقعة الاراضي المزروعة ، بغية تأمين الحبوب لجيش الاحتلال ، كما جرت اعمال لتطهير القنوات • الا أن تلك الاجراءات انجزت بسواعد الفلاحين الذين أجبروا بالقوة على أعمال السخرة ، ولذلك فقد كانت نتائجها سيئة للغاية •

٤٣ ـ بريطانيا العظمى السابق ، ص ٨٠ـ٨١ •

٤٤ ـ ويلسون ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٨٠ـ٨١ •

٤٥ ـ المصدر السابق ، ص • (٢٩٤) •

٤٦ ـ Berichte der K. and K. Osterrung Gonsularamter. Wien, December, 1917 August, S.3, 1917, Juni, S. (5)

على ما كان عليه قبل الحرب[٤٧] • ويلاحظ ان راس المال النقدي الحر ، في تلك الظروف ، دخل ميدان المضاربة ، حيث أخذ يتحين الفرص للحصول على أرباح فاحشة • وقد وصف القنصل الاسترالي المناطق الخاضعة للاتراك بقوله : « آن كل من يملك النقود ، كان يخفيها لشراء البضائع ، ثم يبدأ المضاربة بأسعارها »[٤٨] •

لقد واجهت جماهير الشغيلة في العراق ، المجاعة والموت نتيجة تلك الظروف • ففي شتاء عام ١٩١٧ – ١٩١٨ توفي بالمجاعة في الموصل حوالي عشرة آلاف شخص[٤٩] • كما انتقلت المجاعة الى بغداد ، والمدن الاخرى الخاضعة للاحتلال البريطاني[٥٠] • وانتشرت أمراض الطاعون والكوليرا

---

٤٧ – « تايمس » في ١–١٢–١٩٢٠

وقد كتبت بيل عن بغداد بعد احتلالها من قبل الانكليز تقول « ان تكاليف المعيشة هنا اصبحت مرتفعة جدا وبالرغم من تأمين القوت اليومي ، الا ان بضائع كثيرة يحتاجها الناس كالزيت والرز والبيض والسكر قد اختفت •• »

بيل ، ج (٢) ص ٤٤١ ، ٤٤٢

انظر ايضا : ويلسون ، ص ٥٦ ، ٨٠

كما ارتفع سعر القصب الذي يعتبر المصدر الوحيد للوقود فيعدد من المناطق • (ويلسون ، ص ٦٤) •

٤٨ – بريخت واوستر – حزيران ١٩١٧ ، ص ٢ •

فقد احتكر اثنان من المستغلين شراء القمح في منطقة الدغارة الواقعة ضمن المنطقة المحتلة مو قبل الانكليز ، وفرضوا عليها اسعارا باهضة جدا •

انظر : ويلسون المصدر ، السابق ص ٥٦ •

بريطانيا العظمى ، ص ٧٧

٤٩ – ويلسون المصدر السابق ، ص ٥٣ •

٥٠ – بيل ، ج (٢) ، ص ٤٣٥

انظر ايضا : محمد طاهر العمري الموصلي ، الجزء الثالث ، ص (٩٥)

والتيفوئيد وغيرها من الامراض نتيجة الجوع والفقر[٥١] • وبلغت الازمة أوجها في نهاية الحرب العالمية ، حيث أقفرت مناطق بأكملها من السكان•

سياسة المحتلين الانكليز في العراق :ـ

أصبح العراق خلال الحرب العالمية الاولى ، خاضعا ل « ادارة المناطق المعادية المحتلة » ، اسوة بجميع أجزاء الامبراطورية العثمانية التي احتلتها القوات البريطانية أثناء الحرب واتي كانت تابعة لما يسمى بالادارة المدنية المرتبطة بحكومة مستعمرة الهند • وقد احتل (بيرسي كوكس) الشخصية الاستعمارية المجربة ، منصب أول مندوب سام بريطاني في العراق ، ومنحت له كافة السلطات التشريعية والتنفيذية[٥٢] ، ثم حل محله المقدم (أ• ويلسون) عام ١٩١٧[٥٣] • كما عيّن في الوحدات الادارية ، موظفون انكليز مطلقو الصلاحية ، دعوا بـ« الضباط السياسيين » • كان هؤلاء يعتمدون في سلطتهم على القوات المسلحة والشرطة ، وعلى مجموعة ضخمة من العملاء السريين • واستبدل عدد كبير من الموظفين المحليين ، ممن لعبوا دورا ملحوظا في الجهاز الاداري

---

٥١ ـ ويلسون المصدر السابق ، ص ٩٢

بريطانيا العظمى ، ص ٨٩

٥٢ ـ لقد بدأ (بيرسي كوكس) عمله عام ١٨٨٩ في الادارة الاستعمارية في الهند ، ثم انخرط في الخدمة القنصلية في الصومال البريطاني ، ومسقط ، وبوشهر • واصبح منذ عام ١٩٠٩ يشغل منصب المندوب البريطاني في الخليج العربي •

٥٣ ـ كان ارنولد ويلسون قبل الحرب ، ضابط في الجيش البريطاني • وساهم في وضع الخرائط الجغرافية لمناطق العراق وايران المتاخمة لشط العرب ، كما اسهم في اعمال اللجنة الدولية للمحادثات التركية ـ الايرانية • ومنذ بداية الحرب عين محافظا لعدد من المناطق في العراق ، ومن ثم عين مساعدا ل (كوكس) •

في العراق قبل الاحتلال البريطاني ، بالموظفين والضباط الانكليز والهنود • أما الموظفون العرب ، خاصة منهم غير المسلمين ، فقد عينوا في الوظائف الدنيا لانجاز الاعمال المكتبية • ففي شهر آب عام ١٩٢٠ بلغ عدد الذين يتقاضون أكثر من ٦٠٠ روبية ، (٥٣٤) موظفا • منهم (٥٠٧) من الانكليز و (٧) من الهنود ، و (٢٠) عربيا • وبلغ عدد الذين يتقاضون أقل من (٦٠٠) روبية من الموظفين في نفس ذلك التاريخ : (١١٢٧٠) موظفا ، منهم (٥١٥) بريطانيا و (٢٢٠٩) هنود و (٨٥٤٦) موظفا عربيا[٥٤] •

وكانت حصة الاسد في نفقات الادارة المدنية ، موجهة لخدمة الجهاز الاداري الاستعماري • فمن بين (٥٢٢٠٠) ألف روبية ، وهي مجموع النفقات للسنة المالية ١٩١٩ - ١٩٢٠ ، خصص (٨١٠٠) ألف روبية لتلبية نفقات مقر القيادة العامة للمندوب السامي المدني ، و (٧٨٠٠) ألف روبية لنفقات الضباط السياسيين ، و (١٩) ألف روبية للشرطة ، و (٣٢٠٠) ألف روبية للجندرمة المحلية ، و (٧٥٠) ألف روبية للانفاق على السجون ، و (٢٦٥٠) ألف روبية لرواتب الموظفين في المحاكم ودوائر المكوس • وباختصار فان حوالي نصف مجموع النفقات كانت تصرف على جهاز الادارة الاستعماري[٥٥] • اما المبالغ التي خصصت لاحتياجات الاقتصاد الوطني، فلم تمثل الا نسبة ضئيلة جدا ، حيث خصص حوالي ١٢٪ فقط من الميزانية (٥٩٠٠ ألف روبية) للانفاق على الانتاج الزراعي ، خاصة على منظومات الري[٥٦]،

---

٥٤ - عبد الرحمن البزاز ، ص • (٢٠-٢١) •
بريطانيا العظمى ، ص ١٢٢ •
٥٥ - بريطانيا العظمى ، ص ١١٩
٥٦ - المصدر السابق •

بينما خصص القسم الاعظم منها لدفع رواتب الموظفين الانكليز(٥٧) ، وعلى هذا لم يبق للانفاق على احتياجات الانتاج الزراعي المباشرة سوى مبالغ زهيدة جدا . وحتى تلك المبالغ لم تنفق ، بأي شكل ، لتحسين الانتاج الزراعي في العراق ، بل انفقت على ما انشأته السلطات البريطانية من مشاريع وشركات حكومية تجريبية .

لقد انفق على احتياجات التعليم سنة (١٩١٩ - ١٩٢٠) في جميع أنحاء العراق ، أقل من مليون روبية ، (أي ما يعادل سبعين ألف ليرة تركية) ، بينما كانت نفقات التعليم في عهد السيطرة التركية ، في ولاية بغداد فقط قد بلغت (٣٤) ألف ليرة تركية عام (١٩١١ - ١٩١٢)(٥٨) . وبلغ عدد المدارس في جميع أنحاء البلاد عام ١٩٢٠ : (٩٠) مدرسة فقط بما فيها المدارس الخاصة . ويلاحظ ان هذه المدارس قد وجهت لتعبئة الناس ايديولوجيا(٥٩) . حيث افتتحت دورات لاعداد معلمي المدارس الابتدائية ، واستخدمت في التدريس كتباً صدرت في مصر في فترة سيطرة الاستعمار البريطاني عليها .

ووضعت رقابة صارمة ، للحيلولة دون اصدار صحف محلية وطنية . وأصبحت الصحف الدورية ، كجريدة « بغداد » و « الموصل » و « الاوقات

---

٥٧ - لقد عين (٦٠) موظفا في ادارة الانتاج الزراعي والري ، براتب يزيد على (٦٠٠) روبية لكل موظف في السنة ، و(٣٢٢) موظفا براتب اقل من (٦٠٠) روبية .

بريطانيا العظمى ، ص ١٢٢

٥٨ - بريطانيا العظمى ، ص ١١٩ .

ايرلاند ، ص ١٢٥ .

٥٩ - لقد قابل المحتلون بعدم الارتياح ، مبادرة المثقفين بفتح المدارس الخاصة ، محاولين وضعها تحت الرقابة الحكومية .

محمد طاهر العمري الموصلي ، الجزء الثالث ، ص . (١٠٢) .

البغدادية » و « الاوقات البصرية » ، أصبحت وسائل للدعاية في أيدي المحتلين[٦٠] .

ومن أجل ربط العراق بالاستعمار البريطاني ، فقد تبنى المستعمرون الانكليز سياسة من شأنها توطيد الاحتكار الاقتصادي والسياسي لرأس المال البريطاني وبذلك فقد اخضعوا مؤسسة الاقراض العثمانية لرقابة الادارة المدنية مباشرة ، والغوا شركة احتكار التبغ الفرنسية (Régie de Tabac) [٦١] عام ١٩١٨ كما اتخذوا عددا من الاجراءات التي قضوا بها على النفوذ السياسي لحلفائهم ، خاصة منها اجراءات الحماية المتعلقة بالمنظمات التبشيرية الانكليزية في صراعها ضد الكنيسة الكاثوليكية الخاضعة لنفوذ البعثات التبشيرية الفرنسية[٦٢] .

لقد كانت اجراءات نزع ملكية الارض ، أهم مظاهر السياسة الاقتصادية للمستعمرين الانكليز في العراق . ففي الخامس والعشرين من ايلول عام ١٩١٨ ، انشئت في البصرة دائرة (تسجيل ملكية الارض) ، وقد « استطاع العسكريون الانكليز والسلطات المدنية ، بواسطة هذه الدائرة ، الاستحواذ على الارض ، بسعر يعادل ١٢٥٪ بالنسبة لاسعار ما قبل الحرب في أحسن الاحوال »[٦٣] ، في حين ان أسعار الاراضي كانت قد ارتفعت عدة مرات بالنسبة لما كانت عليه قبل الحرب . كما ان الدائرة المذكورة فتحت المجال لمضاربات مسعورة في الاراضي[٦٤] ، حيث بلغ مجموع ما

---

٦٠ ـ المصدر السابق ، الزء الثالث ، ص ٠(٤) .

٦١ ـ بريطانيا العظمى ، ص ١٤ ، ٥٦

٦٢ ـ المصدر السابق ، ص ٠ (٥١) .

٦٣ ـ ايضا ، ص ٠ (٨٩) .

٦٤ ـ « تايمس » في ٢٣ـ٩ـ١٩١٩ .

استحوذت عليه الادارة المدنية فقط من الاراضي عن طريق الشراء عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ ، ما قيمته (١٢٠٠) ألف روبية ، أي ٢٫٣٪ من مجموع النفقات[٦٥] . وقد خصصت معظم المساحات التي استحوذ عليها المستعمرون لاقامة الوحدات العسكرية . وبالاضافة الى ذلك فقد استولي على مساحات واسعة من الاراضي لانشاء ميناء البصرة ، ولبناء مصنع لتكرير النفط في بغداد[٦٦] . وكانت الارض ، في كثير من الاحيان ، تصادر بحجة اقامة مزارع ومحطات زراعية تجريبية ، بحيث توهم انها أسست لتلبية ضرورات الانتاج الزراعي في البلاد[٦٧] ، مع انها تهدف بالاساس الى تجربة زراعة المحاصيل الضرورية للصناعة البريطانية كمواد خام ، مثل القطن . ويلاحظ ان المزارع « التجريبية » لم تستورد المكائن ، وانما عتمدت الاساليب المتبعة في أراضي الاقطاعيين المحليين . ففي مزرعة تل داير - مثلا - جرت زراعة الارض من قبل الفلاحين المكبلين بالقيود التي فرضها عليهم نظام المزارعة بواسطة الشيوخ المحليين[٦٨] .

لقد تدفق ممثلو الشركات الاجنبية على العراق ، خاصة منها الشركات الانكليزية ، من أجل الحصول على الامتيازات المربحة ، أو دراسة الامكانيات

---

٦٥ - بريطانيا العظمى ، ص ١١٩

٦٦ - ويلسون المصدر السابق ص ٥٤ .

٦٧ - « تايمس » في ١٣/٣/١٩٢٠ .

لقد خصص (ثلاثون) اكرا لانشاء المزارع التجريبية قرب بغداد .
كما خصص لمزرعة تل داير مائتي اكر .

« نيويورك تايمس » في ١٠/٧/١٩٢٠

كما انشئت مزارع اخرى في العمارة والحلة وبعقوبة ومدن اخرى .
(الاكر = ٤٠٤٧م٢)

« تايمس » في ١٣/٣/١٩٢٠ .

٦٨ - « نيويورك تايمس » في ١٠/٧/١٩٢٠

الاقتصادية في البلاد ... وما الى ذلك[٦٩] . ولوحظ ان الشركات المرتبطة باحتكارات النسيج في لانكشاير ، كانت تبدي نشاطا كبيرا في تلك الفترة ، فقد قام مندوبو شركة زراعة القطن البريطانية British Cotton Growing Association بجولة تفقدية طويلة في العراق ، وتبعهم في ذلك ممثلو الاحتكارات النفطية . كما استقدمت الادارة المدنية رجالا من ذوي الخبرة العالية بزراعة القطن واستخراج النفط ، وقامت عدة شركات تجريبية بتوسيع زراعة القطن بشكل ملحوظ . ففي شركة (تل داير) - مثلا - بلغت المساحة التجريبية المزروعة بالقطن (٨٠) هكتارا .. وفي شمال بغداد استقدم خبراء لبناء مصنع خاص بتكرير البترول .

بعد عقد اتفاقية الهدنة مع تركيا ، تضاعف استيراد البضائع الصناعية الى العراق ، خاصة منها منتجات صناعة الاقمشة الانكليزية ، وارتفع المعدل السنوي لواردات العراق من البضائع الاجنبية عام ١٩١٩ الى أكثر من (٤ر٥) مرة عما كان عليه عام ١٩١٢ ، خاصة بالنسبة للاقمشة[٧٠] التي ارتفعت وارداتها الى (٤ر٧٥) مرة . وفي عام ١٩٢٠ بلغت كميات البضائع المستوردة ستة أضعاف ما كانت عليه عام ١٩١٢[٧١] . وقد اتخذ المحتلون عددا من الاجراءات لتشجيع التصدير الى العراق ، منها ما اتخذوه بشأن تخفيض الرسوم الكمركية من ١١ - ١٠٪ من قيمة البضائع[٧٢] . وعملوا أقصى ما في وسعهم على عرقلة أي نشاط اقتصادي مستقل للتجار والملاكين

٦٩ - ويلسون المصدر السابق ص ٢١٦ ، ٢١٧
« تايمس » في ٣/١٣ ، ٦-٥-١٩٢٠
شولتسه ، ص ٠(٩١)
٧٠ - « تايمس » في ٣/٥ ، ١٩٢٠/٨/٢١ .
بريطانيا العظمى ، ص ١١٥
٧١ - بريطانيا العظمى ، ص ٢٠٦
٧٢ - المرجع السابق ، ص (٨)

العراقيين ، سواء كان ذلك في مجالات الصناعة والتجارة والمواصلات أم في مجالات الانتاج الزراعي • وليس عبثا ان السفن النهرية التي خلفتها الحرب البريطانية ـ التركية ، لم يجر بيعها في العراق وانما بيعت في بومبي(٧٣) •

وقد أدى ذلك الى عدم اشتراك البرجوازية العراقية في المزايدات التي تجريها السلطات المحتلة ، كما واجهت الحركة التجارية ، بما فيها تجارة المحاصيل الزراعية ، بعد الحرب الاولى ، صعوبات كبيرة في المحافظة على نشاطها بسبب صدور مرسوم تحديد النقل •

وبسبب رغبة الانكليز في ضم العراق بالمستعمرات البريطانية ، فقد وضعت خطة استعمارية أساسها ايجاد قاعدة اجتماعية من زعماء الاقطاع والكومبرادور والمرابين ، أي تلك الفئات التي ترتبط مصالحها بالبناء الاجتماعي والاقتصادي القائم حينذاك ، والتي ترى انه لا يمكن تحقيق تلك المصالح الا بمساندة من المستعمرين •

لقد تحوّل الاقطاعيون والكومبرادور الى جانب المحتلين بعد دخول القوات البريطانية العراق مباشرة • وعندما انسحبت القوات التركية من البصرة ، بادر الاثرياء المحليون الذي امتلأوا رعبا ، الى ارسال وفد للقاء الجيش البريطاني ، وطلب حماية القوات الغازية ، باحتلالها البصرة بأسرع وقت ممكن(٧٤) • كما اسرع الكثيرون من شيوخ البدو ، الى مراسلة الفرق الانكليزية الاستطلاعية • وازدادت تلك الروابط لاحتلال القوات البريطانية ، هذه أو تلك من المناطق ، حيث زار الشيوخ المقر العام للمندوب السامي البريطاني ، واستلموا هدايا نفيسة منه ، وأقروا للسلطات

---

٧٣ ـ ويلسون المصدر السابق ، ص٢٢٠
٧٤ ـ بريطانيا العظمى ، ص ٣

البريطانية الزعامة على قبائلهم[٧٥] • واعفت من الضرائب مقاطعات كبار الاقطاعيين المتنفذين كشيوخ المحمرة وغيرهم[٧٦] •

بعد ان استتب الامر للسلطات البريطانية في العراق ، بادرت باجراء اصلاح زراعي فيمايس عام١٩١٩ ، قوبل بالترحيب من قبل كبارالاقطاعيين وأثرياء المدن ، الذين كانوا قد حصلوا في العهد العثماني على وثائق بحيازة الاراضي العائدة للقبائل المختلفة • وقد اقتصرت اجراءات الاصلاح على اعادة تسجيل وثائق حيازة الارض ، حيث كانت الوثائق التركية لحيازة الارض مهملة للغاية ، حتى في المناطق التي كانت فيها السلطة التركية قوية جدا • لقد كانت الارض في حيازة الفلاحين من الناحية الفعلية ، حسب ما يقتضيه العرف المحلي ، الا انه لم يكن لديهم وثائق حيازة رسمية ، مما خلق امكانيات واسعة لاستحواذ كبار الاقطاعيين على أراضيهم• كان الاصلاح الزراعي موجها بالاساس لنهب جماهير الفلاحين من قبل الاقطاعيين والمحتلين الاجانب • اما الملاكون الصغار ، الذين كانوا يمتلكون وثائق تمنحهم حق حيازة الارض ، فقد أصبحوا في ظروف سيئة جدا ، حيث الزموا على دفع رسم الطابع الذي يصل في بعض الاحيان الى ربع قيمة الارض التي في حوزتهم • ففي منطقة بغداد ــ مثلا ــ « قدرت قيمة سندات الطابو لمالك الارض التي قيمتها ٢٠٠ روبية بـ ٥١ روبية »[٧٧] • وليس عبثا ان تذكر جريدة « التايمس » في مقالها الافتتاحي ، ان السياسة الزراعية التي تتبعها بريطانيا في العراق ، كانت موجهة بالاساس للقضاء على

---

٧٥ ــ المرجع السابق ، ص (٣٢) ،
بيل ، جـ (٢) ص ٤١٢

٧٦ ــ عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية جـ (٢) ص ٥٦

٧٧ ــ بريطانيا العظمى ، ص ٨٥ •

الحيازة الصغيرة للارض[78] •

لقد اعتمدت السلطات البريطانية الطريقة التي سلكها الاتراك في جمع الضرائب ، والتي كان من شأنها كسب تأييد القسم الاكبر من التجار والمرابين والبرجوازية الكومبرادورية •

وأبدى المحتلون اهتماما خاصا بمناطق العراق الاوسط ، حيث استمرت القبائل في تلك المناطق في النضال سنوات طويلة ضد استحواذ الشيوخ على الارض • ففي الاشهر الاولى من احتلال بغداد ، وجلاء القوات التركية عن مناطق الفرات الاوسط ، اعترف الانكليز رسميا بنفوذ القبائل في تلك المناطق • ولم يكن في المنطقة الممتدة بين الحلة والسماوة أي جزء من القوات العسكرية البريطانية حتى كانون الاول عام ١٩١٧[79] • كما ان السكان المحليين والكثير من الشيوخ الذين نصبهم الانكليز باعتبارهم ممثلين للسلطة ، كانوا يتجاهلون تماما أوامر السلطات البريطانية ، حيث امتنعوا عن دفع الضرائب ، واستمروا في علاقاتهم التجارية مع المناطق التركية المحتلة[80] • ولم تستطع السلطات البريطانية أن تفرض سيادتها على تلك المناطق الا عام ١٩١٧ ، عندما بعثت اليها بالقوات المسلحة ، وعينت الضباط السياسيين في المراكز المهمة من الفرات الاوسط •

وفي مناطق القبائل ، أعاد الانكليز الشيوخ الذين طردتهم قبائلهم ، مستبدلين اياهم بالزعماء الذين يناوئون الوجود البريطاني • ففي منطقة (سوق الشيوخ) ـ مثلا ـ ، « تحايل » الضابط السياسي (ديكسون) ، كما يعترف هو نفسه بذلك ، على اثنتين وعشرين قبيلة ، باعادة الشيوخ

---

٧٨ ـ « تايمس » في ٢٣ـ٩ـ١٩١٩ •
٧٩ ـ بريطانيا العظمى ، ص ٣٥ـ٣٦ •
٨٠ ـ نفس المصدر ، ص ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ •

الذين طردوا منها[٨١] . واستطاع الضباط السياسيون ، بالاعتماد على الجندرمة والقوات المسلحة ، القضاء على الاستغلال الفعلي لقبائل ومدن الفرات الاوسط ، (بما فيها النجف وكربلا) ، وأصبح عدد من الشيوخ ، الذين كانوا قبل الاحتلال البريطاني ، يعتمدون على أفراد قبائلهم ، ويملكون سلطات مطلقة في مناطقهم ، أصبحوا مضطرين للتحالف مع المحتلين . واستبدل أكثر رجال القبائل ثباتا وصلابة من قبل السلطات البريطانية ، وابعد قسم منهم أو وضعوا تحت الحراسة[٨٢] . وبمساعدة القوات المسلحة ثبتت سلطة اولئك الاقطاعيين غير الموجودين في الارض ، ومنحوا سندات حيازة أراضي الفلاحين[٨٣] . الا ان هؤلاء لم يجرأوا على ادخال الانكليز واظهارهم في مقاطعاتهم . وقد وضعت أقوى الحاميات البريطانية في ضواحي النجف وكربلا ، وابدلت شرطة المدن بفرق الجندرمة التي نظمت من قبل السلطات البريطانية[٨٤] . وفي كلتا المدينتين ، كانت السلطة متمركزة في أيدي الضباط السياسيين الانكليز . كما حولت كل ما لدى الشيعة من أوقاف الى الاشراف المباشر من قبل السلطات البريطانية[٨٥] . وقد عبّر بعض الوجهاء عن استيائهم للاجراءات الجديدة التي اتخذتها السلطات البريطانية ، الا انهم عوقبوا بمصادرة أموالهم أو ابعادهم الى مناطق نائية[٨٦] . اما في المناطق الوسطى من دجلة التي هيمن عليها الانكليز في فترة مبكرة ، فقد استطاعوا ابعاد عدد من الشيوخ المتمردين ، والتوصل

---

٨١ ــ ايرلاند ، ص ٩٤ ، وبريطانيا العظمى ، ص ٨٠ .
٨٢ ــ بريطانيا العظمى ، ص ٢٤ .
« تايمس » في ١٠/٣/١٩٢٠
٨٣ ــ بريطانيا العظمى ، ص ٣٨ .
٨٤ ــ المصدر السابق ، ص ٣٨ .
٨٥ ــ أيضا ، ص ٩ ، ١٠ .
٨٦ ــ أيضا ، ص ٣٩ .

الى اتفاق مع رؤساء القبائل التي تقطن تلك المناطق ، ومنحهم حق الاولوية في جمع الضرائب[٨٧] .

كانت سياسة المحتلين ، تهدف الى تعزيز مركز الاقطاعيين في تلك المناطق، فقد منح الاقطاعيون حق استيفاء بدلات ايجارالارض ، كما كانت الحال في عهد السلطة التركية ، وذلك بمساندة القوات البريطانية[٨٨] ، مع ان بعض القبائل رفضت الرضوخ لاطماع الاقطاعيين ، حتى بعد دخول القوات البريطانية (مثال ذلك ما حدث في المنتفك) . كما قام الموظفون الانكليز والملتزمون بأعمال جمع بدلات ايجار الارض في بعض المناطق[٨٩] .

واستطاعت السلطات البريطانية ، احراز نجاح كبير في مجال جمع الضرائب ، حيث بادرت بعض القبائل بدفع الضرائب للسلطات البريطانية بصورة منتظمة ، بعد أن رفضت ذلك في عهد السلطة التركية ، ولا ترضخ الا بشن الحملات العسكرية عليها . واعتمد الانكليز الطريقة التركية في جمع الضرائب ، وقاموا بتخفيضها في بعض المناطق . على انهم لم يحذوا حذو الاتراك في جمعها جملة واحدة[٩٠] ، وعند رفض المواطنين دفع الضرائب كان الانكليز يلجأون الى شتى الوسائل البربرية لاجبارهم على دفعها ، بما في ذلك استخدام قاذفات القنابل .

ومن أجل اخضاع قبائل الفرات الاوسط ودجلة ، فقد عملت السلطات البريطانية على توحيد قياداتها مع رؤساء القبائل ، خاصة منهم أؤلئك الذين يشغلون مناصبهم بمساندة وتأييد الانكليز . حيث قام الشيوخ ، الذين يعملون تحت أمرة الضباط السياسيين ، بحراسة طرق

---

٨٧ ــ المصدر السابق ، ص ٢٣ــ٣١ .
٨٨ ــ أيضا ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ .
٨٩ ــ ايضا ، ص ٨٣ .
٩٠ ــ « تايمس » في ٨ــ١١ــ١٩١٩ .

المواصلات ، والاسهام في بعض الاعمـــال الادارية والقضائية ، ومنحوا صلاحية اعتقال المجرمين والنظر في الدعاوى القضائية الصغيرة • وقـــد اعتمد الضباط السياسيون ، على مستشارين من رجال الدين المحليين ، أي القضاة المسلمين ، للنظر في الدعاوى المطروحة أمامهم(٩١) •

ومنح شيوخ بني لام في أواسط دجلة حق جمع الضرائب في مناطق قبائلهم • أما في الفرات الاوسط فقد ساهم رؤساء القبائل بجمع الضرائب لقاء نسبة معينة منها(٩٢) •

وقد انخرط أبناء الشيوخ وأقربائهم في الجندرمة المحلية (الشبانة) ، التي شكلت لكبت استياء وسخط الجماهير الشعبية • وكان هدف الانكليز من تجنيد أبناء الشيوخ في سلك الجندرمة هو الاستعانة بهم في الادارة وتنفيذ السياسة الاستعمارية في مناطقهم •

كما طبقت سياسة كسب الاقطاعيين واستخدامهم لخدمة مصـــالح المحتلين ، في مناطق اخرى من البلاد • ففي المدن والارياف قدمت السلطات البريطانية مساعدات متعددة الجوانب للاقطاعيين والكومبرادور للاستفادة منهم ، ضد الانتفاضات المحدودة التي كانت تقوم بهـا جماهير الشغيلة ، وعملت على توطيد العلاقات معهم ، وجذبهم الى جانبها كمستشارين • أما في القضايا الحقوقية فقد بادر المحتلون الانكليز الى طلب مساعدة كبار رجال الدين المحليين ، كالملالي والمفتـين والحاخامين والاساقفة(٩٣) • وانضوى قسم من الاقطاعيين للخدمة لدى الضباط السياسيين الانكليز في

---

٩١ ـ بريطانيا العظمى ، ص ١٤ـ١٦ •

٩٢ ـ فوستر ، ص ٦٦ ، محمد طاهر العمري الموصلي ، الجـــزء الثالث ، ص ٥ •

٩٣ ـ بريطانيا العظمى ، ص ١٤ـ١٦ •

هيئة مراقبي ضرائب ، وموظفين ماليين ، ... وما الى ذلك(٩٤) .

ومن أجل توثيق الروابط مع الاقطاعيين فقد بادر الانكليز بتشكيل مجالس محلية في بعض المدن الصغيرة كالناصرية وسوق الشيوخ وقلعة سكر ، يقتصر واجبها على تقديم المشورة فقط(٩٥) .

أما في مناطق قبائل البدو فلم يكن للسلطات البريطانية نفوذ فعلي عندئذ ، وانما اكتفت باعتراف زعماء تلك القبائل للانكليز بالادارة المدنية ، وبقي هؤلاء متمتعين باستقلالهم التام كالسابق ، ولم يدفعوا الضرائب للسلطات المحتلة . كان واجب الحاميات العسكرية البريطانية في منطقة الفرات ، يتحدد بصورة عملية ، بحماية خطوط القوافل ، وكانت تحرص على عدم التدخل في شؤون قبائل البدو . وقد أبدت سلطات الاحتلال اهتماما كبيراً بقبائل البدو ، فسعت لتعزيز علاقات الصداقة مع زعماء تلك القبائل . وقد استلم رؤساء قبائل الدليم وامارة عنزة والدافر هدايا واعانات لقاء ولائهم للادارة المدنية(٩٦) . وكان على هؤلاء الرؤساء حماية خطوط القوافل والحدود ، فقد وضعت الحدود الجنوبية للعراق ـ مثلا ـ في حماية رؤساء قبيلة الدافر(٩٧) . وكانت قبائل شمر وطي وغيرها من القبائل التي تقطن في مواقع حصينة على دجلة والفرات ، كانت تعيش في ظروف جيدة نسبيا . وقد ارسلت القوات البريطانية الى أراضي شمر لجمع ضرائب باهضة من تلك القبيلة(٩٨) . وأخيرا فقد تيسر الامر

---

٩٤ ـ محمد طاهر العمري الموصلي ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ص ٥١ ، أمين الريحاني ، ملوك العرب ، الجزء الثاني ، ص ٣٣٤ .

٩٥ ـ بريطانيا العظمى ، ص ٦٠ .

٩٦ ـ ايرلاند ، ص ٢٧٠ .

٩٧ ـ لونكريك ، ص ٨٢ .

٩٨ ـ نفس المصدر ، ص ١٠٦ .

للانكليز ، واتخذوا اجراءات صارمة لالغاء الاتاوة التي كانت تدفع للقبائل لقاء المرور في أراضيها[٩٩] .

أما في كردستان فقد تميزت السياسة البريطانية بخصائص معينة ، اذ أعاد المحتلون تسجيل حقوق حيازة الارض ، واعترفوا بشرعية حيازة الاقطاعيين الاكراد على أراضي الفلاحين في العهد التركي[١٠٠] . وبالرغم من خضوع كردستان بصورة رسمية لسلطة الضباط السياسيين ، الا ان الادارة المدنية كانت مضطرة الى الاعتراف بالاستقلال الذاتي لعـــدد من المنـــاطق . وفي تشرين أول ١٩١٨ استلم (نويل) ، الضـابط السياسي البريطاني في السليمانية ، تعليمات تقر تعيين زعماء القبائل ورجال الدين، كرؤساء للوحدات الادارية ، تحت امرة الموظفين الانكليز . وقد اضطر نويل الى عقد مؤتمر لقبائل جنوبي كردستان العراق[١٠١] عين بنتيجته الشيخ الكردي المتنفذ محمود بارزاني حاكما (حكمدارا) في المنطقـة الممتدة من حلبچة حتى الزاب الكبير ، وبذلك فقد اخضعت تلك المناطق لرؤساء القبائل[١٠٢] . وسلك الانكليز سياسة مشابهة في مناطق راوندوز وعمادية[١٠٣] . ويلاحظ ان سبب امتنـاع المحتلين الانكليز عن اتبـاع السياسة المركزية التي اتبعت في المناطق الوسطى من العراق ، هو عـدم كفاية قواتهم المسلحة في كردستان . ولم يكن بالامكان احلال « النظام » في كردستان بدون تطبيق تلك السياسة ، باعتراف (بيل) رئيسة المخابرات

---

٩٩ ــ بريطانيا العظمى ، ص ٥٦ .

١٠٠ــ المصدر السابق ، ص ٦٣ .

١٠١ــ ايضا ، ص ٦٠ .

١٠٢ــ نفس المصدر ، ص ٤٨ ، ٦٠ . « تايمس » في ١٧ــ١١ــ١٩١٩ .

١٠٣ــ بريطانيا العظمى ، ص ٦٠ ، ٧٤ . لونكريك ، ص ١٠٥ .

البريطانية[١٠٤] • الا ان الانكليز استطاعوا استخدام الجماعات الاقطاعية المعـــادية للولاة الاكراد ، وتمكنوا من ابعـــاد هؤلاء الولاة عن الادارة تدريجيا ، واخضاع جميع السلطات في تلك المناطق لسلطتهم مباشرة • فقد بادر الضابط السياسي الجديد في السليمانية في بداية عام ١٩١٩ ، الى ابعاد الشيخ محمود عن السلطة • وخفضت المساحات الخاضعة رسميا للاقطاعيين الآخرين ، فعلى سبيل المثال فصلت منطقة حلبجة عن أراضي قبيلة جاف[١٠٥] •

ولقد الحقت سياسة المحتلين الانكليز في العراق ، ضررا بليغـــا بمركز الاقطاعيين الذين كان لهم نفوذ كبير في الحياة السياسية للبـــلاد قبل الاحتلال البريطاني ، وظهر ذلك بشكل جلي في مناطق دجلة والفرات وكردستان والجزيرة •

ومن أهم مظاهر السياسة البريطانية ، زرع الشقاق بين القوميـات والقبائل والاديان المختلفة • ومن ذلك عللت (بيل) أسباب دمج منطقـة اليزيديين بجبل سنجار في العراق ، بأن سكان هذه المنطقة كانوا يكنون العداء المستحكم للعرب[١٠٦] • واستغل المحتلون الأنكليز الخلافات بين رؤساء القبائل وأفرادها لتثبيت سيادتهم عليها[١٠٧] • وأبرز ما قاموا به في هذا المجـــال ، كسب الآثوريين الذين هربوا من زعمائهم في عقرة

١٠٤ـ بريطانيا العظمى ، ص ٦٠ •

١٠٥ـ المصدر السابق ، ص ٦٤ •

"Journal of the Central Asian Society', 1928, vol. XV, pl. III, p. 255.

« مجلة الجمعية المركزية الآسيوية » لعام ١٩٢٨ ، المجلد (١٥) العدد الثالث ، ص ٢٥٥

١٠٦ـ بريطانيا العظمى ، ص ٥١ •

١٠٧ـ المصدر السابق ، ص ٣١ ، « تايمس » في ٢ـ٨ـ١٩٢١ •

وأقـــاموا في منطقــة قرب بعقـــوبة . وقـــم الانكليـز بتوطـــين الآثوريين في بعض المناطق الكردية بعد أن طردوا الفلاحين الاكـــراد منها ، مما زاد في حدة العداء بين الاكراد والآثوريين[١٠٨] .

ولم يعر المستعمرون الانكليز اهتماما للمشاعر القومية للمواطنين ، بل تعمدوا الى اهانة كرامتهم . فقد عمد جنود الاحتلال بقسوة الى تحطيم الآثار الثقافية العريقة التي لا تقدر بثمن . ولم يتورع الضباط عن ضرب الشيوخ والاطفال من العرب والاكراد على حد سواء[١٠٩] . وقد كتب « أ. ج. ايميليانوف » في ذكرياته عن الحركات العسكرية للقوات الروسية في الجبهــة التركية يقول ، ان القوزاق الروس الذين دخلوا العـراق « دهشوا من تصرفات الانكليز تجاه المواطنين العراقيين . فقد كانت معاملتهم شرسة جدا ، بحيث كان الضباط يقتلون السكان الآمنين المسالمين ، بمجرد عدم وقوفهم عند قدوم أولئك الضباط »[١١٠] .

كانت سياسة السلطات المحتلة تهدف الى ضم العراق الى حظـيرة المستعمرات البريطانية ، وجعله مصـــدرا للارباح الاستعمارية الفاحشة للاحتكاريين الانكليز ـ أي ان الانكليز أرادوا بسياستهم في العراق ، اقرار (نظام) للنهب ، وفرض الضرائب الباهضة ، والمصادرة ، وأعمال السخرة . وبالاضافة الى ذلك فقد تميزت هـــذه السياسة بتهكم الجنود الانكليز على السكان المسالمين واهانتهم لهم . لقد سعى المستعمرون الانكليز الى اقامة نظام دكتاتوري لـ « الضباط السياسيين » في العراق ، وعملوا

---

١٠٨ ـ « تايمس » في ٦ـ١٠ـ١٩٢١ .

١٠٩ـ محمد طاهر العمري الموصلي ـ الجزء الثالث ـ ص ١٠٤ ، ويلسون ـ **الولاء في بلاد ما بين النهرين ، ص ٥٥** .

١١٠ـ أ.ج ايميليانوف ، الجبهة الفارسية ١٩١٥ـ١٩١٨ . برلين ١٩٢٣ ، ص ٦٧ .

أقصى ما في وسعهم على محو أي أثر للادارة الذاتية ، ولم يكن هدف المحتلين من جذب شيوخ القبائل ورجال الدين والوجهاء للقيام بأعمال الادارة، الا رغبتهم في منح الجهاز الاداري الاستعماري مظهرا أكثر مرونة • أما في مجال الاقتصاد الوطني فقد عملت السياسة البريطانية على خنق الصناعة الوطنية والحرف المحلية ، وتوطيد السيطرة الاقتصادية الكاملة لرأس المال البريطاني المحتكر • كما عملت على القضاء على الحيازة القبلية للارض لدى القبائل الرحل وأشباه الرحل ، وكذلك القضاء على الحيازة الفلاحية الصغيرة للارض ، بينما سعت من جانب آخر الى الحفاظ على نظام الانتاج الاقطاعي ، مما أسرع في الازمة الاقتصدية والاجتماعية والسياسية للبلاد •

الفصل الثالث

الحركة الوطنية التحررية في العراق
قبل ثورة العشرين

كانت سياسة المحتلين الاستعمارية ، تهدف الى استعباد الشعب العراقي ، والحفاظ على بقايا الاقطاع ، كما كانت تعمل على اشاعة البؤس والفاقة في أوساط جماهير الشغيلة ، واهدار حقوقها • الا انه ، بالرغم من ذلك ، لم يكن بوسع تلك السياسة تلافي مقاومة الجماهير الشعبية في البلاد ، وفي مقدمتها الفلاحون والبدو ، الذين كانوا يمثلون القوة الرئيسة للحركة الوطنية التحررية ، ويقع على عاتقهم العبء الأكبر للظلم الاستعماري •

وقد شاركت قبائل الفرات الاوسط بقسط وافر في الحركة التحررية في البلاد ، لما لهذه القبائل من خبرة غنية في النضال ضد محاولات الاقطاعيين ، والسلطات التركية ، من أجل الاستحواذ على أراضي الفلاحين • واتجهت تلك القبائل الى توحيد منظماتها العسكرية ، التي استخدمت زمنا طويلا في مصلحة رؤساء القبائل ، الا انها أصبحت مع ذلك مظهرا للتعبير عن مصالح أفراد القبائل ، بشكل أو بآخر • ومما عمق في الاتجاهات الثورية لقبائل هذه المنطقة ، محاولة السياسة البريطانية اخضاع تلك القبائل ، وتوطيد الاستغلال الاقطاعي ، والاستبداد في فرض الضرائب عليها •

كما ناضلت قبائل البدو ، التي تقطن الجزيرة ، بعنف ضد المحتلين الاجانب • أما في مناطق البادية السورية ، وفي عدد آخر من المناطق التي كانت فيها السلطة البريطانية ضعيفة جدا ، ولم تكن لقبائلها خبرة غنية في نظام الاحتلال ، فقد كان نضالها ضد المستعمرين ضعيفا ، بينما ساهم

الفلاحون الاكراد بفعالية في النضـــال التحرري ضد المستعمرين • أما فلاحو بغداد والبصرة والموصل ، فقد التحقوا بالحركة الوطنية في وقت متأخر بالنسبة للمناطق الاخرى ، حيث كانوا يفتقرون الى التجـــارب النضالية والتنظيم •

لقد امتزج نضـــال الفلاحين في العراق ضد الاستبداد الاستعماري بنضالهم ضد الاستغلال الاقطاعي ، بالرغم من انه لم يأخذ طابع الثورة من أجل الارض • كما ان وقوف جماهير الفلاحين في العراق الاوسط ضد محاولات الاقطاعيين للاستحواذ على أراضي القبيلة ، لم يهدف الى القضاء على جميع أشكال الاستغلال الاقطاعي •

أما الطبقة العاملة العراقية ، التي كانت عندئذ قليلة العدد وضعيفة سياسيا ، فانها لم تكن تملك أي نوع من التنظيم ، خاصة بالنسبة للعمال الموسميين الـــذين كانوا يعتبرون بالنسبة لمركزهم الاقتصادي ، وآرائهم جزءا من الطبقة الفلاحية • ولم تكن الطبقة العاملة الناشئة عاجزة عن القيام بدور قيادي فحسب ، وانمـــا لم يكن بامكانها أيضا القيام بأي دور مستقل ملحوظ ، مع انهـــا ساهمت مساهمة فعـــالة في الحركة الوطنيـــة التحررية ضد المستعمرين • كما لم يكن بوسع البرجوازية العراقية قيادة الحركة الوطنية التحررية ، لانها كانت ضعيفة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية •

لقد كان الكومبرادور أكثر فئات البرجوازية الكبيرة ثراءا وقوة ، وكانت هذه الفئة تتكون في معظمها من عناصر غير عربية ، من اليهـــود والارمن والفرس والهنود • وبديهي ان اعتماد هذه الفئة من البرجوازية على التجارة مباشرة ، دفعها الى مساندة التوسع الاستعماري في البـــلاد ، وأبرز ما قامت به في هذا المجال ، موقفهـــا من المستعمرين في البصـــرة

والمناطق المحيطة بها •

أما كبار المرابين والملتزمين ، المرتبطين بالاستغلال الاقطاعي ، فقد كانوا يؤيدون الفئات الرجعية من الاقطاعيين العراقيين ، الذين أدت سيطرة الانكليز على البلاد الى الاضرار بمصالحهم الى حد ما ، بسبب هيمنة المستعمرين على اقتصاديات البلاد • الا أن هؤلاء المرابين والملتزمين اندفعوا الى مساندة المحتلين ، رغبة منهم في استتباب « السلم » و « النظام » في البلاد • وقد ابعد المستعمرون البرجوازية الوطنية ، التي تتكون من التجار الذين يعملون عادة في السوق الداخلية ، وعدد قليل من أصحاب المعامل ، عن العمل في التجارة الخارجية المربحة ، وادخال رؤوس أموال جديدة في الصناعة ، نتيجة سيطرة الاحتكارات الاستعمارية وعملائها الكومبرادوريين على الاقتصاد الوطني • لذلك فقد أصبح تحقيق استقلال البلاد ، من أهم الاهداف التي تناضل البرجوازية الوطنية من أجلها • لقد كانت البرجوازية الوطنية في تلك الفترة ، قوة ثورية تقف بحزم في المعسكر المعادي للاستعمار • الا ان نشاط القوميين البرجوازيين ، خاصه منهم المثقفين البرجوازيين في العراق ، اقتصر على المدن بصورة رئيسية ، حيث تكونت قاعدة اجتماعية لهم من الحرفيين والعمال والتجار الصغار ، ولم يكن لهم نفوذ كبير في أوساط الفلاحين • ومما ضاعف من مساهمة الحرفيين في النضال ضد الاستعمار ما سببته لهم هيمنة المستعمرين على اقتصاديات البلاد من بؤس وفاقة نتيجة انقراض حرفهم •

لقد عزز المستعمرون الانكليز من روابطهم بالفئات الاقطاعية المغرقة في الرجعية ، والتي كانت سندا للاتراك طيلة وجودهم في العراق ، ثم وقفت الى جانب المستعمرين الانكليز بعد احتلالهم للبلاد ، حيث وجد المستعمرون الانكليز في تلك الفئات قوة لاخماد مقاومة الفلاحين ،

وشاركهم في التقرب للمستعمرين الانكليز الملاكون الكبار الذين كانوا يعيشون بعيدا عن مقاطعاتهم في بغداد والبصرة والموصل والمدن الاخرى ، والذين كانوا يدعون بـ « الملاكين الغائبين » • وقد أصبح هؤلاء واؤلئك في مركز الخادم الامين من المحتلين الانكليز[1] •

لقد ساند رؤساء القبائل الرحل والمستقرة في العراق السياسة البريطانية بحزم ، لانها ضمنت لهم حرية استغلال جماهير الفلاحين • على ان رؤساء القبائل الذين خسروا امتيازاتهم السابقة بهيمنة السلطات البريطانية ، كانوا قد اندفعوا في النضال ضد الاستعمار ، وسار في حذوهم زعماء القبائل الذين تجمعهم روابط وثيقة بأفراد قبائلهم ، والذين كانوا عندئذ على استعداد لقيادة الحركة الوطنية التحررية ، خاصة وانهم قد أمسكوا في أيديهم زمام القيادة السياسية والايديولوجية لجماهير الفلاحين في نضالهم ضد الاستعمار •

وظهرت بوادر التقارب بين فئات البرجوازية للالتئام في وحدة وطنية من أجل النضال التحرري ، دون تمييز بين العقائد الدينية ، كما برزت فكرة التقارب بين الشيعة والسنة ، الا ان هذه الفكرة واجهت مقاومة كبيرة من قبل المستعمرين ، الذين قاموا بنشاط كبير لاستغلال الخلافات الدينية بين الكتل الوطنية والقبلية •

العراق وثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا

لقد خاض شعب العراق نضالا متواصلا ضد الغزاة الاجانب • ففي عهد سيطرة الاتراك على العراق ، ظهرت في بغداد والبصرة وغيرها من المدن ، منظمات تضم جماعات من المثقفين التقدميين والتجار وغيرهم من العناصر الوطنية ،

---

١ ــ فقد تمسك المجتهد كاظم اليزدي ــ مثلا ــ بآرائه المؤيدة للانكليز ، حتى وفاته عام ١٩١٩ •

ساهمت في ظهور الجمعيات السرية في الامبراطورية العثمانية • الا ان النضال ضد النير الاجنبي لم يخرج حتى الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) عن نطاق المقاومة العفوية للجماهير الشعبية ، التي كانت تدفعها أهداف محلية في أكثر الاحيان •

الا انه حدث انعطاف مهم في الحركة الوطنية التحررية في العراق ، بتأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى • اذ أن أفكار العدالة والصداقة بين الشعوب ، التي اعلنتها روسيا ، كان لها وقع كبير في الدول الخاضعة للاستعباد الاستعماري • وأدى النضال البطولي لشعوب روسيا ضد المتدخلين الاجانب الى بعث الامل في الشعوب الواقعة تحت نير الاستعمار من امكانية تحقيق النصر على المستعمرين[٢] •

لقد كان للاحداث العظيمة التي طرأت في روسيا ، اصداء واسعة في اوساط الشعب العراقي ، وبالرغم من محاولات السلطات الاستعمارية تشويه الحقائق التي انتشرت عن تلك الاحداث ، الا آن محاولاتهم لم تجد نفعا ، حيث سرت أخبار الثورة في جميع أنحاء البلاد ، خاصة عن طريق الايرانيين الذين يؤمون النجف وكربلاء باستمرار[٣] • وقد كتب (صون) محافظ السليمانية بقلق قائلا (ان اسم البلشفية ومبادئها أصبحت معروفة جيدا ، مع الاسف •••)[٤] • ويلاحظ ان احداث روسيا قد نوقشت من قبل الفئات المختلفة من السكان[٥] • وأصبح الشعب العراقي على ثقة من انه على انقاض روسيا الاستعمارية ، ظهرت دولة ذات طراز جديد ، قررت بحزم القضاء على السياسة الاستعمارية ، وتحولت

٢ – ليل ، ص ١٠٤ – ١٠٥
٣ – المصدر السابق ، ص ٢٠٨
٤ – ويلسون ، بلاد ما بين النهرين ، من ١٩١٧ الى ١٩٢٠، ص ١٤٥
٥ – بيل ، ج (٢) ، ص ٤٨٥

الى مناضل من أجل استقلال الشعوب وحريتها •

وقد فضحت الدولة السوفيتية الفتية ، الاهداف الاستعمارية لدول الحلفاء في الشرق الادنى ، وأدت الوثائق السرية التي نشرتها عن الاتفاقية البريطانية ــ الفرنسية لعام ١٩١٦ (اتفاقية سايكس بيكو) ، التي وصلت العراق عن طريق الصحافة الانكليزية المعارضة وجريدة « حبل المتين » التي تصدر في كلكتا ، الى كشف الاقنعة المزيفة عن بريطانيا الحرة ، وفرنسا الجمهورية ، وعرفت الشعوب العربية بالخطط الاستعمارية لتقسيم الدول العربية •

وكان لقرب العراق من الحدود الروسية أهمية كبيرة للمستعمرين الانكليز ، اذ انهم استخدموا اراضيه كرأس جسر لمنظمات التدخل المعادي للسوفيت ، وللتسرب الى مناطق ما وراء القفقاس وآسيا الوسطى ، بغية القضاء على الدولة السوفيتية الفتية • واستقرت في العراق القيادة العسكرية لوحدات التدخل البريطاني التي احتلت المناطق الجنوبية من البلاد السوفيتية ، والتي كانت تشن حملات عدوانية على الحركة الوطنية التحررية في ايران • وعلى هذا فأن انتصار الجيش الاحمر في مناطق ما وراء القفقاس وآسيا الوسطى ، ونجاح الحركة التحررية في ايران ، قد اثرا تأثيرا مباشرا على مجريات النضال الذي يخوضه الشعب العراقي ضد المستعمرين الانكليز •

منظمات الحركة الوطنية في العراق

لقد ظهر في العراق قبل الحرب الاولى عدد من الجمعيات السياسية البرجوازية الاقطاعية ، الا ان الحركة الوطنية كانت تتصف عندئذ بالميوعة ، ولا يوحدها برنامج واضح ومحدد • وبصورة عامة ،

لم تكن هذه الحركة عميقة الجذور ، وسرعان ما تفتت لاسباب اقتصادية بحتة • على انه ظهرت بعد الحرب مباشرة تحولات مهمة في الحركة الوطنية داخل الاتجاهات البرجوازية الاقطاعية ، حيث ارتبط نشاط الكتل القومية البرجوازية والاقطاعية بالجمعيات العراقية ـ العربية (العهد العراقي) و (حرس الاستقلال) ، وكذلك المنظمات الكردية في المناطق المجاورة[٦] •

تعتبر جمعية (العهد العراقي) وريثة لمنظمة (العهد) التي أسسها عدد من الضباط قبل الحرب العالمية الاولى ، وقد ظهرت خلال المدة بين شتاء عام ١٩١٧ ـ ١٩١٨ وكانون الثاني عام ١٩١٩ ، في جيش الامير فيصل ، الذي حارب الاتراك في الجبهة الفلسطينية[٧] • اما جمعية (العهد) فقد تأسست في الموصل منذ عهد السلطة التركية[٨] • ويلاحظ ان غالبية الاعضاء في (العهد العراقي) كانوا ينتمون الى رجال الاقطاع ، الذين ساندوا المستعمرين الانكليز ، وكان بين صفوفهم شخصيات لعبت دورا مهما في الحياة السياسية فيما بعد امثال نوري السعيد وجعفر العسكري ، وجميل المدفعي ، وغيرهم ممن عرفوا بتعاطفهم مع الانكليز قبل الحرب العالمية الاولى • وقد تزعم هؤلاء الكتل المساندة للمستعمرين في عهد

---

٦ ـ ويذكر (ايرلاند) انه في تلك الفترة نشطت جمعية اخرى في العراق العربي ، دعيت بجمعية (الهلال) • الا انه لا توجد معلومات عن برنامج ونشاط هذه الجمعية •

٧ ـ فقد بدأت في الحجاز ، عام ١٩١٦ ، انتفاضة القبائل العربية، ضد الدولة التركية ، بقيادة حسين شريف مكة واولاده •حيث ترأس الامير فيصل (ملك العراق فيما بعد) قيادة القوات المسلحة العربية التي قامت بعملياتها في الاردن وسوريا • وكان لبريطانيا نفوذ كبير على قيادة الانتفاضة •

٨ ـ محمد طاهر العمري الموصلي • الجزء الثالث ، ص (٢٦ ، ٤٦ ، ٤٧) •

الاحتلال والاستقلال في العراق • فلا غرابة من ان هذه الجمعية كانت تعمل من أجل مصالح المستعمرين الانكليز ، بالرغم من وجود عناصر وطنية متنفذة فيها ، خاصة في منظمات القاعدة ، بما في ذلك المنظمات المنتشرة في بغداد والموصل[٩] • وقد عزز من هذا الاتجاه ، العلاقات الوثيقة التي تربط الجمعية بالعائلة الهاشمية ، وتحالفها المخلص مع الامير فيصل ، المعروف بتأييده للانكليز • كما يظهر موقف الجمعية المؤيد للانكليز في نظامها الداخلي وبرنامجها المعلن •

وقد سايرت الجمعية الوعي الوطني للشعوب العربية ، وظهرت كأنها خصم عنيد للظلم الاستعماري • ففي المادة الاولى من نظامها الصادر عام ١٩١٩ ، طرحت مطلب الاستقلال التام للبلاد ، الا ان هذا المطلب تحدد بما قررته المادة الثانية من هذا النظام ، والتي اعلنت عن رغبة الجمعية في الحصول على المعونة من انكلترا[١٠] • ومما يؤكد اهتمام الجمعية بوضع تلك المادة ، انها اصرت على ابقائها بالرغم من الاتهامات الكثيرة التي وجهت ضدها[١١] • وقد اعلنت « العهد » عن رغبتها في اعلان دولة ملكية دستورية ، يتقلد العرش فيها أحد أبناء الحسين ، شريف

٩ ـ كان ياسين الهاشمي رئيسا للجمعية • وقد اعتقل هذا عام ١٩٢٠ من قبل السلطات البريطانية في فلسطين ، بسبب نشاطه المعادي للانكليز • ونتيجة لذلك فقد تبنى فيما بعد موقفا معتدلا ، يدعو الى اقامة النظام البرلماني في العراق •

١٠ـ أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ، ص (٢١) ، محمد طاهر العمري الموصلي ، ج (٣) ص(٣٧) •
ويذكر الحسني ، ان العهديين عجزوا عن الحصول على مساعدة من الجهات الاخرى ، لانشاء جهاز الدولة ، ولذلك قرروا الاستعانة بالمستشارين الانكليز • عبدالرزاق الحسني ، العراق في دوري الاحتلال الانتداب ، الجزء الاول ، ص (٨٠) •

١١ ـ الحسني المصدر السابق ، ج (١) ص (٨٠) •

مكة (ملك الحجاز) مع انها كانت تفضل تقليد العرش الى عبدالله (أمير شرق الاردن وملك الاردن فيما بعد) • كما أعلنت العهد عن سعيها لتحقيق اتحاد الدول العربية تحت عرش الحسين ملك الحجاز الاقطاعي • اما النقاط الاخرى التي تضمنها برنامج « العهد » فلم تكن لها أهمية كبيرة ، اذ كل ما احتوته كان يعبّر عن رغبة الجمعية في التقدم والحضارة ••• وما الى ذلك [١٢] • واحتلت المسائل التنظيمية للجمعية جزءا كبيرا من البرنامج ، حيث قررت اعطاء أهمية بالغة للهيئة العليا للجمعية (المركز العام)[١٣] •

على ان الخطط الفعلية التي وضعها قسم من زعماء « العهد » ، تتحدد بمشروع لاقامة دولة للاقطاعيين والكومبرادور العراقيين تحت الحماية البريطانية • اما الكتل الوطنية في هذه الجمعية فلم تكن لها القوة الكافية للتأثير على سياستها ، وقد واجه نشاطها معارضة شديدة من جانب الكتل المساندة للانكليز •

كان تكتيك « العهد » يتركز في محاولة للتواطؤ مع السلطات البريطانية • وسعى العهديون الى تحقيق مطاليبهم عن طريق المفاوضات وتنظيم الاحتجاجات ، والتقدم بالنداءات الى المؤتمرات الدولية ••• وما الى ذلك • وقد أدى عدم تحقيق المستعمرين الانكليز لابسط مطاليب « العهد » ، الى نفاذ صبر قسم من العهديين ، ومحاولتهم تنفيذ برنامجهم بمساعدة أعداء انكلترا • فقد حاول المركز العام الحصول على تأييد الولايات المتحدة الامريكية وبعث بألتماس الى الرئيس ويلسون[١٤] بهذا الصدد ، كما طالب بعض العهديين ، أثناء وجود لجنة « كينكا ـ كرينا »

---

١٢ ـ امين سعيد ، الثورةالعربية الكبرى ، جـ (٢) القسم الثاني ، ص (٢١) •

١٣ ـ محمد طاهر العمري الموصلي ، جـ (٢) ، ص (٣٧ـ٤٤)

١٤ ـ المصدر السابق ، جـ (٣) ، ص (٥٠) •

الامريكية في العراق (في حزيران عام ١٩١٩) ، بالاعتراف بالحماية الامريكية على العراق[١٥] .

على انه لم يكن لـ « العهد » نفوذ كبير في العراق ، فقد اقتصرت فروعه على ثلاث من أكبر المدن في البلاد ، وهي بغداد والبصرة والموصل . ويلاحظ ان فرع الموصل كان قد قام بنشاط ملحوظ ، اما فرع البصرة فلم ينجز شيئا من الناحية العملية[١٦] . وعلى كل حال فقد اقتصر نشاط العهديين في العراق على العمل لنشر أفكار معتدلة في أوساط رؤساء الاقطاعيين والكومبرادور[١٧] .

اما جمعية « حرس الاستقلال » فانها احتلت موقفا أكثر صلابة

---

١٥ ـ امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ، ص (٢٣)

United States. Depart. of State. Rapers relating to the Foreign Relations of the United States. 1919 vol. XII. Washington 1948, p. (782).

حسين فوزي النجار ـ السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط القاهرة ١٩٥٣ ، جـ (١) ص (٤١٥ ، ٤١٦) .

ان الحديث يدور حول اللجنة التي بعثتها الحكومة الامريكية ، والتي كان واجبها الرسمي استقصاء آراء المواطنين في الشرق الادنى وقد ارسلت هذه اللجنة في ذروة النزاع الانكلو ـ فرنسي ـ الاميركي حول تقسيم الدول العربية فيما بين هذه الدول . وتظهر القرارات التي وضعتها هذه اللجنة ، بان نشاطها كان يهدف بالاساس كمحاولة لفرض الانتداب الامريكي على الدول العربية ، ومن بينها العراق .

١٦ ـ محمد طاهر العمري الموصلي ـ تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ص (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩)

١٧ ـ لقد اقتصر نشاط اهم فرع في الموصل ، بتوزيع المنشورات بين اعضائه ، وتزويدهم بجريدتي (العهد) و (العقاب) ، واقامة العلاقات مع زعماء القبائل ... وما الى ذلك .

انظر : محمد طاهر العمري الموصلي ـ المصدر السابق ، جـ (٣) ، ص (٣٢ ، ٤٧ ، ٤٩) .

بكثير من سابقتها ، فقد تأسست في بغداد في نهاية شباط ١٩١٩ ، من قبل جماعة من المثقفين بزعامة علي البزركان ومحمود باقر الشبيبي وجلال بابان ••• وغيرهم[١٨] • ثم انتمى الى الجمعية رجال الدين (المجتهدون) والشيوخ من ذوي الاتجاهات الوطنية ، وأصبح هؤلاء يكونون القسم الاكبر من أعضائها • وقد ساهم بنشاط في الجمعية ممثلو البرجوازية الوطنية والمثقفين البرجوازيين (التجار والمحامين والاطباء والطلاب ••• وما الى ذلك) •

كانت منظمة بغداد لجمعية « حرس الاستقلال » ، التي تتكون من فئات برجوازية مثقفة ، قوية بشكل ملحوظ • وكان من اشهر قادتها ، التاجر البغدادي جعفر أبو التمن ، والمجتهد محمد الصدر (رئيس الجمعية) ، والاقطاعي يوسف السويدي ، وعلي البزركان مدير المدرسة الاهلية ، ومحمد باقر الشبيبي ، وعارف حكمت[١٩] •

وقد قامت جمعية « حرس الاستقلال » بنشاط دعائي واسع بين مختلف أوساط المواطنين ، مما جعلها تتمتع بمركز أقوى من جمعية « العهد » • ولم يمض وقت طويل على تأسيسها حتى انضمت اليها منظمة سرية تدعى (جمعية الشبيبة العربية) ، كما نجحت في تأسيس خلايا عديدة لها في بغداد والكاظمية والشامية والنجف والحلة وبعقوبة ، وغيرها

١٨ ـ المصدر السابق ، ص (٥٧)

١٩ ـ وقد شارك معظم زعماء وقادة (حرس الاستقلال) فيما بعد، في الحركة الوطنية ، فقد ترأس جعفر ابو التمن ، بشكل خاص ، (الحزب الوطني العراقي) اليساري عام ١٩٢٢ ، وبعد ذلك نظم جماعة البرجوازيين الديمقراطيين (الاهالي) ، الذين لعبوا دورا بارزا في الحركة الوطنية التحررية والذين اشتركوا في احداث عديدة مع الحزب الشيوعي العراقي •

من مدن العراق الاوسط[٢٠] •

الا ان أعظم نجاح حققته « حرس الاستقلال » هو اقامة علاقات تنظيمية مع المؤسسات الدينية ورؤساء القبائل في الفرات الاوسط • وقد تكللت الجهود عام ١٩٢٠ بتأسيس هيئة تنسيق لنشاطات « حرس الاستقلال » والمنظمات الدينية ، وشيوخ القبائل ، دعيت بـ (مكتب الثورة) •

لقد حظيت جمعية (حرس الاستقلال) بمساندة وتأييد الفئات المتوسطة من السكان في بغداد وبعض المدن الاخرى في أواسط العراق[٢١]، خاصة التجار الصغار والحرفيين • ورفعت شعار الاستقلال التام للبلاد ، معلنة تصميمها على النضال الحازم من أجل تحقيقه • وبالرغم من رفض الجمعية تلقي أي « مساعدة من انكلترا ، الا انها لم تتورط في خصومات جانبية مع جمعية « العهد العراقي »[٢٢] •

عملت (حرس الاستقلال) و (مكتب الثورة) والفئات المنضمة تحت لوائهما ، بصورة مستقلة عن جمعية « العهد » لعدم الوصول الى

---

٢٠ ـ امين سعيد ـ الثورة العربية الكبرى ، جـ ١ ، القسم الثاني ص (٢٥) •

٢١ ـ محمد طاهر العمري الموصلي ـ جـ (٣) ، ص (٦٠) •

٢٢ ـ لقد حاول ممثلوا (العهد) و (حرس الاستقلال) توحيد منظماتهم في اواسط عام ١٩١٩ • ونتيجة للمفاوضات شكلت لجنة موحدة لهيئتي الجمعتين • وقد اختفت هاتان الجمعيتان باعتبارهما جمعيتين مستقلتين ، على انه نتيجة لرفض العهد (الخروج) على الفقرة الثانية من برنامجها في تشرين اول عام ١٩١٩ ، انحلت اللجنة المشتركة ، وعادت ، وعادت (حرس الاستقلال) الى العمل بصورة مستقلة •

عبدالرزاق الحسني ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ (١) ص (٨٠) •

امين سعيد ـ المصدر السابق ، جـ (٢) القسم الثاني ، ص (٢٤ـ٢٥)
محمد طاهر العمري الموصلي ـ جـ (٣) ، ص (٥٧ ـ ٥٩)

سياسة موحدة معها • بدأت « حرس الاستقلال » النضال الوطني التحرري عام ١٩٢٠ ، بتحشيد الجماهير الشعبية في العراق ضد الاستعمار البريطاني ، وعملت على توحيد الكتل المنضمة تحت لوائها • الا ان سيطرة العناصر الاقطاعية على مقدرات الجمعية ، كان قد اثّر تأثيرا كبيرا فيما يتعلق ببرنامجها بشأن نظام الحكم في الدولة المزمع اقامتها ، اذ انها لم تستطع الخروج عن المطالب التي تقدم بها العهديون ، حيث اقرت تأسيس حكومة ملكية دستورية في العراق ، يتولى العرش فيها أحد أبناء الشريف حسين الهاشمي[٢٣] •

وبالرغم من الخلافات المبدأية بين (العهد) و (حرس الاستقلال) ، فان العلاقات بينهما لم تتصدع مطلقا • وقد عرضت قيادة (حرس الاستقلال) مرات عديدة تنسيق نشاطات كلتا الجمعيتين ، واضطرت في بعض الاحيان الى الخروج عن برنامجها ، تحقيقا لهذا الهدف ، الا انها لم تحصل على نتائج ملموسة لمساعيها •

وجدير بالذكر ان الاتجاهات القوميـــة كانت تسيطر على سياســة الجمعية ، لذلك فانها لم تطرح مسألة الاتحاد مع الحركة الوطنية التحررية الكردية • ومع ان بعض المثقفين الاكراد قد اشتركوا بصورة مستقلة في الجمعية[٢٤] ، الا ان الحركة الوطنية الكردية ككلٍ لم تكن مرتبطـــة بهذه الجمعية ، بل تطورت بصورة مستقلة •

كانت جمعية (حرس الاستقلال) في تلك الفترة أكثر المنظمات السياسية يسارية واصرارا على مقـــارعة الاستعمار • ومع ان العناصـــر

---

٢٣ ـ أمين سعيد ـ المصدر السابق ، ص (٢٤) •

٢٤ ـ لقد التحق ب (حرس الاستقلال) ـ مثلا ـ الضابط الكردي جلال بابان وضباط آخرون •

البرجوازية لم تشكل أغلبية في الجمعية ، الا آنها كانت موضوعيا تعمل لمصلحة تطور البرجوازية في البلاد •

أما المنظمات الوطنية الكردية ، التي أعلنت برنامجا لتأسيس دولة قومية كردية ، فقد كانت أقل نشاطا بكثير من الجمعيات السياسية العربية• وكانت جمعية (الاستقلال الكردي) ، التي اتخذت القاهرة مقرا لها ، من أوسع تلك الجمعيات وأكثرها نفوذا • كما أسست جمعية قوية اخرى في اسطنبول دعيت بجمعية (بعث كردستان)[٢٥] • وكانت المنظمات التي تضم الكتل القومية الكردية من الاقطاعيين والمثقفين في تركيا والعراق ، قد تركز نشاطها على ابراز القضية الكردية ، الا ان تلك الكتل والمنظمات، خاصة منها المنظمات المعادية للاستعمار البريطاني ، عجزت عن الحصول على مساعدات هـــذه أو تلك من الدول الاجنبية ، في محاولاتها لتأسيس الدولة الكردية[٢٦] •

لم تكن المنظمات السياسية في كردستان العراق ، نشطة بالمستوى المطلوب ، وقد ذكر علي سيدو الكوراني ، الشخصية الاردنية المعروفة ، الذي زار كردستان العراق في أوائل الثلاثينات ، بأنه في صيف ١٩١٩ ، كانت قد أسست في السليمانية منظمة سياسية سرية ، تضم عددا من الضباط والوجهاء المحليين الذين طرحوا شعار النضال من أجل الاستقلال[٢٧] • على ان المنظمات السياسية في كردستان كانت قليلة جدا ، ولم يكن لهـــا نفوذ كبير في المنطقة ، حيث كانت الحركة الوطنية التحررية في تلك المنطقة

---

٢٥ ــ علي سيدو الكوراني ــ من عمان الى العمادية ،ص (٢٦٠ــ٢٧٠)
مجلة « نوفي فوستوك » العدد ٤ ، ص (٦٥) •
٢٦ ــ بريطانيا لعظمى ، ص ٥٩ ــ ٦٦
« نوفي فوستوك » العدد (٤) ص (٦٦) •
٢٧ ــ علي سيدو الكوراني ــ المصدر السابق ، ص (١٠٧) •

بزعامة اقطاعيين متباعدين ، خاصة منهم زعماء القبائل ورجال الدين الذين يحتلون مراكز دنيوية مهمة • ومع ارتباط هؤلاء ببعض المنظمات السياسية ، الا انهم كانوا خاضعين لزعماء القبائل الشيوخ الذين استخدموهم لتحقيق مصالحهم •

تطور النضال الوطني التحرري لشعب العراق في الفترة من ١٩١٨ حتى بداية ١٩٢٠ :

لقد قاومت الجماهير الشعبية في العراق السياسة الاستعمارية للمحتلين، منذ الايام الاولى للعدوان البريطاني على البلاد • فامتنعت عن دفع الضرائب، ورفضت ، باصرار القيام بأعمال السخرة المفروضة عليها ، ولم تعترف بسلطة المحتلين في البلاد • وهاجمت الفصائل الوطنية الصغيرة الوحدات العسكرية البريطانية التي ارسلت لجباية الضرائب ، والاستيلاء على المواد الغذائية والمواشي ووسائل النقل المختلفة • وكان سكان المدن المقدسة : النجف وكربلا والمناطق التي تساندها ، في طليعة من قاوموا بعنف المحتلين الاجانب • وقد حظيت المقاومة العفوية للجماهير الشعبية بتأييد ومساندة رؤساء القبائل ووجهاء المدن المقدسة ، الذين أحسوا ان سياسة المحتلين موجهة بالاساس للقضاء على نفوذهم •

ومن أهم ما حدث في هذا المجال ، الانتفاضة التي اشتعلت في النجف والكوفة وأبي صخير في تشرين الاول وتشرين الثاني عام **١٩١٧** ، وانتفاضة عام **١٩١٨** في النجف ، التي قاومت المدينة خلالها الحملات العسكرية التي جهزتها السلطات البريطانية طوال شهر كامل ، وكان على رأس الانتفاضة رجال الدين والتجار ، وتلامذة المدارس الدينية ، الذين ينتمون الى جمعية (النهضة الاسلامية)[٢٨] •

---

٢٨ ــ عبدالرزاق الحسني ــ العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، جـ ص • ٣٦ــ٣٧ •

اضطر المستعمرون الانكليز الى التخلي عن خططهم السابقة بالحاق العراق بالمستعمرات البريطانية نتيجة تصاعد الحركة المعادية للاستعمار في الدول المستعمرة • فقد كتب أحد كبار الموظفين الانكليز في الهند الى المندوب السامي البريطاني في آذار ١٩١٨ يقول « ان الوضع قد تغيّر كليا في الوقت الحاضر ، ولكي نحصل من العراق على ما نبغي اليه ، فان علينا أن نغير سياستنا في هذه البلاد • فلقد نهرأت الاساليب القديمة في حكم المستعمرات • والمسألة تتلخص على انه بالامكان الحصول على ما هو جوهري تحت شعارات جديدة • ان الهدف يجب أن يتحقق ، ولكن باجراء تغييرات معينة في التنظيم ، فقد تكون المواجهة العربية أكثر عنفا مما كنا نتوقعه »(٢٩) •

بعد انتهاء الاشتباكات المسلحة ، أعلن المحتلون في عدة بيانات ، بشكل مبهم ، عن رغبتهم في العمل لتحقيق آمال الشعب العراقي في الاستقلال(٣٠) • ويعتبر التصريح البريطاني ـ الفرنسي في السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٨ ، من أهم البيانات التي تطرقت الى هذا الموضوع، حيث أعلن في هذا التصريح عن النوايا الطيبة لحكومتي انكلترا وفرنسا في سياستهما في الشرق الادنى • وكذلك البيان الذي تضمن النقاط الأربع عشر للرئيس ويلسون ، والتي نوقشت وقتا طويلا من قبل المواطنين في العراق ، ونالت تأييدا واسعا(٣١) ، حيث وثق عدد كبير من قادة الحركة الوطنية بتلك الوعود في بادىء الأمر •

الا انه سرعان ما تكشف زيف الوعود التي قطعها المستعمرون على أنفسهم • ففي السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٨ أعلن في

---

٢٩ ـ ويلسون ، المصدر السابق ، ص (١٦٦) •
٣٠ ـ أمين سعيد ـ المصدر السابق ، ص • (١٣ـ١٥)
٣١ ـ فوستر ، ص ٦٧

الصحافة العراقية بيان حكومي ، حددت فيه الاجراءات التي تروم الادارة البريطانية في العراق اتخاذها • وتمهيدا لاتخاذ تلك الاجراءات ، بادر المحتلون الانكليز الى اصدار عدد من البيانات ، ظهروا فيها بمظهر (المربي) للشعب العراقي ، الذي يعتبر في نظرهم ، غير أهل لتحمل مسؤوليات الاستقلال الذاتي ، التي تضمنها البيان • وعلى ذلك فقد اقتصرت الاصلاحات المتخذة من قبل المستعمرين على تأسيس المجالس البلدية المحلية ، التي لم تكن تملك سوى دور استشاري[٣٢] •

والقرار الثاني الذي كشف عن النوايا الحقيقية للمحتلين ، هو اجراء الاستفتاء العام في الفترة بين نهاية عام **١٩١٨** وبداية عام **١٩١٩** ، بشأن نظام الحكم المرتقب • على ان السلطات البريطانية منعت الجماهير الشعبية عن أي مساهمة في هذا الاستفتاء ، ولم تدع اليه سوى ممثلي الاقطاعيين العراقيين ، ورؤساء القبائل والتجار • وكانت طريقة الاستفتاء هي التصديق على طلب في صيغة معينة ، يقدم الى السلطات البريطانية ، ويتضمن جميع الشروط التي وضعها المستعمرون بما في ذلك الابقاء على الحكم الدكتاتوري البريطاني المباشر • الا انه بالرغم من التهديد والتنكيل فان السلطات البريطانية لم تستطع احراز أي نتائج ايجابية في هذا الاستفتاء • ففي بغداد والكاظمية وغيرها من المدن منعت السلطات المحتلة عقد الاجتماعات العامة متذرعة باجراء « الاستفتاء » ، الا ان تلك السلطات لم تستلم الطلب الذي أجرى عليه الاستفتاء الا بعد أن أمرت الضباط الانكليز أنفسهم باجراء (استجواب) للمواطنين لانجاح حملة الاستفتاء • أما في الموصل فقد أحبط المحتلون محاولات عديدة لعقد اجتماعات عامة ضد

---

٣٢ ــ أمين سعيد ــ المصدر السابق ، ص (١٦ــ١٧)

٣٣ ــ ويلسون ، المصدر السابق ، ص (١٦ــ١٧) •

الاستفتاء ، ولم يتيسر التصديق على الطلب الذي تقدم به الضابط السياسي في المدينة الا في العاشر من كانون الثـــاني عام ١٩١٩ ، حيث صـــادق عليه (٢٣) وجيها فقط[٣٤] •

ويعتبر « الاستفتاء » أول حادث يظهر بصورة عملية ، موقف الفئات المختلفة من الطبقات الســـائدة ، حيث رفضت بحزم ، مساندة مؤيـدي الاستعمار البريطاني من زعماء الاقطاع والكومبرادور[٣٥] •

في هذا الوقت بالذات ظهر للمحتلين ان سياستهم التي تهـدف الى ضم العراق الى المستعمرات البريطانية ، تواجه مقـــاومة عنيفة من بعض الملاكين العراقيين والتجار • ففي النجف والمدن المحيطة بها فشل الضباط الانكليز في الزام المواطنين بالتوقيع على طلب الاستفتاء الموضوع من قبلهم • حيث رفض رجال الدين (المجتهدون) ووجهاء المدن في تلك المنطقة ، جميع الاجراءات الديماكوكية التي أعلنها المستعمرون[٣٦] • وقد جرت حالات مشابهة أثناء « الاستفتاء » من قبل شيوخ قبـــائل الشامية وكربلا والحلة ••• [٣٧] • وفي الاجتماعات التي عقدت في بغداد والكاظمية ، كان التجار ورجال الدين الشيعة والمثقفون ، من أنشط من أسهم في وضع

٣٤ ـ محمد طاهر العمري الموصلي ج (٣) ، ص (٩ـ١٠) •

٣٥ ـ كان عدد من افراد بعض العائلات المثرية في بغداد ، امثال عائلة الباجه‌جي والكيلاني وجميل زاده ، وغيرها من العائلات المثرية ، قد حضروا الاجتماع الذي عقد احتجـاجا على عملية الاســـتفتاء التي يجريها المستعمرون آنذاك ، الا انهم تركوا القاعة وتوجهوا الى سلطات الاحتـلال راجين اعتقال ونفي العناصر النشطة من القوميين التي اشتركت في الاجتماع المذكور •

ويلسون المصدر السابق ص ، ص ٣٣٤ـ٣٣٦ •

٣٦ ـ ويلسون ، ص ٣٣٢

٣٧ ـ أمين سعيد ـ المصدر السابق ، ص (١٨ـ٢٠)

محمد طاهر العمري الموصلي ، ج (٣) ، ص (٢٣) •

القرارات المعادية للانكليز • الا انه اتضح ، ان المقاومين لسيادة بريطانيا المباشرة على العراق ، لم يكونوا متحدين في موقفهم ، فقد اكتفى قسم كبير منهم بالتعبير عن سخطه للمقترحات البريطانية ، وقد مثل هؤلاء الجناح اليميني من القوميين الذين سيطروا على مواقف «العهد» بصورة كاملة[٣٨] •

أما المثقفون البرجوازيون في بغداد ورجال الدين الشيعة وشيوخ قبائل الفرات الاوسط ، منظمو عرائض الاحتجاج[٣٩] فقد انتقدوا السياسة البريطانية بحدة ، وبصورة مستمرة ، وأصبحوا يعتقدون انه لا مفر من النضال من أجل تحقيق مطاليبهم • وهذا ما يفسر سبب تأسيس جمعية « حرس الاستقلال » ، والشروع بتأسيس خلايا عديدة لها في بغداد • وبغية توسيع النشاط الدعائي ضد الاستعمار ، فقد قررت الكتل الوطنية في بغداد اصدار جريدة وتأسيس ناد سياسي[٤٠] • وجرت حوادث مشابهة في المدن الاخرى في العراق ، خاصة في مناطق الفرات الاوسط • وفي كربلا عقدت اجتماعات مفتوحة لرجال الدين وتلامذة المدارس الدينية ، لبحث القضايا السياسية في البلاد[٤١] •

في هذه الفترة بالذات ، بدأ التنسيق لنشاط الفئات الوطنية المؤيدة لجمعية « حرس الاستقلال » في بغداد مع المنظمات الدينية ، وشيوخ

---

٣٨ ـ بونك ، ص ٣٠٧ ج ٣ ، ص ٢٣ •
بعد اجراء الاسفتاء قامت جمعية الاعلام في الموصل بجمع التواقيع على عريضة احتجاج ضد نتيجة الاستفتاء ، وارسلت نسخا منها الى قيادة العهد ، والى فيصل ، والملك حسين ، وغيرهم •
محمد طاهر العمري الموصلي ـ ص • (٦٠)
٣٩ ـ محمد طاهر العمري الموصلي ، ج (٣) ، ص (٦٠)
٤٠ ـ بريطانيا العظمى ، ص ٤٠
٤١ ـ بريطانيا العظمى ، ص ٤٠

القبائل[٤٢] . ويبدو ذلك مما ذكره المندوب السامي البريطاني الذي عزا امتناع رجال الدين عن الاسهام في الاستفتاء ، الى ما قام بـه محمد باقر الشبيبي ، ممثل الكتل اليسارية في بغـداد ، من نشاط فعـال في هذا المجـال[٤٣] .

ومع وضـوح الاتجاهات اليسارية للمثقفين البرجوازيين ، الا ان نشاطهم لم يكن مرتبطا بعد بالجماهير الشعبية ، مما حدا بالسلطات البريطانية الى الاسراع في وضع حد للجماعات المحرضة ضد الاحتلال البريطاني ، وابعاد أكثر الوطنيين نشاطا[٤٤] .

ان ما يميز الحركة الوطنية في تلك الفترة ، انها كانت ذات طابع محلي ، حيث ان الانتفاضات التي حدثت عندئذ لم تتعد حدود المنـاطق التي نشبت فيها . فقـد انتفضت قبيلة كويان في أربيل ضـد السلطات البريطانية في آب ١٩١٩ ، وقامت قبائل بني مالك العربية في لواء المنتفك بعصيان مسلح ضـد الانكليز في نفس تلـك السنة . الا ان السلطات الاستعمارية أخمدت تلك الحركات الشعبية بعنف وشدة ، مستغلة انعزالها عن بعضها ، وخيانة بعض شيوخ القبائل في تلك المناطق[٤٥] .

---

٤٢ ــ ايرلاند ، ص ١٦٨

٤٣ ــ ويلسون المصدر السابق ، ص ٣٣٢

٤٤ ــ ايرلاند ، ص ١٧٢

العمري الموصلي ، ص . (١٠٣ ــ ١٠٥) .

٤٥ ــ فقد حافظ قسم من شيوخ القبائل على علاقاتهم مع الضباط السياسيين الانكليز اثناء الثورة ، واشترك افراد قبائل منطقة الشطرة في الحملات العسكرية التي قام بها المستعمرون ضد قبيلة بني مالك

عبدالرزاق الحسني ــ العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، جـ ١ ، ص (٤٢) .

توماس ، ص ٤٥ـ٥٠

أما الانتفاضة التي حدثت في السليمانية فانها تميزت بسعتها وأهميتها ، وكانت بزعامة الشيخ محمود البرزنجي ، الذي نصب حاكما (حكمدار) في السليمانية من قبل الانكليز عام ١٩١٨ • وكان هـــذا قد وافق على قبول ذلك المنصب من أجل توحيد قبائل جنوبي كردستان تحت سلطته ، الا انه سرعان ما اقتنع أن الضباط السياسيين الانكليز يحاولون ابعـــاده تدريجيا عن الادارة ، واستخدامه كدمية في أيديهـــم ، وعندئذ قرر أن يستفيد من الاستياء العام لجماهير الشعب الكردي من سياسة النهب التي يتبعها المحتلون ، وأعلن الانتفاضــــة على الانكليز في العشرين من أيار عام ١٩١٩ ، وسرعان ما شملت المنطقة الممتدة من السليمانية حتى ضواحي كركوك وحلبجة ورانية • وانضمت الى الانتفاضة بعد ذلك وحدات من شرطة السليمانية ، كما اشتركت فيها القبـــائل الكردية في ايران[٤٦] • وقد فشلت الحملة العسكرية التي جهزت لاخماد تلك الانتفاضة ، الا ان الانكليز دفعوا بعد ذلك بفرقتي مشاة وعدة كتائب خيالة ومدفعية وطائرات الى منطقة كركوك • كانت جبهات المعـــارك الدائرة بين الثوار والقوات المحتلة قد تجاوزت منطقة بازيان في الثلاثين من أيار ، واستمر القتـال بضراوة حتى النصف الاول من حزيران ، الا ان المخابرات البريطانية نظمت عندئذ حركة مضادة للانتفاضة من قبل بعض الاقطاعيين المتنفذين في تلك المناطق ، واستطاع الضابط السياسي في حلبجة (اي• م• ليس) بمعاونة (عادلة خانم) والدة زعيم قبـــائل جاف ، تمزيق الحصار الذي ضربه الثوارحول المنشآتالحكومية[٤٧]• ويلاحظ الانجليز ان زعماء قبيلتي

---

٤٦ ـ علي الـكوراني ، ص (١٠٠ ـ ١٠١)
"Journal of the Central Asian Society" London, 1928, vol. XV, pl. III, pp. 261-262.

استغلّوا الخصومات العشائرية والاحقاد الأسرية بين الاكراد من ناحية[٤٨]، كما ان زعماء الانتفاضة لم يكونوا في مستوى المعركة من ناحية أخرى خاصة وان الشيخ محمود حاول عقد اتفاقات سرية مع السلطات البريطانية[٤٩] .

في الثامن عشر من حزيران ، بدأ الانكليز ضربة ماحقة لضواحي بازيان ، تمهيدا للقضاء على الانتفاضة بالتعاون مع المتخاذلين من قادتها[٥٠]. واستطاعوا في نفس هذا اليوم احتلال السليمانية ، ثم تمكنوا بعد يومين من ذلك التاريخ من احتلال منطقة قبيلة الشيخ محمود .

وبالرغم من اخفاق هذه الانتفاضة الا انه لا يمكن التقليل من أهميتها ، ذلك لانه في مجرى الاشتباكات التي كانت دائرة بين الثوار والمستعمرين ، طرحت مسألة تأسيس دولة كردستان لأول مرة في تاريخ تلك المنطقة .

كانت كردستان مسرحا لانتفاضات عنيفة ومستمرة ، حتى منتصف عام ١٩١٩ ، بينما لم يبلغ النضال الشعبي في المناطق العربية في العراق عندئذ أبعادا واسعة ، مما جعل الانكليز يشعرون بقوة مركزهم فيها . فقد صرح ممثل الحكومة البريطانية في البرلمان ، في الثامن من تموز ١٩١٩ قائلا « ان الحكومة مرتاحة جدا للاجراءات التمهيدية التي اتخذتها الادارة المدنية في بلاد ما بين النهرين ، ولا ترى أي ضرورة لتغييرها »[٥١] .

بالرغم من ان السلطات البريطانية لم تبد أي تنازلات لتحسين الوضع ، الا ان العهديين شرعوا بالخطوة الاولى لعقد اتفاق مع المحتلين في

---

(٤٧) JCAS, 1928, Vol. XV, pt 111, pp. 261-262.

٤٨ ـ [تايمس] ١٩١٩/١١/١٧

٤٩ ـ علي سعيد والگوراني ، ص (١٠٣) .

٥٠ ـ المصدر السابق ، ص (١٠٥) .

٥١ ـ ويلسون ، ص ١٦٢

أواسط ١٩١٩ ، فقد حل في بغداد ناجي السويدي ، مبعوث « العهد » ، للعمل على تأسيس المجلس البلدي ، وبالرغم من فشل مهمته وعودته مسرعا الى دمشق[٥٢] ، الا ان « العهد » لم تغير من سياستها التصفوية ، ولم ينشط زعماؤها سوى في تنظيم الاحتجاجات وارسالها الى المنظمات الدولية المختلفة • ويلاحظ ان فروع العهد في العراق كانت قد تسلمت تعليمات من قيادتها ، لتهيئة الرأي العام للزيارة المنتظرة التي تقوم بها لجنة (كينكا ــ كرينا) الامريكية[٥٣] ، تمهيدا للوصول الى تسوية سلمية مع المستعمرين •

ومن جهة أخرى كان القوميون من الجناح اليساري ، خاصة منهم الشخصيات المؤيدة ل (حرس الاستقلال) ، قد ضاعفوا نشاطهم الى حد كبير ، مماساعد على حدوث تطور ملموس الى جانب الحركة الوطنية • فقد تبنت أوساط واسعة من الشعب شعار « الحرية لا تمنح وانما تؤخذ بالقوة »[٥٤] • وعادت جمعية (حرس الاستقلال) الى تشكيل الجماعات التحريكية لتحشيد الجمهور ضد المستعمرين • كما قدمت مدرسة التربية الاهلية ، التي أسست في ايلول عام ١٩١٩ ، خدمات كبيرة للقضية الوطنية، حيث عملت كمركز علني للدعاية لافكار الجمعية • وكان يدير هذه المدرسة علي البزركان ، العضو النشيط في الجمعية • لقد امتد النشاط

---

٥٢ ــ بريطانيا العظمى ، ص ٣

٥٣ ــ محمد طاهر العمري الموصلي ، ج ٣ ، ص (١٤٥) •

٥٤ ــ ايرلاند ، ص ١٤٩

لقد طلبت جمعية (حرس الاستقلال) ، في هذا الوقت بالذات ، من جمعية (العهد) حذف الفقرة المتعلقة بالحصول على المعونة البريطانية من نظامها • وعندما رفضت العهد الموافقة على هذا ال طلب ، قطعت حرس الاستقلال علاقاتها بها •

التنظيمي للجمعية الى خارج مدينة بغداد[٥٥] منذ خريف ١٩١٩ ، حيث أسست فروع عديدة لها في جميع مدن العراق الاوسط ، كما انها نشطت لجمع شمل الوطنيين من أصحاب مذاهب السنة والشيعة ، والعمل على التقارب بينهم •

لقد اتسعت الحركة الوطنية في تلك الفترة الى أبعاد جديدة ، ففي حزيران ١٩١٩ ، نشبت انتفاضة القبائل الكردية ، حول العمادية ، حيث استطاع الثوار الصمود في وجه الحملات العسكرية التي نظمتها السلطات المحتلة ضدهم • كما حدثت أعمال ثورية في مناطق رانيـــة وراوندوز (في كردستان) ، وفي سامراء والحلة والديوانية والشامية (في العراق العربي) • وفي تشرين الثاني انتفضت القبائل الكردية تحت قيادة أحمد بارزاني الشيخ الديني المتنفذ لقبائل زيبار وبارزان وسورجي ، وقد لعبت هذه الانتفاضة دورا كبيرا في تعبئـــة جماهير الشغيلة في البـــلاد (عربا وأكرادا) ، للمعارك المقبلة ضد المحتلين •

وكان للحوادث التي جرت في سنجق (دير الزور) أهمية بالغـــة الخطورة في تطور النضـــال الوطني التحرري في العراق[٥٦] • ففي آب ١٩١٩ أعلنت القبائل البدوية في تلك المنطقة عصيانها على السلطات المحتلة ، واستطاعت بمعاونة أهالي المدينة تحرير دير الزور ، واعتقال أفراد الحامية البريطانية فيها • وقد تقدمت القبائل لثائرة بعد ذلك بسرعة الى ميادين وأبو كمال بعد أن انضم اليهـــا بعض الوطنيين من بغـــداد

٥٥ ــ عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ص (٨٠) •

٥٦ ــ كان سنجق دير الزور في تلك الفترة خاضعا لادارة السلطات العسكرية البريطانية ، وهو في الوقت الحاضر جزء من الدولة السورية •

والموصل[٥٧] ، وقبائل شمر في الجزيرة ، كما انضم اليها قسم من الوطنيين في قبيلة امارة عنزة[٥٨] . وانتشرت الانتفاضات المحلية بعد ذلك في جميع أنحاء البلاد ، وأصبحت تتحول بسرعة الى انتفاضة شاملة ضد المحتلين الاجانب[٥٩] .

على ان النضال المعادي للاستعمار قد تأخر بعض الوقت ، نتيجة لمواقف الفئات اليمينية من القوميين ، وفي مقدمتهم جمعية « العهد » . فقد أدان جعفر العسكري ، محافظ حلب حينذاك ، وعضو هـــذه الجمعية ، أدان بصراحة نشاطات الثوار في العراق ، بينما أصـــدر الامير فيصل ، أمرا الى الثوار بالجلاء عن سنجق دير الزور[٦٠] .

كما ان الشيخ البدوي رمضان الشلاش الذي التحق بالانتفاضـــة بعد الجلاء عن دير الزور ، وتزعم القوى الثائرة ، اضطر في الثالث عشر من كانون الاول الى البدء بمفاوضات مع ممثلي الادارة البريطانية ، وتقدم اليهم بالتماس للحصول على المعونة المالية . وهكذا فقـــد أصبح بامكان المستعمرين ارسال الحامية الموجودة في دير الزور الى أبو كمال[٦١] . وكانت وحدات الثوار في ميادين وأبو كمال قد تركت بدون تموين ولا

---

٥٧ ـ عبدالرحمن البزاز ـ محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص (٣١) .

٥٨ ـ ويلسون ، المصدر السابق ، ص (٢٣٢)

٥٩ ـ كوك ، قلب الشرق الاوسط ، ص ١٨٠

٦٠ ـ أمين سعيد ـ المصدر السابق ، جـ (٢) القسم الاول ، ص (١١٤)

« تايمس » في ٢/١/١٩٢٠

٦١ ـ جريدة (البرافدا) في ٤/٣/١٩٢٠ ،
ويلسون ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣
أمين سعيد ، المصدر السابق ، جـ (٢) القسم الاول ص (١٥٠) .

قيادة فعلية[٦٢]. كما ان قسما من زعماء القبائل ووجهاء المدن، الذين انضموا الى الانتفاضة عند بدايتها ، كانوا قد بدأوا يتبرأون منها[٦٣] .

وفي أثناء المفاوضات بين مبعوث « العهد » رمضان الشلاش ، وحكومة فيصل السورية من جهة ، وبين القيادة البريطانية من جهة أخرى ، شوهت الانتفاضة ، وكأنها حادث اعتيـــادي من حوادث الحدود بـــين العراق وسوريا . ونتيجـــة لتلك المساومات نقل سنجق دير الزور الى ســــلطة الحكومة السورية في أيار ١٩٢٠[٦٤] . ويلاحظ ان سبب تنازل المحتلين الانكليز عن دير الزور ، هو رغبتهم في التخلص من المنطقة المضطربة ، التي أدت العمليات العسكرية فيها الى تعقيد الوضع الى حد بعيد في جميع أنحاء العراق .

على ان المحتلين الانكليز باتخاذهم تلك الاجراءات ، لم يستطيعوا سوى تأخير تطور الحوادث وتحويلها الى انتفاضة شاملة في جميع أنحاء البلاد . فقد اتسعت نشاطات الانصار ، وشملت مناطق الجزيرة والحلة والشامية والديوانية وعفرة وغيرها ، كما اتسع نشاط مختلف الفئات القومية بصورة ملحوظة ، ورفض الجناح اليساري من القوميين بحزم ، الاشتراك في المجالس البلدية التي اسست من قبل المحتلين . وفي شباط عام ١٩٢٠ ، عقد اجتماع لشيوخ القبائل ورجال الدين وغيرهم من الفئات الوطنية في الفرات الاوسط ، واتخذ في هذا الاجتماع قرار بتوسيع الحملة الدعائية ضد المحتلين . وتنفيذا لهذا القرار بعث الرسل الى جميع أنحاء البلاد من أجل العمل على توحيد المواطنين وجمعهم حول فكرة التحرر الوطني[٦٥] .

---

٦٢ ـ « ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/١/١

٦٣ ـ ويلسون ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ـ٢٣١ .

٦٤ ـ المصدر السابق ، ص (٢٣٣ـ٢٣٧) .

٦٥ ـ عبدالرزاق الحسني ـ المصدر السابق ، ج (١) ص٩٦ .

اما العهديون الذين يئسوا من التوصل الى اتفاق مع المحتلين ، فقد اعلنوا في الثامن من آذار ١٩٢٠ ، في المؤتمر العراقي العام الذي دعوا اليه في دمشق ، اعلنوا عن سعيهم لتحقيق استقلال البلاد ، وتنصيب عبدالله ملكا على العرش[٦٦] • وكان هذا أحد أفراد العائلة الهاشمية التي تحكم كلا من الحجاز وسوريا • الا ان العهديين أكدوا بانهم يسعون الى توطيد الصداقة مع الحلفاء الكرام ــ كذا ــ وسيحترمون مصالحهم ومصالح جميع الدول الاجنبية[٦٧] • ومن ذلك فان المؤتمر العراقي لم يكن سوى مظهر لخضوع جمعية « العهد » لضغط المستعمرين الانكليز ، في محاولة للوصول الى عقد اتفاق معهم • وعلى كل حال فأن قيادة « العهد » لم تتخذ الاجراءات الكفيلة بتنفيذ قرارات المؤتمر[٦٨] • كما ان ما قرره المؤتمر ، يؤكد اخفاق سياسة المحتلين باصرارهم على عدم اعطاء أي تنازلات ، وتعزيز الاتجاهات المعادية لهم حتى في اوساط الفئات الاقطاعية نتيجة لتلك السياسة •

كانت الحكومة البريطانية عازمة على ضم العراق الى مستعمراتها ، ولذلك لم يكن بوسعها تغيير سياستها السابقة في البلاد • الا انها أصبحت

---

٦٦ ــ كان الامير زيد ينوب عن عبدالله ويمثله في المؤتمر ، قبل قدوم الاخير الى العراق • انظر امين سعيد ــ المصدر السابق ، جـ (٢) القسم الثاني ص (٣) •

٦٧ ــ أمين سعيد ــ المصدر السابق ، ص (٣٧) •

٦٨ ــ لقد توجه عبدالله ، حال اختياره لعرش العراق ، الى القاهرة للالتقاء بالمارشال (اللنبي) ، القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الادنى ، للتباحث معه حول هذا الموضوع • وبعد مباحثات منقطعة طلب من عبدالله التوجه الى الحجاز ، فاستجاب لهذا الطلب • وقد وقف الامير عبدالله بحزم ضد الاجراءات التي اتخذها والده ، الملك حسين ، والتي كانت تتعارض ومصالح المستعمرين الانكليز • انظر امين سعيد المصدر السابق ، جـ (٣) ص (٣ــ٤) •

مضطرة الى اتخاذ بعض الاجراءات لتهدئة الموقف ، فقد الغت اللجنة الخاصة التي يرأسها (بونكهام كارتر) مدير دائرة العدلية في العراق ، ووضعت مشروعا لنظام الحكم في العراق • ومع اعتراف المشروع باستقلال البلاد ، الا انه أكد على الابقاء على السياسة الاستعمارية فيها ، حيث قرر احتفاظ الموظفين الانكليز بصورة فعلية ورسمية بجميع السلطات التي كانوا يتمتعون بها سابقا • وأصبحت السلطة التنفيذية في البلاد ، بموجب هذا المشروع في أيدي « مجلس الدولة » الذي يتكون من عدد متساو من الانكليز والعرب تحت اشراف المندوب السامي البريطاني في العراق • وقد منحت أهم المناصب للموظفين الانكليز الاعضاء في المجلس • كما ضمن نظام الانتخاب في المجلس التأسيسي الفوز للانكليز الذين يكونون أكثرية أعضائه ، حيث لم يعط رئيس المجلس العربي حق التصويت الا بعد تعادل الاصوات بين أعضاء المجلس[٦٩] • على انه حتى القرارات التي يتخذها المجلس بتلك الكيفية ، يمكن الغاؤها من قبل المندوب السامي ، الذي يتمتع بحق الرفض المطلق (الفيتو) •

كان على البرلمان بموجب النظام ان يبعث بقراراته للمصادقة عليها من قبل مجلس الدولة ، مما جعله من الناحية العملية لا يملك سوى صلاحية استشارية[٧٠] • وقد ثبتت طريقة الحكم هذه بمشروع الدستور المزمع اصداره من قبل الانكليز في العراق • وكان هذا النظام أساسا للمفاوضات التي عقدها المستعمرون مع زعماء العهد وقاعدتهم الاجتماعية في البلاد •

في الخامس والعشرين من نيسان عام ١٩٢٠ ، عقد اجتماع للمجلس

---

٦٩ ـ ايرلاند ، ص ٣٠٥

٧٠ ـ ويلسون المصدرالسابق ص ٢٤٤ـ٢٤٦

الاعلى لدول الحلفاء في سان ريمو ، ابرمت فيه كل من انكلترا وفرنسا اتفاقية لتقسيم الشرق الادنى ، تقرر بموجبها منح انكلترا الوصاية على العراق وفلسطين وجعلها تحت انتدابها[٧١] • وقد أصبح هـذا القرار ، بالاضافة الى توصيات لجنة بنكهام كارتر ، أصبحت موضع اهتمام أوساط المجتمع العراقي[٧٢] • حيث حظيت باستحسان وتأييد الفئات المغرقة في الرجعية من الاقطاعيين والكومبرادور ، خاصة منهم زعماء « العهد » • وبعد اعلان هذه المشروعات كتب نوري السعيد الى مراسله الخاص يخبره ان انكلترا قررت منح العراق الاستقلال[٧٣] • وقد تبنت بعض العناصر من العهديين تلك الوعود مبدأياً ، آملة في الحصول على تنازلات جديدة •

على ان الجماهير الشعبية في البلاد ، وجميع القوى الوطنية ، واجهت تلك القرارات بتصعيد جديد للنضال ضد الاستعمار • وقرر الجناح اليساري من القوميين ، الاعتماد على الحركة الشعبية النامية • كما ان المفاوضات التي عقدت في الفترة من نهاية شباط حتى بداية أيار ١٩٢٠ ، بين حرس الاستقلال وشيوخ القبائل ، والمنظمات الدينية ، قد انتهت باتخاذ قرارات للاستعداد للثورة • وحظيت هذه القرارات بتأييد محمد تقي الشيرازي ، اكبر رجال الدين (المجتهدين) المتنفذين في البلاد[٧٤] •

قامت جمعية « حرس الاستقلال » بتنظيم وتوجيه الاجتماعات الشعبية

---

٧١ ــ لقد انهت اتفاقية سان ريمو ، النزاعات الطويلة بين انكلترا وفرنسا بشأن تقسيم الدول العربية ، وتوزيع الانتداب في الشرق الادنى •

٧٢ ــ عبدالرحمن البزاز ــ المصدر السابق ، ص (١٦) •
حسين فوزي النجار ــ السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج(١) ، ص (٤١٩) •

٧٣ ــ يونك ، ص ٣١١

٧٤ ــ عبدالرزاق الحسني ــ المصدر السابق ، ج (١) ، ص (٩٧)•
أمين سعيد • المصدر السابق ، ج (٢) القسم الثاني ، ص (٤٠) •

والمظاهرات في بغداد ، ودعت زعماء العهد من جديد للعمل المشترك ، الا ان هؤلاء رفضوا رفضا قاطعا الاشتراك في الانتفاضات الجماهيرية[٧٥] ، وخرجوا بذلك عن أهداف الحركة الوطنية • وقد عقد أول اجتماع وطني كبير في بغداد مساء الرابع والعشرين من أيار ١٩٢٠ ، في منطقة الميدان • وشارك في هذا الاجتماع الحرفيون والتجار والمثقفون ورجال الدين من ذوي الاتجاهات التقدمية ، وقوبل الخطباء بالتأييد من قبل الجماهير المحتشدة • وقرر الاجتماع الاستمرار في النضال من أجل تحرير البلاد[٧٦] • وقد أدى اعتقال عيسى أفندي ، أحد الخطباء الذين اشتركوا في الاجتماع ، الى تنظيم مظاهرات احتجاج صاخبة من قبل « حرس الاستقلال » في اليوم التالي لاعتقاله مباشرة ، كما اعلن الاضراب عن العمل واغلقت الحوانيت والمخازن •

وقد لبّى المتظاهرون ، النداء الذي تقدم به علي البزركان أحد زعماء « حرس الاستقلال » ، حيث بادروا الى انتخاب وفد من خمسة عشر مندوبا[٧٧] ، لتقديم مطاليب القوى الوطنية الى المندوب السامي البريطاني (أ• ويلسون) • وساهم أعضاء « حرس الاستقلال » بنشاط في ذلك الوفد ، خاصة منهم جعفر أبو التمن ومحمد الصدر ويوسف السويدي وعلي البزركان[٧٨] • الا انه بالاضافة الى تلك الشخصيات ، اختير في عضوية الوفد بعض زعماء الجناح التحرري ، الذين كانوا يرتبطون جزئيا

٧٥ ـ عبدالرزاق الحسني ، ص (٨٢) ، في الحقيقة ، ان عددا من اعضاء جمعية العهد غير القياديين قد اشتركوا في المظاهرات ، ولعبوا في بعض الاحيان ، دورا مهما في قيادتها •

٧٦ ـ ويلسون ، المصدر السابق ص ٢٥٤ •

٧٧ ـ تعرف لجنة ممثلي بغداد في الادبيات الانكليزية بلجنة المندوبين •

٧٨ ـ أمين سعيد ـ المصدر السابق ، ج (٢) القسم الثاني (٤١) •

ب « العهد » ، حيث اشترك في الوفد ـ مثلا ـ الشيخ سعيد النقشبندي ، رئيس فرع « العهد » في بغداد ، وعبدالرحمن باشا الحيدري ، الشخصية السياسية اليمينية[79] • وقد استغلت معظم هذه العناصر ـ التي لم تشترك اشتراكا فعالا في المظاهرات ـ ، استغلت الحركة الشعبية كورقة رابحة جديدة في مفاوضاتها مع السلطات البريطانية ، وحالت دون تزعم الوفد للحركة الوطنية ، مع ان الكثيرين من أعضائه اشتركوا بنشاط في دعوة وتنظيم المظاهرات بين سكان بغداد ، ومن ثم الى الثورة الشعبية الشاملة •

واقتصر نشاط لجنة الوفد على فترة السلم ، وسرعان ما انحلت هذه اللجنة بانتهاء تلك الفترة • وبذلك تهدم كل ما بنته الحركة الثورية الجماهيرية من آمال في اتون المفاوضات مع السلطات المحتلة •

لقد اتصفت مظاهرة الخامس والعشرين من أيار بسعتها وعنفها ، ورفعت فيها شعارات تدعو الى اطلاق سراح المعتقلين السياسيين[80] ، مما اضطر ويلسون الى استدعاء القوات المسلحة لتفريق المظاهرة • على ان الجماهير المتظاهرة لم تتفرق الا بعد ان اطلقت السيارات المصفحة نيرانها على المتظاهرين ، واستشهد عدد منهم • وقد شيعت الجماهير ضحاياها في اليوم التالي في مظاهرة جديدة كبرى[81] •

في اليوم السابع والعشرين من أيار عام ١٩٢٠ ، استدعى ويلسون

---

٧٩ ـ ايضا •

٨٠ ـ فوستر ص ٧٩

٨١ ـ امين سعيد ـ المصدر السابق ، ج (٢) القسم ص (٤١) • عبدالرزاق الحسني ـ ج (١) (٨٣) •

صاخبة ، وتعاظمت حدة تلك المظاهرات والاجتماعات على اثر اعلان الفتوى التي أفضى بها الشيخ الشيرازي في السابع والعشرين من أيار ، والتي دعا فيها جميع المواطنين في العراق الى الانضمام للحركة في بغداد[٩١] • واتخذت فتاوى وقرارات مماثلة في كربلا والنجف والشامية وغيرها من مدن العراق الاوسط وكذلك في الموصل • وعقدت اجتماعات واسعة في أربيل لهذا الغرض • وقامت فرق البدو التي تلقى مساندة من الفلاحين اليزيديين في جبل سنجار ، بالتحرك الى مدينة تلعفر ، واحتلت المدينة في الثالث من حزيران ، ثم واصلت تحركها متوجهة الى الموصل • وقد شارك في الانتفاضة عدد من الضباط الوطنيين الذين قدموا من الموصل الى تلعفر[٩٢] • وفي أثناء القتال استطاعت فرق الثوار ، بمساعدة أهالي المدينة ، احتلال الحامية البريطانية هناك ، والقضاء على القوات المرابطة فيها ، كما سحقت الحامية العسكرية التي أرسلت لتعزيز الدفاع عن المدينة ، واستحوذت على معداتها الحربية ، بما في ذلك عدد من السيارات المصفحة[٩٣] • الا ان قادة العهد ، خاصة منهم جميل المدفعي ، قائد القبائل المستقرة ، حاولوا منذ البداية الحيلولة دون تحقيق مهام الحركة الوطنية ، وهرب جميل المدفعي ، فور انتشار الانباء الاولى عن تقدم قوات الاعداء الى الموصل • وبذلك فقد أصبحت الفرق المتقدمة الى الموصل بدون قيادة ، وسرعان ما سحقت من قبل القوات البريطانية • وبفشل حوادث تلعفر ، ختمت قيادة « العهد » مساهمتها في النضال من أجل الاستقلال

---

٩١ ــ عبدالرزاق الحسني ــ المصدر السابق ، ج (١) ، ص (٩٧ ــ ٩٨) •

٩٢ ــ محمد طاهر العمري الموصلي ، ج (٣) ص(٤٨) •

٩٣ ــ أمين سعيد ــ المصدر السابق ، ج (٢) ، القسم الثاني ، ص ٣٣ •

« ديلي هيرالد » في ١٢ــ٦ــ١٩٢٠ •

الوطني • اما الفئات الاقطاعية الرجعية في مختلف أنحاء العراق ، التي افزعها تصاعد النضال الشعبي ، فقد طالبت المستعمرين باستعمال أشد أساليب العنف مع الثوار ، وتقدمت وفود الاقطاعيين والمرابين برجاء صريح الى الادارة البريطانية لفرض عقوبات قاسية بالمساهمين النشطين في الاجتماعات العامة والمظاهرات(٩٤) •

الا انه لم يكن باستطاعة « العهد » ولا الفئات المؤيدة له ، تقرير مصير الحركة الوطنية في العراق • حيث استمرت الحركة بالنمو والاتساع، بدونهم وعلى الرغم منهم • ففي أواسط حزيران ظهرت فرق الانصار في ضواحي بغداد نفسها(٩٥) ، وانتقل مناضلو الجزيرة بنشاطهم الى الضفة اليسرى من دجلة(٩٦) • بينما وزعت في أسواق الشامية ومدن أخرى مناشير تدعو الى الثورة الشاملة ضد الانكليز(٩٧) • لقد أصبح الوضع في غاية التوتر ، حتى ان ويلسون الذي يعتبر من مؤيدي السياسة الاستعمارية السافرة ، التي أكل عليها الدهر وشرب ، اعرب عن تخوفه ، بانه في حالة عدم تقديم تنازلات سيكون مضطرا الى اعـلان استقلال البلاد ، مع ما سينتج عن ذلك من مشاكل جديدة(٩٨) • وقد ألح على الحكومة الموافقة على دعوة الهيئة الدستورية •

لم تكن الحكومة البريطانية راغبـة في تغيير سياستها في العراق ، بل كانت عازمـة على الحـاقه بمستعمراتها ، على انه كان واضحا ، بأن نجاح هذه السياسة ، يتطلب القيام بمناورة أخرى • وقد تسلم ويلسون

٩٤ ــ ويلسون ، ص ٢٥٨
٩٥ ــ بريطانيا العظمى ، ص (١٤٤)
٩٦ ــ هاي ، ص ٢٦٧ ــ ٢٦٨
٩٧ ــ بريطانيا العظمى ، ص ١٤٤ •
٩٨ ــ ويلسون ص ٢٥٧

في التاسع من حزيران ١٩٢٠ ، برقية تضمنت تعليمات جديدة ، قررت الحكومة البريطانية بموجبها اقالته من منصب المندوب السامي ، وتعيين برسي كوكس ثانية • وقد خول ويلسون بأن يعلن ، أن توصيات لجنة السلام (بنكهام ـ كارتر) تعتبر أساسا لاعداد الميثاق الوطني للعراق[٩٩] • وفي العشرين من حزيران ١٩٢٠ ، أصدر ويلسون بيانا ، اعلن فيه عن عزم بريطانيا على تأسيس دولة عراقية مستقلة ، لا ان البيان ، أكد من جهة أخرى على حـــق بريطانيا الثابت في العراق ، باعتبارهـــا دولـة منتدبة[١٠٠] • وفي الحادي والعشرين من حزيران اعلن ويلسون مرة أخرى ، عدم رغبة بريطانيا بجلاء قواتها عن البلاد[١٠١] •

ومن ذلك يلاحظ ان السياسة البريطانية الجديدة لم تتضمن أي شيء جديد • فقد كانت مناورات السلطات المحتلة موجهة لخداع الشعب العراقي ، وتطمين قسم من الجناح اليميني للقوميين باجراء بعض التنازلات والعمل على شق الفئات الوطنية على بعضها ، ومن ثم كسب الوقت لصالح المحتلين ، وتجميع القوى للتنكيل الدموي بالحركة الشعبية • وقد اوصى (برسي كوكس) المرشح الجديد لمنصب المندوب السامي ، انه من أجل تهدئة فئات القوميين الذين لم ينضمّوا الى الجماعات المعادية للاستعمار ، فلابد من الدخول في مباحثات مستمرة معهـم ، ومناقشة مشروع قانون

---

٩٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦٠
ايرلاند ، ص ٢١٨
١٠٠ـ امين سعيد ـ المصدر السابق ، ج (٢) القسم الثاني ، ص (٥٠ـ ٥١) •
١٠١ ـ ويلسون ، ص ٢٦٥
سعيد أمين ـ المصدر السابق ، ص (٥١) •
الحسني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٩١ •

انتخاب (المجلس التأسيسي)[١٠٢] • وبغية ابعاد القـــادة المتنفذين في الحركة الوطنية ، اقترح ويلسون جعل مدينة لندن مكانا للمفاوضات • وقد كتب برسي كوكس ، بصدد الحركة الوطنية التحررية في العراق قائلا انه لا يرى حلا آخر ، سوى القضاء على الجنين باجراءات العنف والتنكيل[١٠٣] •

لقد صاحبت البيانات الديماكوكية للمستعمرين ، اعمال ابادة جماعية ضد السكان الآمنين ، حيث احرق المحتلون القرى المتمردة ، وامطروا المدن الآمنة بوابل من قنابلهم • وبعد أن سحقت القوات البريطانية فرق الثوار المتقدمة الى الموصل ، واحتلت تلعفر ، بدأت بعملية قتل بالجملة للوطنيين الذين اشتركوا في الانتفاضة • ونهب الجنود الانكليز أموال السكان المسالمين ، واحرقوا مساكن الذين نشطوا في الانتفاضة والزحف على الموصل[١٠٤] • وسادت البلاد موجة من الملاحقات والاعتقالات ، كما ابعد العشرات من الوطنيين (بمن فيهم محمد رضا ابن الشيرازي) الى جزيرة هندجام القفراء في الخليج الفارسي[١٠٥] •

لقد اتسعت الحركة الشعبية بين أوساط القوميين في العراق ، الا ان قسما من هؤلاء ، ممن انهارت عزائمهم ، وسيطر اليأس على نفوسهم ، بدأوا يستجيبون عن طيب خاطـــر لمقترحات السلطات البريطانية ، ولم

١٠٢ ــ ويلسون المصدر السابق ، ص٢٦٧ •

١٠٣ ــ ايضا •

١٠٤ ــ ايضا ، ص ٢٧٦
« ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/٧/٣ •
بريطانيا العظمى ، ص ١٤٥ــ١٤٦ •

١٠٥ ــ « ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/٨/٣
امين سعيد ــ المصدر السابق ، ص (٤٨ ، ٥٦)
بريطانيا العظمى ، ص ١٤٤ ــ ١٤٦

يستثن من ذلك حتى وفد بغداد • على ان الجناح الثوري في الوفد ، قرر الاستمرار في المظاهرات ، بعد ان لمس تصلب السلطات البريطانية في موقفها ، وعدم تلبيتها مطالب الثوار ، بينما دفع الفزع من الحركة الجماهيرية بعض الاعضاء الى التقرب من المحتلين ، حيث لبى اثنان منهم طلب السلطات البريطانية بالاشتراك في أعمال اللجنة الخاصة بمناقشة مشروع قانون الانتخابات[١٠٦] • وقد كتب ويلسون عن لجنة وفد بغداد قائلا : (ان الخلافات بينهم أصبحت تتكرر بشكل متزايد ، كما ان الاضطرابات التي انتشرت بسرعة بين القبائل المختلفة ، قد عزلتهم عن الفئات المعتدلة التي ارعبتها نتائج الحملة الدعائية التي بدأوها هم انفسهم[١٠٧] •

وفي الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ ، اجتمع وفد بغداد للمرة الاخيرة ، في محاولة للتقدم بمطالبيه مرة أخرى[١٠٨] ، الا انه لم يتوصل الى نتيجة عملية ، وانحل بعد الاجتماع مباشرة •

ومن جهة أخرى فقد تبلور بشكل واضح تكتيك « حرس الاستقلال » ، حيث حاول ثلاثة من قادة الجمعية في نهاية حزيران ، الوصول الى اتفاق مع ويلسون[١٠٩] ، واتضح لهم ان السلطات البريطانية لم تكن راغبة في تحقيق مطاليبهم بأي حال من الاحوال ، وعلى هذا فقد اخبروا ويلسون ، بانهم سيعملون على تحقيق مطاليبهم باللجوء الى قوة

---

١٠٦ ـ ويلسون ، المصدر السابق ص ٢٦٥

١٠٧ ـ ايضا

١٠٨ ـ بريطانيا العظمى ، ص ١٤٢ •

١٠٩ ـ يقول ويلسون : « ان اي من تلك المفاوضات كانت تجري بصورة سرية ، ذلك لان ثقة الجمهور بزعمائهم اصبحت قليلة جدا • ويعلم هؤلاء الزعماء ، ان اي شك في ارتباطهم بي سيجعلهم عرضة للاتهام بالخيانة » •

ويلسون المصدر السابق ، ص ٢٦٧ •

السلاح[110] • وبذلك فقد أصبحت جمعية « حرس الاستقلال » وجها لوجه أمام العدو والى جانب الحركة الشعبية ، مصممة على النضال حتى اذا اقتضى الامر اللجوء الى الثورة المسلحة • كما ضاعفت الكتل اليسارية الاخرى للقوميين ، نشاطها في هذا المجال •

وقد اعد رجال الدين (المجتهدون) ، وشيوخ قبـائل الفرات الاوسط ، وممثلو « حرس الاستقلال » ، خلال العيد الديني في النصف الثاني من حزيران ، خطة ثابتة للاعداد للثورة • وفي نهاية حزيران ، قرر شيوخ القبائل التي تقطن المنطقة الممتدة بين الحلة والشنافية تنفيـذ توصية يوسف السويدي ومحمد الصدر ، مندوبي « حرس الاستقلال »[111] بتشكيل « مكتب الثورة » من ممثلي مختلف الكتل الوطنية ، وقد وضع على عاتقه مسؤولية الاعداد للثورة المسلحة ضد المحتلين[112] • ومع ان نشاط المكتب لم يأت بنتائج ملموسة ، الا انه نجح في رص صفـوف القوى الوطنية وتعبئتها للثورة • كما كان لموقف المنظمات الدينية أهمية كبيرة في حشد الجماهير للثورة • فقـد أصدر محمد تقي الشيرازي ، المجتهد الاكبر في كربلا فتوى دينية[113] ، اعلن فيها ان جميع المواطنين

١١٠ ــ لقد ذكر هؤلاء لويلسون « ان شعوب اوربا ، لا تعترف الا بالقوة (فقط) • لقد انسحبت انكلترا من افغانستان ، ومركزهـا يضعف في اوربا ، وتتقهقر في الهند وتتقهقر في ايرلندا ــ • (وصدقت نبوءة هؤلاء ، فقد بدأت انكلترا تتقهقر الآن في ايرلندا ايضا – المترجم) •
المصدر السابق ، ص (٢٦٨)

١١١ ــ بريطانيا العظمى – ص ١٤٦ •

١١٢ ــ أمين سعيد المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٤ •
(٥٥) •
الحسني ــ المصدر السابق ، ج (١) ص (١٠٤) •

١١٣ ــ الفتوى : هي أمر او حكم يصدره رئيس احـدى الطوائف الدينية في القضايا المختلفة ، يعتبر تنفيذه الزاما على جميع افراد تلك الطائفـة •

في البلاد يملكون الحق في الدفاع عن مصالحهم ضد المحتلين الاجانب • وعلى ذلك اعلنت المنظمات الدينية في البلاد ان اللجوء الى القوة المسلحة ضد العدو الغاصب ، عمل مشروع بموجب الشريعة الاسلامية(١١٤) •

وقد قام رجال الدين ، باستخدام هذه الفتوى للتأثير في أوساط السكان في جنوبي العراق وبذلك فقد أصبحت الجماهير الشعبية مستعدة لخوض غمار حرب ضارية ضد الغزاة المستعمرين •

ان أهمية هذه الفترة في تاريخ العراق ، تتجلى في ان الجماهير الكادحة في البلاد بدأت نضالا ضاريا ضد المستعمرين ، لم يسبق له مثيل من قبل ، من أجل التحرر الوطني للبلاد • ومن جهة أخرى فقد انتشرت في أوساط الاقطاعيين والقوميين البرجوازيين آراء بتحديد نطاق النشاط المعادي للاستعمار ، الا انهم تبرأوا من مواقفهم المناوئة تدريجيا ، بعد ان ارعبهم تصاعد الحركة الوطنية التحررية • اما الفئات الوطنية من البرجوازيين العراقيين والملاكين ، الذين عجزوا عن الوصول الى الحل السلمي والمنشود فقد بدأوا يتقربون من الحركة الجماهيرية العفوية ، ويتبنون مسؤولية قيادتها •

لقد حاول المستعمرون الانكليز القضاء على الحركة الوطنية النامية وهي في مهدها ، وتوطيد سلطتهم الاستعمارية في العراق • الا ان جميع محاولاتهم باءت بالفشل • ففي العشرين من حزيران عام ١٩٢٠ نشبت في الفرات الاوسط ثورة عاتية ، سرعان ما شملت جميع أنحاء البلاد •

١١٤ ـ تتضمن فتوى الشيرازي ان جميع العراقيين يجب ان يطالبوا (بتلبية) حقوقهم الا ان عليهم ان يحافظوا على السلم والاستقرار ، وفي جميع الاحوال فان من حقهم استعمال القوة الدفاعية في حالة رفض الانكليز تحقيق مطاليبهم •

الحسني ـ المصدر السابق ، ج (١) ، ص ١٠٤ •

الفصل الرابع

ثورة العشرين

ان ثورة ۱۹۲۰ هي ثمرة لنضال طويل خاضه الشعب العراقي ، نتيجة لتطور المقاومة العفوية للجماهير الكادحة ضد الاستعمار ، ومن أجل الاعتراف للشعب بحق تقرير المصير[1] .

وقد بدأت الثورة بحوادث لم تكن تتميز في بدايتها عن معظم الانتفاضات العفوية التي حدثت في البلاد في تلك الفترة ، وكان للوضع الدولي في نهاية حزيران ۱۹۲۰ ، أثر كبير في تصعيد النضال التحرري للشعب العراقي ، حيث فشل التدخل العسكري للدول الاستعمارية ضد روسيا السوفيتية ، واحرز الجيش الاحمر انتصارات حاسمة في جميع جبهات الحرب الاهلية ، بما في ذلك ، المناطق القريبة من العراق . وفي نيسان ۱۹۲۰ حررت قوات روسيا السوفيتية مدينة باكو ، واستطاع الشعب الاذربايجاني ، بمساندة الشعب الروسي ان يقرر نهاية هيمنة المساواتيين[*] ، ويعلن عن تأسيس جمهورية اذربايجان السوفيتية . وعقب ذلك ، قام الجيش الاحمر ، بانزال عسكري في ميناء اينزيلي

١ ـ المقصود هنا ثورة قبيلة بني حجيم التي بدأت في الرميثة في الثلاثين من حزيران عام ۱۹۲۰ .

(*) المساواتيون ـ هم اعضاء حزب (المساواة) الرجعي الذي اسس في اذربيجان عام ۱۹۱۲ من قبل البرجوازية الكبيرة والملاكين ورجال الدين . وكان المساواتيون خداما امناء لحكم القياصرة ، الا انهم اصبحوا في مقدمة القوى المعادية للثورة بعد القضاء على الحكم القيصري ، خاصة اثناء الحرب الاهلية . وقد الغى هذا الحزب بعد اقامة السلطة السوفيتية في اذربيجان عام ۱۹۲۰ (المترجم) .

الايراني[٢] ، الذي كان قاعدة لسفن المتدخلين الانكليز ، ومركزا لجمع الاموال والنفائس التي نهبتها قواتهم من روسيا[٣] • وقد اضطر المستعمرون الانكليز الى الجلاء عن ميناء اينزيلي تاركين وراءهم ما استولوا عليه من ثروات ، ثم ولّوا هاربين من منطقة گيليان باكملها • وعلى اثر ذلك اعلن عن تأسيس جمهورية گيليان التي بادرت بتأييد ومساندة الشعب العراقي في نضاله العادل الذي يخوضه ضد الاستعمار[٤] • ان انتصار الجيش الاحمر في مناطق ما وراء القفقاس ، واتساع الحركة الوطنية التحررية في ايران ، قد وجها ضربة مباشرة للمحتلين الانكليز في العراق • ويؤكد ذلك المعلق السياسي البريطاني (ي• شيبرد) بقوله ، ان طرد المتدخلين الانكليز من مناطق ما وراء القفقاس وگيليان ، قد فُهِم من قبل القوى الوطنية في العراق ، على انه دليل على عدم قدرة بريطانيا في الابقاء على سيطرتها في الشرق الادنى ، في مواجهة الحركة الوطنية التحررية للشعوب المستعبدة • وكان لتلك العوامل أثر كبير في اتساع نضال الشعب العراقي ضد الاستعمار ، وتصميمه على مواصلة العمل من أجل تحرير البلاد[٥] •

وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان للاحداث التي وقعت في بريطانيا في فترة ما بعد الحرب ، اثر كبير على الحالة في العراق • حيث اتسعت الحركة

---

٢ ــ ميناء يقع على سواحل بحر قزوين ، يدعى في الوقت الحاضر بميناء بهلوي •

٣ ــ م•س• ايفانوف ــ مقتطفات من تاريخ ايران ، موسكو ١٩٥٢، ص ٢٧٩ •

٤ ــ مجلة « كومونست » في ١٣/٧/١٩٢٠

« ديلي هيرالد » في ١٥/٦/١٩٢٠ •

(٥) "Journal of the Central Asian Society" London" 1919-1920, vol. VI-XVI.

« ديلي هيرالد » في ٦/٧/١٩٢٠ •

المعادية للحرب والاستعمار في مختلف أوساط الشعب البريطاني ، خاصة الطبقة العاملة البريطانية التي انهكتها قيود الاستعماريين الانكليز • وقد قاومت شغيلة انكلترا باصرار سياسة المغامرات العسكرية والاستعمارية التي تنتهجها الطبقة الحاكمة في البلاد في فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى • وظهر ذلك بشكل جلي في نضال العمال الانكليز ضد التدخل الاستعماري المعادي للسوفييت ، وانتشار الاستياء لدى اوسع الجماهير الشعبية في انكلترا ، نتيجة للسياسة التي تتبعها حكومة لويد جورج في العراق[٦] • حيث كان احتفاظ بريطانيا بجيش الاحتلال في العراق ، يكلّف الشعب البريطاني ما يقارب من (٣٥) مليون جنيه استرليني في السنة[٧] • وقد اكتظّت الصحف البريطانية بالمقالات الانتقادية ضد سياسة الحكومة البريطانية في العراق ، وازدادت تساؤلات المعارضة ، ومطالبتها للحكومة بمناقشة هذا الموضوع[٨] • وهذا يدل على استياء الشعب البريطاني للسياسة الاستعمارية التي تتبعها حكومته ، وعلى عدم اتفاق الطبقات السائدة في بريطانيا على سياسة موحدة تجاه العراق •

ومن جهة أخرى فقد تحطمت الآمال التي عقدها بعض الوطنيين المخلصين في العراق ، على حسن نية بريطانيا لانشاء دول عربية مستقلة في الشرق الأدنى ، وكان القرار الذي اتخذ في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ ، الذي نص على اقتسام العراق وسوريا ولبنان وفلسطين بين كل من انكلترا

٦ — التايمس « ١٩٢٠/٥/٢٠ »
٧ — « ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/٦/٢٤
ويلسون ، المصدر السابق ، ص ٣٩
٨ — « ديلي هيرالد » في ٢/٢٥ ، ١٩٢٠/٦/١٥
« تايمس » في ١٩١٩/١٢/٣١ ، ١٩٢٠/٧/١٢

وفرنسا ، قد كشف عن تنكر المستعمرين للوعود التي قطعوها على انفسهم للشعب العربي ، ولقادة الحركة الوطنية العرب ، في مختلف الاوقات •

وعلى ذلك فقد أصبحت الشعارات التي تدعو الى تعميق النضال ضد الوجود البريطاني ، تلقى تأييدا متزايدا في أوساط مختلف الفئات الوطنية في العراق •

على ان المستعمرين كانوا قد حشدوا اعدادا ضخمة من جيش الاحتلال ، بغية خنق الحركة الوطنية في العراق • وكان الجنرال (لوندين) القائد الاعلى للقوات البريطانية في العراق ، يرغب في تخفيض عدد القوات المسلحة الى (٦٠٫٢٠٠) شخص ، حيث كان العدد الحقيقي لتلك القوات أكثر من ذلك بكثير[٩] • فقد ذكر ممثلو الحكومة البريطانية في خطبهم في البرلمان ، ان عدد القوات المسلحة البريطانية في العراق يتراوح بين ٦٢ و٨٠ ألف شخص ، الا ان هذه الارقام هي الاخرى لا تعبّر عن الحقيقة ، اذ كان تحت تصرف الجنرال لوندين بالاضافة الى جيوش الاحتلال في العراق ، من ١٤ الى ١٧ ألف جندي مرابطين في شمال غربي ايران[١٠] ، بالقرب من الحدود العراقية •

كانت الوحدات البرية للجيش البريطاني الموجودة في العراق قد جهزت بمختلف المعدات والاسلحة ، وبعدد كبير من الدبابات والسيارات المصفحة ، ووضعت سريات من القوات الجوية في البلاد[١١] ، واسطول من السفن الحربية للسواحل وعدد من الزوارق النهرية ، تحت تصرف

---

٩ ــ لوديز ، ص ٩٣

١٠ ــ « ديلي هيرالد » في ٦/٢٤ ، ٦/٣٠ ، ١٩٢٠/٦/٢٧ •
« تايمس » في ٩٢٠/٦/١ •

١١ ــ Hoare, S. A flying visit to the Middle East. Cambridge 1925, p. 77.

السلطات العسكرية البريطانية ، اضافة الى وحدات مساعدة تقدر ببضع عشرات الالوف من الافراد •

وعلى ذلك يمكن تقدير عدد أفراد القوات البريطانية الموجودة في العراق ، أو المرابطة بالقرب من حدوده ، في تلك الفترة بما يتراوح من ١٣٠ الى ١٥٠ ألف شخص[١٢] •

كانت معظم قوات الاحتلال خاضعة للادارة الاستعمارية في الهند ، اما تلك التي تخضع للحكومة البريطانية مباشرة (المتروبول) ، فلم يتجاوز عددها تسعة عشر ألف جندي •

وقد شكّلت قوات كبيرة من وحدات الشرطة المحلية (الشبانة) ، تخضع للادارة المدنيـة مباشرة بلغ عـدد أفرادها عنـدئذ خمسة آلاف شخص[١٣] •

وبالرغم من تسليح جيش الاحتلال ، بأحدث الاسلحة الفتاكة ، حتى اخمص قدميه ، فانه لم يستطع التغلب على مقاومة الشعب العراقي ، الذي امتاز بروح نضالية عالية ، ذلك لان أفراد قوات الاحتلال ، بما فيها الوحدات الخاضعة للمتروبول مباشرة ، لم يكونوا مقتنعين بالسياسة التي تتبعها حكومتهم في العراق • وقـد عـم الاستياء مختلف مراتب الجيش الاستعماري ، حتى ان أحد الجنود الانكليز في العراق كتب رسالة الى ذويه في انكلترا يقول فيها : « ان الحياة هنا رتيبة مملة ، والتغذية سيئة ، والروتين يسيطر على وحداتنا ، اضافة ما تفعله الغربة والبعد عنكم من أثر مؤلم • مما جعلنا الآن اشبه بالمجانين •• فالى الوطن »[١٤] • وقد ازدادت

---

١٢ ــ ويلسون المصدر السابق ص ٢٧١ •
١٣ ــ المصدر السابق ، ص (٧٠) •
١٤ ــ « ديلي هيرالد »
في ١٩١٩/٨/١٥

الاحتجاجات في الهند ، وفي أوساط الهنود القاطنين في انكلترا ، ضد استخدام القوات الهندية في العراق[١٥] • وقوبل نضال الشعب العراقي بتعاطف كبير من قبل الوحدات الهندية المرابطة في العراق ، واتسع الشعور المعادي للاستعمار بين صفوف الجيش الاستعماري في الهند •

وقد ازداد الموقف تعقيدا بعد فشل التدخل العسكري الاستعماري في روسيا السوفيتية ، وانسحاب القوات البريطانية من مناطق اذربايجان السوفيتية وگيليان ، وارسالها الى العراق ، حيث التقى الجنود الهنود ، العاملين في القوات البريطانية الدخيلة ، بالمواطنين السوفيت ، وبقطعات الجيش الاحمر ، وثوار گيليان ، وتبادلوا الرأي معهم ، مما أدى الى رفع وعي اولئك الجنود ، وازدياد مناوأتهم للاستعمار ، من جهة ، والى اضعاف الروح العسكرية فيهم من جهة أخرى • كما انضم قسم منهم الى صفوف الجيش الاحمر والثوار ، بينما امتنع القسم الآخر عن اطاعة أوامر الضباط الانكليز[١٦] • كان الجنود الذين ارسلوا الى العراق « قد سحبوا من الجبهة بحماية السيارات المدرعة التي كانت تشدهم اليها في تقدمها وانسحابها[١٧] • وانتشرت بين الجنود الهنود ، أفكار تدعو الى الوقوف ضد الحرب ، والى الثورة على المستعمرين في العراق • وقد بادر الهنود الذين يعملون في خدمة جيش الاحتلال الى التعاون مع الحركة الوطنية في العراق ، وبدأوا بتزويد (مكتب الثورة) معلومات مهمة عن الاستعدادات

---

١٥ ـ « ديلي هيرالد » في ١٩١٩/٨/٢ ، ١٩٢٠/٧/٢٩ ، « كومونست » في ١٩٢٠/١١/١ •

١٦ ـ « برافدا » في ١٩٢٠/٦/٩ ، ١٩٢٠/٧/٢٣ • « كومونست » في ١٩٢٠/٧/٩ •

١٧ ـ « كومونست » في ١٩٢٠/٦/٩

التي تقوم بها قوات الاحتـلال[١٨] ، وحركات التمـرد التي قامت بهـا الوحدات الهندية ضد الانكليز[١٩] •

على ان موقف أفراد الشرطة المحلية من العرب والاكراد ، لم يكن متوقعا بالنسبة للمستعمرين الانكليز ، فقد ساند قسم كبير من هؤلاء ، نضال اخوانهم المواطنين ، بينما التحق قسم آخر الى صفوف الثوار ، وراحت البقية الباقية من الشرطة تحارب تحت وطأة التهديد والضغط •

بداية الثورة وموقف الرأي العام في العراق

في العشرين من حزيران عـام ١٩٢٠ ، قـام الضابط السياسي البريطاني ، في منطقة الرميثة (في الفرات الاوسط) ، باعتقال الشيخ شعلان أبو الجون ، زعيم عشيرة الزوالم ، احدى فروع قبيلة بني حجيم ، بسبب امتناعه عن دفع ضريبة الارض للسلطات الاستعمارية[٢٠] • وعلى أثر هذا الاجراء ، قامت وحدات مسلحة من أفراد القبيلة المذكورة ، في نفس اليوم ، باقتحام الرميثة ، واطلاق سراح الشيخ السجين • وما لبثت الثورة ان عمّت منطقة الرميثة برمتها • وفي الاول من تموز نشبت أول معركة حامية بين الثوار من قبيلة العكرة ، والوحدات العسكرية لجيش الاحتلال التي ارسلت من الديوانية • وفي الرابع من هذا الشهر ، فرضت القبائل

---

١٨ ـ سعيد امين ، الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ، القسم الثاني ص ٥٦ •

١٩ ـ Hamilton, A. M. Road through Kurdistan. The narrative of an engineer in Iraq. London, 1937, p. 31.

٢٠ ـ يقول البزاز ، ان اعتقال الشيخ كان قد تم بسبب مواقفه المعادية للانكليز ، ولم يكن سبب امتناعه عن دفع الضريبة ، الا ذريعـة لاتخاذ ذلك الاجراء • عبدالرحمن البزاز ، ص ٣٤ •
« تايمس » في ١٩٢٠/٨/٢٧

الثائرة الحصار على السماوة ، ونسفت خط السكة الحديد في المنطقة الواقعة بين الرميثة والديوانية ، وبين الرميثة والسماوة ، والسماوة والبصرة • وبذلك فقد قطع الخط الرئيسي للمواصلات التي تعتمد عليه القوات البريطانية •

على ان المحتلين بذلوا اقصى ما في وسعهم للقضاء على الثورة ، وهي في مهدها • فنقلوا من الحلة والديوانية الى الرميثة ، خلال الايام الثلاثة الاولى من تموز ، وحدات عسكرية قدر عددها بخمسمائة جندي ، بالاضافة الى عدد من العمال المساعدين ، الا ان القوة البريطانية لم تستطع أن تغير من الوضع شيئا • وحاول قائد الوحدة ، القيام بمناورة عسكرية قرب الرميثة ، الا انه لم يتمكن سوى تحرير حامية واحدة فقط ، من مركز الحراسة البريطاني ، واضطر بعد ذلك الى التراجع الى الرميثة ، حيث كانت القوات البريطانية قد حوصرت من قبل الثوار من كل جانب • ثم التف الثوار على حامية السماوة ، وضربوا عليها حصارا شديدا ، لم تستطع القوات البريطانية من شقه ، مع ما بذلته من جهود في هذا السبيل •

أسرع المحتلون الانكليز الى تعزيز قواتهم في تلك المنطقة ، فأرسلوا وحدات من أقوى قطعاتهم في الديوانية ، في السادس من تموز ، لفك الحصار عن حامية الرميثة ، الا ان تلك الوحدات اصطدمت أثناء تقدمها بفصائل الثوار في قتال ضار دام ثلاثة أيام ، وما ان بلغت مسافة عشرة كيلومترات عن الرميثة ، حتى أوقفها الثوار عن التقدم نهائيا ، ثم اضطروها الى الانسحاب في الثامن من تموز(٢١) •

استطاعت الحامية البريطانية المحاصرة في الرميثة ، بعد عناء كبير ، الاحتفاظ بقوتها حول المباني الحكومية والثكنات ، مع ان المدينة كانت

٢١ ـ أمين سعيد ـ المصدر السابق ، ص ٥٩

بأكملها تحت سلطة الثوار • وعندما واجهت الحامية نقصا كبيرا في الذخيرة والغذاء والماء ، لم تستطع الطائرات البريطانية تزويدها بالمؤن الكافية من الجو نظرا لمقاومة الثوار • وبذلت الحامية أقصى ما تستطيع لفك الحصار الذي ضربه الثوار ، فكانت تقوم بهجمات مباغتة بين الحين والآخر ، مشيعة النهب والقتل بين السكان الآمنين[٢٢] • وقد ازدادت هستيرية المحتلين ووحشيتهم ، واتسع عبثهم بمقدرات المواطنين ، اثر ازدياد حدّة القتال ، والتحاق فصائل جديدة للثوار لخوض حرب التحرير •

وسرت الثورة في أرجاء البلاد ، سريان النار في الهشيم ، وأصبحت تهدد باكتساح كافة أنحاء البلاد • وعلى هذا فليس غريبا أن تستحوذ ثورة الرميثة على اهتمام وتأييد مختلف أبناء الشعب العراقي ، حيث حازت على تأييد أوسع الجماهير الشعبية • وكانت تقارير الضباط السياسيين في في مختلف مناطق العراق ، تؤكد استعداد الفلاحين والبدو الرحل وسكان المدن للالتحاق بالثوار • فقد غادر المواطنون بيوتهم في ظلمة الليل ، جماعات وأفرادا للمساهمة في الثورة ، بينما بادر كثير من المواطنين الذين التحقوا بالشبانة الى القاء سلاحهم والهرب من الخدمة[٢٣] • وفي بغداد وضواحيها كانت تلعلع أصوات اطلاق النار ليلا بين حين وآخر •

أما الطبقات المستغلة فقد اختلفت مواقفها ، بعد انتشار أنباء الثورة ، حيث كشف كبار الاقطاعيين والكومبرادور ، الذين ارتبط مصيرهم بوجود المستعمرين الانكليز منذ زمن بعيد ، عن موقفهم المعادي للثورة ، واضطر الكثيرون من الشيوخ الذين نصبتهم السلطات البريطانية ، الى الهرب من

٢٢ ــ المصدر السابق
« ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/٧/١٧
٢٣ ــ توماس ، ص ١٠٩

الريف ، والالتجاء الى المدن تحت حماية القوات البريطانية عند سماعهم أنباء الثورة[٢٤] • ففي أواخر تموز ـ مثلا ـ هرب شيوخ منطقة البدير ، مع القوات البريطانية التي اضطرت الى الانسحاب من الديوانية[٢٥] • أما الشيخ علي سليمان ، زعيم قبائل الدليم ، والشيخ فهد بي ، زعيم امارة عنزة ، فقد حافظا على « اخلاص لا يتزعزع » للمحتلين[٢٦] • وبادر بعض أثرياء بغداد والبصرة والموصل ومدن اخرى غيرها ، الى الوقوف الى جانب الانكليز ، بعد اندلاع الثورة مباشرة • فقد كتب مراسل (التايمس) يقول : « ان مجلس وجهاء البصرة ، الذي لم يمض وقت طويل على انعقاده ، قد اتخذ قرارا ، يشوبه التزوير والتزييف ، مؤكدا تصميم أعضائه على تأييد ومساندة الادارة البريطانية ، ويدين (الفوضى) السائدة في البلاد »[٢٧] • كما وقف عبدالرحمن الكيلاني ، الاقطاعي المتنفذ ، ونقيب أشراف بغداد ، موقفا سلبيا من الثورة[٢٨] • وكان الاقطاعيون الغائبون ، الذين يعيشون في المدن ، وترتبط مصالحهم بالوجود البريطاني في العراق ، قد واجهوا أنباء الثورة في الفرات الاوسط باستياء بالغ • ويحدثنا (كوك) بهذا الصدد قائلا : « ان طبقة الملاكين الغائبين ، لم تكن أقل من السلطة قلقا لما ستتمخض عنه الثورة ، منذ اندلاعها »[٢٩]•

ويلاحظ ان فئات كثيرة كانت ترتبط في السابق بالحركة الوطنية ، أصبحت تقف تدريجيا موقفا سلبيا من الثورة • فقد أثبت العهديون عمليا

---

٢٤ ـ ايرلاند ، ص ٢٤٩

٢٥ ـ بريطانيا العظمى ، ص ١٤٦

٢٦ ـ بيل ، ج (٢) ، ص ٤٩٦

٢٧ ـ « تايمس » في ١٩٢٠/١١/٩

٢٨ ـ خيري أمين العمري ـ شخصيات عراقية ، بغداد ١٩٥٥ ، ج (١) ، ص ١٨ •

٢٩ ـ كوك ، قلب الشرق الاوسط ، ص ١٧٨

وقوفهم الى جانب المستعمرين الانكليز في حربهم ضد الشعب العراقي ، وقد أرسل جعفر العسكري ، أحد زعمائهم ، التماسا الى السلطات الاستعمارية في بغداد ، يؤكد فيه رغبته في الانضمام الى الخدمة العسكرية للمحتلين[٣٠]، ولم يكن الامير فيصل الزعيم الروحي للعهد ، أقل (ولاءا) من صاحبه للمستعمرين ، اذ أعلن في أشد الايام العصيبة عن ثقتـه وتأييده لفكرة الاتحـاد العربي ــ البريطاني[٣١] • كما تنصلت عن الثورة فئـات من القوميين اليمينيين في العراق ، فقد توقفت لجنة الوفد عن العمل في الثلاثين من حزيران ، وانبرى قسم من أعضائها الى المطالبة (باقرار الامن) في البلاد ، اثر الاحداث التي طرأت في الرميثـة • بينما أسرع قسم آخر منهم ، في بداية تموز ، الى اجراء مفاوضات سرية مع رئيسة المخابرات البريطانية في العراق (گيرتروود بيل) ، بواسطة رئيس بلدية بغداد ، وطلبوا أثناء تلك المباحثات ، موافقة انكلترا على تأسيس حكومة وطنية مع الاعتراف بالانتداب البريطاني على العراق[٣٢] •

أما جمعية (حرس الاستقلال) والمنظمات الدينية ، ورؤساء القبائل، ذوو النزعة الوطنية ، فقد كانوا مصرين على أهدافهم التي أعلنوا عنهـا سابقا • وترأس الشيوخ الفصائل المسلحة للقبائل الثائرة ، بينما سارعت منظمات (حرس الاستقلال) الموجودة في المدن التي شملتها الثورة ، الى الالتحاق بصفوف الثوار ، وواصلت قيادتها ومساندتها لفصائل الانصـار في العاصمة • وفي الثاني من تموز أعلن في النجف عن (الحرب المقدسة) ضد المحتلين اثر اجتماع لرجال الدين في أحد المساجد • وفي السادس من هذا الشهر اتخذت قرارات وفتاوى مشابهة من قبل رجال الدين في

٣٠ ــ ويلسون المصدر السابق ، ص ٣٠٣ ــ ٣٠٤
٣١ ــ « تايمس » في ١٩٢٠/٨/١٤
٣٢ ــ بيل ، جـ ٢ ، ص ٤٩١

كربلا[٣٣] • على ان القوى الثورية في البلاد ، لم تقطع الأمل في تحقيق أهدافها بالوسائل السلمية ، حيث أبدت المنظمات الدينية عدم معارضتها للمفاوضات التي أجراها رؤساء القبائل البارزون مع الانكليز ابان الثورة •

وقد بادر الرائد (نوربيري) الضابط السياسي في الكوفة ، في الاول من تموز الى الاجتماع بزعماء قبائل الفتلة ، وبحث معهم الاجراءات الكفيلة (بتهدئة) القبائل[٣٤] • وفي السابع من تموز اجتمع شيوخ القبائل في الحميدية بالنقيب (مان) الضابط السياسي في تلك المنطقة ، وطلبوا منه ابلاغ حكومته بالعمل على تحقيق المطالب التالية :

١ ـ منح العراق الاستقلال التام •

٢ ـ ايقاف القتال في منطقة الرميثة •

٣ ـ نقل القوات البريطانية من منطقة الفرات الاوسط الى بغداد •

٤ ـ اطلاق سراح المعتقلين السياسيين[٣٥] •

وقد أكدوا ان هذه المطالب تمثل الحد الادنى لاهداف الحركة الوطنية •

على ان تلك المفاوضات كانت في صالح المستعمرين الانكليز ، حيث صرفت الجماهير الشعبية عن النضال المسلح ضد المحتلين ، وأسرع المستعمرون الى عقد تلك المباحثات لكسب الوقت ، وحشد قواتهم للقضاء على الثورة وهي في مهدها • ووافق (مان) على المطلبين الاولين من مطالب

---

٣٣ ـ امين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٥٩ ،
ايرلاند ، ص ٢٦٨

٣٤ ـ أمين سعيد ، المصدر السابق ص ٦٠ ،
ويلسون ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥

٣٥ ـ أمين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦١

القوى الوطنية ، الا انه رفض اعطـــاء أي تنـازلات حول جلاء القوات العسكرية ، والامتناع عن اصدار عفو عن المعتقلين السياسيين ، يؤكـــد سوء نية المحتلين في اجراء المفاوضات ، واستغلالهم لها لاستعادة مركزهم في البلاد •

قام تقي الشـــيرازي المجتهد الاكبر في كربلا ، بمساع شـــخصية للوصول الى حل سلمي للازمة ، فبعث بمحمد علي الشهرستاني وأحمد الخراساني الى بغداد من أجل المطالبة بجلاء القوات المسلحة ، واعـلان العفو عن الثوار ، واعادة المنفيين الى وطنهم ، قبل أن تشمل الثورة قبائل اخرى[٣٦] • وبالرغم من فشل المفاوضات ، فقد كسب الانكليز الكثير بسببها ، اذ ارجأت الفصائل المسلحة للثوار في مناطق الشامية وأبي صخير والكوفة ، عملياتها ضـــد المحتلين الى حين انتهـــاء المفاوضات ، مما هيأ للسلطات البريطانية في تلك المناطق فرصة لتعزيز علاقاتها ببعض شيوخ القبائل • واستطاع (نوربيري) الضابط العسكري في الكوفة ، توفير المؤونة والذخيرة لحامية المدينة بما يكفي لحصار أمده ثلاثة أشهر • ووصـل (مان) في السادس من تموز الى اتفاق مع شيوخ قبائل الخزاعل ، يضمن وقوفهم على الحياد من الثورة ، مقابل حصولهم على وعد بمنحهم أراضي قبيلة الفتلة • وتمكن الانكليز ، بواسطتهم ، أن يبعثوا بألفي جنيه استرليني الى شيخ قبيلة شبل[٣٧] ، وبمبالغ كبيرة الى شيوخ آخرين[٣٨] •

وقد تكررت هذه الصورة في مناطق اخرى ، حيث زيدت المعونة

---

٣٦ ـ عبدالرزاق الحسني ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، جـ (١) ، ص ١٠٩ •

٣٧ ـ ويلسون ، المصدر السابق ، ص ٢٩٦

٣٨ ـ أمين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦٢

التي تقدمها السلطات البريطانية الى شيوخ قبائل الرمادي وشمالي الفرات من (٥٠) ألف ربية عام ١٩١٩ الى (٢٧٩) ألف ربية عام ١٩٢٠[٣٩] • واستطاع (بيرترام توماس) الضابط السياسي في منطقة الشطرة ، اقامة علاقات وطيدة مع الكثيرين من الشيوخ والمرابين في المنطقة ، حتى ان الحاج (ألماس) ، أكبر تجار الشطرة في ذلك الحين ، الذي كان يحتكر جمع الضرائب لحساب الانكليز ، أصبح عميلا سافرا ل (توماس) ، وكان يحرص على تزويده بآخر الأنباء عن نشاطات الوطنيين في المنطقة[٤٠] • وقد حذا حذوه معظم الشيوخ البارزين لقبائل الشطرة ، خاصة منهم الشيخ خيون العبيد ، الذي كتب عنه توماس قائلا : « لقد أخبرته بعدم امكانه المحافظة على مصالحه الا بتقديم خدمات جيدة للحكومة »[٤١] ، وقد ضمن توماس اخلاص خيون للسلطات البريطانية بما قدمه له من الهدايا النفيسة جدا[٤٢] ، حتى أصبح هذا ، واحدا من أخلص مساعدي توماس في المحافظة على (النظام) • ولم تمض سوى بضعة أيام على نشوء الثورة في الرميثة ، حتى تقدم بعض الشيوخ يطلبون منه اتخاذ أشد الاجراءات للقضاء على (الاضطرابات) التي بدأت في الشطرة • وقد استفسروا من الضابط السياسي قائلين : « لماذا لا تلقون القبض على المحركين ؟ ـ انهم قليلو العدد في الوقت الحاضر ، الا انهم سيزدادون حتما اذا لم ترموهم في السجون »[٤٣] • ولم يقف هؤلاء الشيوخ عند مجرد القول ، وانما تعدوا ذلك الى الافعال أيضا ، فقد سلم أحد الشيوخ

---

٣٩ ـ ايرلاند ، ص ٢٧٠

٤٠ ـ توماس ، ص ١٠٦

٤١ ـ المصدر السابق ، ص ٩٤

٤٢ ـ ايضا •

٤٣ ـ المصدر السابق ، ص ٩٣ •

الى توماس ، أحد أفراد قبيلته الذي شارك في محاولة الاعتداء على حياة ضابط بريطاني[٤٤] . وتكررت مثل هذه الحوادث في مناطق اخرى في العراق ، اذ عمل عدد كبير من الشيوخ ، أقصى ما في وسعهم ، لمنع قبائلهم من المساهمة في القتال ضد المستعمرين ، بينما ذهب آخرون الى حد خيانة الوطن والعمالة السافرة للمستعمرين[٤٥] .

على ان جميع محاولات المحتلين للوقوف في وجه الثورة ، ومنع اتساعها ، قد باءت بالفشل . وكتب ويلسون بهذا الصدد يقول : « ان الشيوخ اكتشفوا مؤخرا ، بأنهم لا يملكون ذلك النفوذ الذي كانوا يتصورونه على أفراد قبائلهم »[٤٦] . وقد استنكرت الجماهير الشعبية بشدة محاولات بعض الشيوخ للتآمر على قضية الثورة . ففي الاول من تموز ، أثناء المفاوضات التي عقدت بين نوربيري وشيخ الفتلة ، قام أفراد هذه القبيلة بمظاهرة كبيرة ، أعلنوا فيها احتجاجهم على المفاوضات[٤٧] . على ان تصاعد الحركة الثورية بين أفراد القبائل من جهة ، وتعنت السلطات البريطانية تجاه المطالب الوطنية العادلة ، قد دفع الكثيرين من الشيوخ الى الوقوف بحزم الى جانب قبائلهم . حيث أعلن هؤلاء الثورة في الشامية ضد المحتلين في الحادي عشر من تموز . وفي الرابع عشر منه اتسعت الثورة لتشمل قبائل الكوفة . ومع الاقرار بالموقف القيادي لشيوخ القبائل ، الا انه يجب التأكيد على ان الثورة كانت من صنع الجماهير الثائرة من أفراد القبائل . وقد ذكر ويلسون « ان معظم شيوخ

٤٤ ــ المصدر السابق ، ١٠٧ ــ ١٠٨
٤٥ ــ عبدالرحمن البزاز ، ص ٣٥
٤٦ ــ ويلسون ، المصدر السابق ، ص ٣١١
« ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/٩/٣
٤٧ ــ ويلسون المصدر السابق ، ص ٢٩٥

القبائل في مناطق الحلة والديوانية ، سرعان ما احتذوا بأفراد قبائلهم ، بدلا من أن يتولوا قيادتهم • وقد بذل أفراد القبائل أقصى جهدهم لكي يحولوا زعماءهم المتأرجحين من مرحلة القول الى الفعل • أما أولئك الشيوخ الذين حافظوا على علاقات وطيدة مع المحتلين ، وكانوا ـ في نفس الوقت ـ يخشون أن يفقدوا نفوذهم على قبائلهم ، فانهم انضموا الى الثورة دون رغبة منهم »[٤٨] •

ان هذا يؤكد وجود اتجاهات انهزامية قوية في قيادة الثورة منذ بدايتها • فقد بادر الكثيرون من شيوخ القبائل ، ممن يخشون فقدان مراكزهم في حالة فشل الثورة ، الى الدخول في مباحثات سرية مع القيادة البريطانية ، كما حدث لشيوخ الرميثة ، الذين أسرعوا الى اجراء مباحثات مع الضباط السياسيين الانكليز في المنطقة ، حال سماعهم أنباء الحشود العسكرية المزمع ارسالها لاسناد الحامية المحاصرة ، للاتفاق على شروط الاستسلام[٤٩] •

لقد تكشف ضعف قيادة الثورة بصورة عامة ، كما برزت الاتجاهات الانهزامية لبعض الشيوخ في منطقتي الشامية والكوفة • فبالرغم من ان شيوخ قبائل الشامية كانوا قد أعلنوا الثورة في الحادي عشر من تموز ، الا انهم لم يبدوا أي نشاط فعلي الا بعد مضي وقت طويل على هذا التاريخ • ويروي سعيد أمين ، انه وضعت تحت تصرف (مان) الضابط السياسي في منطقة الحميدية ، مبالغ ضخمة من المال لتمكينه من عرقلة حركة الثوار[٥٠] ، وعلى هذا فان القبائل في تلك المنطقة لم تبدأ بتحركها

٤٨ ـ المصدر السابق ، ص ٣١١

٤٩ ـ عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ص ١٢٥

٥٠ ـ أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، ج (٢) ، القسم الثاني ص ٦٢ •

الا في الثالث عشر من تموز ، أي بعد اعلان الثورة بيومين ، حيث توجهت الفصائل الثائرة بقيادة الشيوخ المتنفذين : علوان الياسري ، وعبدالواحد سكر رئيس قبائل الفتلة » وهادي زوين ، الى مدينة أبي صخير لفرض الحصار عليها • ومن جهة اخرى فقد قرر قادة الثورة على أن يتوجـــه الشيخ سلمان العبطان رئيس قبيلة الخزاعل ، والشيخ رايح العطية رئيس قبيلة الحميدات الى (مان) ، ويبلغاه بضرورة مغادرة الحميدية بأسرع وقت ، ويؤكدا لـــه انه ليس باستطاعتهما ، ولا باستطاعة قادة الفصائل الثائرة ضمان سلامته[٥١] • وقد اضطر (مان) الى الهرب الى الـكوفة بحمايتهم • وقد توصل نوربيري ومان ، بمساعدة أولئك الشيوخ ، الى عقد مفاوضات جديدة مع زعماء الثوار •

كانت القوات البريطـــانية في تلك الفترة ، تعيش حالة رهيبة في مناطق الفرات الاوسط ، فقد سيطر الثوار على جميع المناطق من السماوة والرميثة حتى النجف ، ومن الديوانية والكفل حتى الصحراء الجنوبيه • وحوصرت القوات البريطانية في الرميثة والسماوة وأبي صخير ، من قبل الثوار ، بينما أطبقت فصائل الثوار على الكوفة في عملية التفاف سريعة • على ان الانكليز سارعوا الى انقاذ الموقف ، حيث أعلنوا عن رغبتهم في اجراء مفاوضات عاجلة لتحقيق مطالب الثوار ، وقد وافقت وفود القبائل الثائرة في منطقة الشامية ، ورجال الدين في النجف ، على عقد هدنة لمدة أربعة أيام ، في التاسع من تموز تلبيـــة لطلب نوبيري ، الذي زعم ان الهدنة ضرورية لتحقيق مطالب الثوار ، التي تقدموا بها في السابع من تموز • كما وافق قادة الثورة على الجلاء عن حامية أبي صخير على أن

---

٥١ ــ عبدالرزاق الحسني ، المصدر جـ (١) ص ١٠٩ــ١١٠
امين سعيد ، (٢) القسم الثاني ، ص ٦٢

يتم سحبها الى الكوفة • والتزم المندوبون الانكليز من جانبهم بعدم نقل قواتهم المسلحة الى منطقة القتال ، والامتناع عن تزويد المدن المحاصرة بالذخيرة والمؤن[٥٢] • وما أن تم للمستعمرين انقاذ حامية أبي صخير المحاصرة ونقلها الى الكوفة ، حتى نقضوا وعودهم ، ورفضوا تنفيذ مطالب قيادة الثورة ، مما أدى الى نشوب المعارك من جديد في منطقة الرميثة ، مما اضطر الانكليز الى ارسال فرقة الجنرال (كونينكيم) الى الرميثة لمساعدة الحامية البريطانية المحاصرة هناك • وقد هاجمت الفرقة خنادق الثوار على الطريق المؤدية الى المدينة ، وأقامت جسرا على الفرات لتفادي الاشتباك بفصائلهم وبذلك استطاعت أن تشق طريقها الى الحامية المحاصرة• الا انه اتضح للجنرال كونكيم استحالة الاحتفاظ بالرميثة واضطر الى الجلاء عن المدينة في الحادي والعشرين من تموز ، ووصل الديوانية بعد معارك ضارية مع الثوار دامت يومين • لقد أظهر الثوار في المعارك التي دارت قرب الرميثة صمودا لا مثيل له ، وكثيرا ما اضطروا وحدات العدو المدربة الى الهرب من ساحة القتال • وتكشف الخسائر الفادحة التي مني بها الانكليز ، عن الشدة المتناهية التي اتصفت بها تلك المعارك ، فقد حددتها المصادر البريطانية ب (٤٠٠ ــ ٥٠٠) شخص (اضافة الى منطقة السماوة) • الا ان أمين سعيد ، حددها ب (٣٢٥) قتيلاً و (١٧٠) جريحاً ، عدا خسائر الحامية أثناء الحصار ، والتي قدرت ب (١٥٠) قتيلاً وجريحاً ، وتلك التي منيت بها القوات المحتلة أثناء تقهقرها[٥٣] •

وقد نقض المحتلون شروط الهدنة في منطقة الكوفة ، فأرسلوا اليها

---

٥٢ ــ عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق (١) ، ص ١١٠ــ١١١
امين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦٢
٥٣ ــ « تايمس » في ١٩٢٠/٧/٢٣

قوارب نهرية مسلحة من الحلة ، وصنادل مجهزة بالعتاد والذخيرة والمواد الغذائية لمواجهة الثوار الذين اشتد بأسهم هناك(٥٤) .

معركة الرستمية وانتشار الثورة في جميع انحاء العراق :

قررت قيادة الثورة ، تحت ضغط الجماهير الشعبية ، تصعيد الكفاح المسلح ضد المحتلين . وتحقيقا لذلك بادرت بعض الفصائل المسلحة لقبيلة بني حسن ، بقيادة الشيخ علوان السعدون بفرض الحصار على مدينة الكوفة ، بينما بدأت قبائل الشامية ، وقسم آخر من قبيلة بني حسن بقيادة علوان الياسري وعبدالواحد سكر وعمران السعدون ، بهجوم شامل باتجاه الحلة ، واستطاعت في الثاني والعشرين من تموز تحرير مدينة الكفل الواقعة على نهر الفرات . على ان المستعمرين أسرعوا بارسال وحدات عسكرية قوامها (٨٠٠ ـ ٩٠٠) شخص بقيادة العقيد (هارد كيستل) ، في محاولة لمنع تقدم القبائل المهاجمة ، وفك الحصار عن الكوفة(٥٥) . واستطاع الرتل البريطاني مساء الرابع والعشرين من تموز ضرب معسكر (حصين) التابع للثوار ، على قناة الرستمية (الرارنجية) ، على بعد ٨ ـ ٩كم عن الكفل ، واستمر في زحفه الى الكوفة . الا ان الثوار لم يستكينوا للهزيمة ، حيث انتظروا حتى هبوط الظلام ، وشنوا غارة عنيفة على معسكرات العدو ، واجتازوا خطوطه الدفاعية ، وواصلوا غارتهم حتى مزقوا فلوله ، وبعثروا قواته خلال بضع دقائق ، بالرغم من

---

٥٤ ـ الحسني ، المصدر السابق ، ص١١١ـ١٤١

٥٥ ـ تتكون وحدات هارد كيستل من كتيبة مانشستر الآلية (من انكلترا) ، ومن سريتي خيالة من السندوسيين ، وسرية هندسة ، وبطارية مدفعية . (عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ص ١٢٨) . وفي رواية لم تؤكده لبعض الكتاب العراقيين، ان عدد الجنود البريطانيين بلغ بضعة الوف من الافراد . البزاز ، ص ٣٦) .

النيران الغزيرة التي زرعتها مدافعه ، وفي محاولة من العدو للتخلص من المأزق ، أمر (هيردكيستل) قائد القوات البريطانية ، بالجلاء الفوري عن المعسكر[٥٦] ، وتحول التراجـــع المنظـــم الى هزيمة منكرة للقوات البريطانية[٥٧] ، اذ لم يستطيع سوى نصف الرتل من الوصول الى قواعده الخلفية عند بزوغ الصباح في اليوم التالي[٥٨] • بينما وصلت جماعات متفرقة من الرتل الى الحلة بعد فترة طويلة •

لقد تركت القوات المحتلة في ساحة المعركة (١٨٠) قتيلا و (٦٠) جريحا ، ووقـع في الاسر (٨٩) بريطـــانيا و (٨١) هنديا ، كما فتحت فصائل الثوار المنتصرة كميات ضخمة من الذخيرة والمؤن ، وعدد كبـير من البنادق الرشاشة ، ومدفع واحد[٥٩] •

لقد وجه الانتصار الرائع الذي حققه الثوار ، ضربة ماحقة بمحاولات المحتلين لخنق الثورة وتهـــديدها • وازدادت ثقـة الجماهير الشعبية في قدرتها على سحق المحتلين • وعلى اثر هذا الانتصار أخذت الثورة تزداد اتساعا يوما بعد يوم • ففي الرابع والعشرين من تموز ، اضطر الانكليز الى الجلاء عن المسيب ، والهندية ، بينما التحقت قبائل الدغارة وعفـــك بالثورة • وخـــاض الثوار معركة استطلاعية قرب الحلة • وفي صبيحة

---

٥٦ ــ امين سعيد ، المصدر السابق ، ص٦٣

٥٧ ــ ويلسون ، ص ٢٧٩

٥٨ ــ ايرلاند ، ص ٢٦٧

ويلسون المصدر ، المصدر السابق ص ٢٧٩

٥٩ ــ « ديلي هيرالد » في ٨/٤ ، ٨/٦ ، ١٩٢٠/٩/٢٥

ويلسون المصدر السابق ص ٢٧٩

يقدر (هولدن) الخسائر بـ (٢٠) قتيلا ، و (٦٠) جريحا و (٣١٨) مفقودا • وفي رأي عدد من الكتاب العراقيين ، إن عدد القتلى كان (٨٠٠) شخصا • البزاز ، ص ٣٦ •

الثامن والعشرين من تموز ، عاودت الفصائل الثائرة هجومها ثانية ، وبعد معارك دموية ، استطاعت التغلب على جميع الاستحكامات التي أقامتها القوات البريطانية ، واستطاعت بذلك اجتياز القوات المتجمعة حول الحلة ، ومن ثم احتلال المدينة • وقد استقبل الثوار من قبل أهالي الحلة بحماس منقطع النظير ، وقدموا لهم كل ما يحتاجونه من عون • ولم تستطع الشرطة المحلية مقاومة الثوار ، الذين شقوا طريقهم بسرعة الى الساحة الرئيسة في المدينة ، وحرروا السجناء ، وكادوا يقضون على القوات البريطانية قضاءا مبرما ، لولا وجود الاستحكامات التي أقامتها تلك القوات قبل ذلك • واستمرت المعارك الضارية في شوارع المدينة ، مما اضطر الثوار الى الانسحاب عند المساء ، تحت ضغط قوات العدو المتفوقة[٦٠] •

على ان انسحاب الثوار من الحلة لم يخفف من التوتر الذي ساد المنطقة ، فقد تدهورت حالة القوات البريطانية المحتشدة في الديوانية ، الى الحلة ، في الثلاثين من تموز ، بعد أن تلقت أمرا بذلك من القيادة العليا • وقد حصل قائد القوات البريطانية في الديوانية من هذه القوات على وعد بالمحافظة على سلامة قواته • الا ان أفراد القبيلة أحبطوا تلك المؤامرة ، واعترضوا على الشيخ في خطوته تلك[٦١] • ودفعت القوات البريطانية المنسحبة ثمنا غاليا عن كل كيلومتر من الطريق الذي مرت به • وأثناء قيامها باصلاح خط السكة الحديد ، الذي نسفه الثوار على امتداد المنطقة من الديوانية الى الحلة ، لم تستطع أن تجتاز أكثر من ٨ الى ٩ كيلومترات في اليوم ، حيث استمرت هجمات القبائل الثائرة الواحدة

---

٦٠ ـ الحسني ، المصدر السابق ، ص ١٣١ •
أمين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦٣ •
٦١ ـ امين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦٤

تلو الاخرى ، واشتبكت مع العدو في معارك دموية ضارية . الا انه نتيجة لعدم تناسق عمليات الثوار فقد فضل قسم من فصائلهم المسلحة القيام بمناورة الوحدات البريطانية . ولم تستطع طلائع كوبينكيم الوصول الى الحلة الا في التاسع من ايلول ، والتحقت بها البقية الباقية في العاشر من آب ، بعد أن عانت مصاعب كبيرة في المعارك التي دارت بينها وبين الثوار .

وقد اتسع نطاق الثورة الى حد كبير ، بوصول وحدات مسلحة جديدة من القبائل الثائرة الى الحلة والكوفة والسماوة . وفي الاول من آب استطاعت القبائل القريبة من السماوة اخراج عدة قطارات عسكرية عن سيرها . واحتل الثوار مدينة الخضر ومحطتها يومي الثاني عشر والثالث عشر من آب . كما جرت عمليات متفرقة للانصار في منطقة الشطرة ، وراح قناصة الثوار ، يقصفون الناصرية بوابل من نيرانهم أثناء الليل . أما في كوت الامارة والبصرة ، حيث يشعر المستعمرون الانكليز هناك باستقرار نسبي ، فقد جرت الاستعدادات لعقد اجتماعات عامة لتأييد الثوار[٦٢] ، بينما أخذت الحالة في بغداد تزداد توترا يوما بعد يوم ، حيث بدأت فصائل الانصار في العاصمة تطارد الدوريات البريطانية وتجردها من سلاحها ، واستمر عقد الاجتماعات العامة بصورة سرية ، كما ساهم عمال بغداد في النضال التحرري الذي تخوضه البلاد ضد المستعمرين، ففي الثالث والعشرين من ايلول أحرق العمال أحد الكراجات الخاصة بتصليح السيارات العسكرية ، يحتوي على احتياطي كبير من البنزين

---

٦٢ ــ ايرلاند ، ص ٢٧١
لونكريك ، ص ١٢٤
فيلبي ، ص ١٨٦ .

وأدوات الغيار[٦٣] •

وبعد أن نسف الثوار خطوط السكة الحديد ، وسيطروا عليها ، بدأوا يهددون طرق النقل بالسيارات ، مما أصبح يشكل خطرا بليغا على وجود القوات البريطانية ، التي كانت تعتمد في تموينها عندئذ على تلك الطرق •

وعندما لمس المحتلون بوادر الثورة المسلحة في بغداد ، أسرعوا لتدارك الموقف قبل فوات الاوان ، فقد اقتحمت قواتهم في الثالث عشر من آب مساكن منظمي الاجتماعات العامة ، من بينهم جعفر أبو التمن ويوسف السويدي وعلي البزركان وأحمد داود • الا انها لم تعثر على أحد منهم سوى أحمد داود[٦٤] • وفي اليوم التالي نشب القتال أمام مسكن السويدي بين الشرطة والجماهير الثائرة ، حيث تكبد الطرفان خسائر فادحة • ولم تستطع الشرطة الوقوف في وجه فرق الانصار المسلحة، الا بعد وصول امدادات جديدة اليها[٦٥] • على ان الشرطة عثرت أثناء تفتيشها مسكن يوسف السويدي على وثائق سرية لقيادة جمعية « حرس الاستقلال » من بينها قوائم بأسماء المتطوعين في فرق الانصار في بغداد • مما كان له أثر سيء على تطور النضال الثوري في العاصمة ، وساعد السلطات البريطانية في القاء القبض على المناهضين للنظام الاستعماري ، ومن يشتبه بميوله الوطنية • وقد أعلنت حالة الطوارىء في بغداد في الثالث عشر من ايلول ، وأخذ الجنود والضباط الانكليز يجوبون الشوارع بسياراتهم المصفحة ليل نهار ، كما اعلن عن منع التجول منذ

---

٦٣ ـ البزاز ، ص ٣٧
ايرلاند ، ص ٢٧١
٦٤ ـ المصدر السابق ، ص ٢٩
٦٥ ـ الحسني ، المصدر السابق ، (ج) ، ص (٩٤)

الساعة العاشرة مساءا ، وهددت السلطات المحتلة باطلاق النار على كل من يخالف هذا الامر •

وبعد فشل محاولة قيام حركة مسلحة في بغداد ضد المستعمرين ، بدأ الوطنيون ــ بمن فيهم قادة « حرس الاستقلال » ــ يغادرونها زرافات وأفرادا ، مخترقين حشود القوات المسلحة ، التي ضربت حصارا حول المدينة ، متوجهين الى منطقة الثورة • فقد توجه محمد الصدر ، رئيس جمعية حرس الاستقلال الى منطقة ديالى ، وساهم بقسط كبير في النضال المسلح ضد المحتلين هناك • كما التحق يوسف اسويدي بفصائل الثوار في منطقة اليوسفية (جنوبي غربي بغداد) • بينما تسلل كل من جعفر أبو التمن وعلي البزركان ، وكثيرون غيرهم الى الفرات الاوسط •

وعلى اثر الاعتقالات الواسعة التي قامت بها السلطات الاستعمارية ، ونفي عدد من أبرز قادة حرس الاستقلال ، وهروب عدد آخر منهم خارج المدن ، فقد اضطرت الجمعية الى حل نفسها • وانتهى بذلك نشاط أكبر منظمات البرجوازية الوطنية والمثقفين ذات المواقف الثابتة في مقـــارعة الاستعمار •

على ان نتائج النضـــال الطويل للجمعية ، بدأت تعطي ثمارها في المعترك السياسي • فقد ظهرت المقاومة المسلحة في منطقة بعقوبة ، اثر الاجتماعات التي عقـــدت بين ممثلي حرس الاستقلال والشـــيخ حبيب الخيزران ، زعيم قبيلة العزة ، لبحث الاستعدادات التي يجرى اتخاذها للقتال ضد المحتلين ، واتفق على خطة ثابتة تهدف الى توسيع نطاق الثورة • وتقرر المباشرة بنسف خط السكة الحديد الذي يربط بغداد بخانقين[٦٦] •

---

٦٦ ــ الحسني ، المصدر السابق ، ص ١٢٥

وقد شنت في السادس من آب أول غارة للانصار على محطة صغيرة للسكة الحديد قرب بعقوبة ، ثم أعقبتها مجموعة من الغارات على المواقع والحاميات البريطانية في تلك المنطقة • وبعد أن تم نقل القطعات البريطانية الى بغداد ، بادر الثوار في الثاني عشر من آب الى احتلال دلتاوة ، وفي الخامس عشر منه سقطت مدينتا شهربان وبعقوبة على أيدي الثوار ، بعد أن انضم اليهم أفراد الشرطة العرب وبعد ذلك قام الثوار بحشد كبير في المنطقة العربية لحوض نهر ديالى باستثناء مصب النهر • وقد ساهم المواطنون الاكراد في هذه المنطقة ، مساهمة فعالة في الثورة ، ففي الرابع عشر من آب ثارت القبائل الكردية التي تقطن قرب قزل رباط ، وحررت هذه المدينة ، ثم زحفت على خانقين واضطرت المستعمرين الى الجلاء عنها • وفي الرابع والعشرين من آب استطاع الثوار الاكراد احتلال مدينة كفري • وهاجمت فرق الانصار مؤسسات شركة النفط الانكلو ـ فارسية المحتكرة في النفطخانة مرات عديدة •

لقد وجهت الثورة في حوض نهر ديالى ضربة قوية للمحتلين الانكليز ، ليس بسبب تعزيزها لقوى الثوار في المنطقة فحسب ، وانما لان الجيش البريطاني يعتمد على هذه المنطقة في تموين وحداته بالقسم الاكبر من المواد الغذائية • وعلى ذلك فقد أصبحت قوات الاحتلال بعد فقدان حوض نهر ديالى ، مهددة بالمجاعة • ومن جهة اخرى فقد تعرضت الوحدات البريطانية التي سحبت من ايران ، والمواقع العسكرية الموجودة في كردستان العراق الى هزائم منكرة ، ألحقتها بها قوى الثوار في الثاني عشر من آب بدأت الثورة في المناطق الممتدة غربي بغداد • فبينما كان المقدم (ليجمان) الضابط السياسي في منطقة الفرات الاعلى ، يجتمع

بالشيخ ضاري المحمود رئيس قبيلة الزوب[٦٧] قامت جماعة من أفراد القبيلة بمهاجمة الوحدات البريطانية ، ثم التحق بهم الشيخ مع حرسه ، وقد قتل ليجمان في المعركة من قبل (خميس) ابن الشيخ ضاري • وتابعت فصائل الثوار من قبيلة الزوب بقيادة الشيخ ضاري ، بمساعدة فصائل الاسناد التي ارسلت من الفرات الاوسط ، تطهير النطقة الممتدة بين دجلة والفرات من القوات البريطانية ، ونسف خط السكة الحديد الذي يربط بغداد بالفلوجة ، وفرضت الحصار على مدينة الفلوجة • وسرعان ما احتلت فصائل الثوار مدينة الرمادي التي تعتبر من المراكز السوقية الهامة في تلك المنطقة ، وواصلت زحفها الى هيت حيث احتلتها وطردت الضابط السياسي فيها • وهكذا فقد أصبحت منطقة أعالي الفرات بأكملها ، من الفلوجة حتى الحدود السورية في قبضة الثوار ، عدا مدينتي الرمادي والفلوجة المحاصرتين ، اللتين كان الوضع فيهما سيئا جدا بالنسبة للقوات الاستعمارية ، حيث وقف المواطنون الفقراء في هاتين المدينتين الى جانب

---

٦٧ ـ الشيخ ضاري المحمود ـ بطل من ابطال ثورة العشرين الوطنية التحررية ، ومن ابرز المساهمين فيها ، وعاهو لدود للسلطات البريطانية • فقد إمتنع عن التقدم بطلب العفو للقوات البريطانية ، بعد اندحار القوى الثائرة ، واستطاع الفرار من براثن المستعمرين ، وبقي ثماني سنوات متخفيا مع قبائل البدو • الا ان المخابرات البريطانية استطاعت القبض عليه عام ١٩٢٧ وتقديمه الى المحكمة لعسكرية ، حيث وجهت ليه تهمة قتل (ليجمان) وحكم بالاعدام في الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٢٨ عام ١٩٢٨ ، ثم خفف الحكم الى السجن المؤبد • وقد وافاه الاجل في الاول من شباط عام ١٩٢٨ ، حيث شيع بمظاهرة احتجاج صاخبة ، ضد السياسة البريطانية الاستعمارية ، إشترك فيها اهالي بغداد والقرى المحيطة بها • (انظر « تايمس » في ١٩٢٧/١١/١٥ ، ١٩٢٨/١/٤١ ، ١٩٢٨/٢/٢ •

الحسني ، تأريخ الوزارات العراقية ، ج(٢) ، ص ٤٩ـ٥٠ • البزاز ص ٣٧ •

الثوار ، وقدموا لهم كل ما في وسعهم من عون ومساعدة[٦٨] .

يعتبر تحرير مناطق الفرات الاعلى من سيطرة المحتلين الانكليز ، انتصارا ستراتيجيا جديدا للثورة ، فقد أشرف الثوار على الطريق الوحيدة التي تربط بغداد بالوحدات البريطانية المتبقية في الحلة ، وأصبحوا يهددون بقطع خط السكة الحديد الذي يربط شرقاط ببغداد ، على ان الانكليز استطاعوا عزل قوى الثورة عن منطقة قبائل الجزيرة التي خاضت قتالا مريرا ضد المستعمرين في كانون الاول ١٩١٩[٦٩] ، بالرغم مما بذله الشيخ علي سليمان زعيم تلك القبائل ، الذي يعتبر من الاعداء اللدودين للانكليز[٧٠] .

وقد عاود الثوار الاكراد نشاطهم في المناطق الجبلية ، حيث تمركزت فرق الانصار في زاخو والسليمانية ، واستمر قصف المواقع البريطانية والهجوم على الضباط السياسيين . كما أسهمت قبائل اورامار وسانكاو وديلو في السليمانية وحلبجة بقسط كبير في الثورة . على ان القتال في الشمال قد تقلص ، بعد أن تسلم الرائد (صون) حاكم السليمانية من بابكر آغا رئيس قبيلة بيشدر وحاشيته ، ومن بضع مئات من الافراد ، طلبا بالمساهمة مع الحكومة والجندرمة في حفظ (النظام)[٧١] أما في

٦٨ — الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج ١ ص ١٥١ .

٦٩ — امين سعيد ، المصدر السابق ، ج (٢) ، القسم الثاني ، ص ٦٧

٧٠ — Société des Nations, p. 4.

٧١ — "Journal of the Central Asian Society,", London, vol. XV, pt. III, pp. 266-268.

أربيل فان الضابط السياسي البريطاني هنالك ، لم يكن يجرأ على الظهور في شوارع المدينة الا بحراسة عدد كبير من الجنود[٧٢] • كما ان الوحدات المسلحة التي نظمها الانكليز لمحاربة القبائل الثائرة في سورجي ، رفضت الانصياع لاوامر الضباط الانكليز • ومنذ نهاية آب حتى أوائل ايلول ، كانت رحى المعارك مستمرة بين الثوار والانكليز ، وقد احتل الثوار على اثرها عددا من القرى في المنطقة الواقعة بين راوندوز وكفري[٧٣] • ولم تستطع اربيل الصمود في وجه الثوار ، الا بعد أن توافدت اليها وحدات مسلحة لخورشيد آغا ، رئيس قبيلة ديزان الموالي للانكليز[٧٤] ، على انه بالرغم من ذلك التأييد ، فان الرئيس (هاي) الضابط السياسي في المنطقة لم يستطع أن يحرك ساكنا • وقد كتب يقول: (منذ هذه اللحظة ، كانت سلطتي من الناحية العملية كضابط سياسي قد بلغت الصفر ، ولم يكن بوسعي أن أحتفظ بأي نفوذ ، لولا الخدمات الجليلة التي قدمها كل من خورشيد آغا وأحمد افندي « أحد الاثرياء العرب »)[٧٥] • لقد وضع المستعمرون المتاريس لمنع أي هجوم على الثكنات العسكرية ، وبدأت القوات البريطانية تشعر بثبات مركزها • وسرعان ما انقلب الوضع على عقبيه ، حيث ساد الرعب والهلع فصائل خورشيد آغا خشية هجوم الثوار ، وانقضت على مخازن الاسلحة

---

٧٢ ـ هاي ، ص ٢٩٧

٧٣ ـ المصدر السابق ، ص ٣١٣ـ٣١٩ ، « تايمس » في ٩/٦ ، ١٩٢٠/٩/١٠ •

٧٤ ـ هاي ، ص ف٣٢ـ٢٣٩

٧٥ ـ المصدر السابق ، ص ٣٢٦

وحطمتها . ونتيجة لتوتر الموقف ، وافقت سلطات بغداد على الجلاء عن اربيل . على ان جلاء القوات البريطانية لم يتم ، بسبب وصول امدادات عسكرية كبيرة من كركوك في اللحظات الاخيرة من بدء تنفيذ الجلاء[٧٦] .

كانت الثورة في تلك الاثناء ، قد اتسعت في المناطق الجنوبية لنهر الفرات الى حد كبير . فقد اضطر الضابط السياسي في الشطرة الى الهرب من المدينة في السابع والعشرين من آب ، وانسحبت القوات البريطانية من سوق الشيوخ في الاول من ايلول . وبذلك أصبحت فصائل الثوار تسيطر على المنطقة الممتدة من كوت الحي الى خط السكة الحديد الذي يصل أور ، حتى هور الحمّار . وامتد نشاط فصائل الانصار حتى شمل منطقة البصرة[٧٧] .

استمرت الثورة في عنفوانها واتساعها ، حيث سيطرت فصائل الثوار على جزء كبير من مساحة العراق . ولم يبق في قبضة المحتلين سوى بضع قواعد عسكرية تختلف في قوتها وموقفها ، وتتركز في بغداد والبصرة ، وعلى حوض نهر دجلة جنوبي شرقي البلاد ، وفي الموصل التي كانت ، في تلك الفترة ، منعزلة تماما عن بقية أنحاء البلاد . وأصبحت بغداد مطوقة بفصائل الثوار من جميع الجهات .

لقد استطاعت فصائل الانصار قطع سبل الاتصال بين المواقع البريطانية ، وعزلها عن بعضها ، في أحيان كثيرة . كما تعرضت خطوط

---

٧٦ ـ المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ، ٣٤٥ ، « تايمس » في ١٩٢٠/٩/٢٥ .

٧٧ ـ « تايمس » في ٩/٣ ، ٩/٢٧ ، ١٩٢٠/١٠/٢٠

السكة الحديد ، القريبة من الحلة وشرقاط الى هجمات الثوار ، وأصبحت غير صالحة للاستعمال • ولم يعد بوسع المستعمرين الاتصال بمنـــاطق كردستان والمناطق الاخرى في الشمال ، الا بواسطة الراديو والخطوط الجوية • أما في المناطق الجنوبية من البلاد ، فقد كانت هجمات الانصار المستمرة على خط السكة الحديد بين بغداد والناصرية ، مصدر متـاعب كثيرة للقوات البريطانية • ولم تستطع المواقع البريطانية في الحلةوالناصرية الاحتفاظ بهاتين المدينتين الا ببذل جهود كبيرة • وكانت مواقع الكوفـة والسماوة والفلوجة والرمادي المحاصرة ، وكذلك المدن الواقعة في أعالي دجلة ، عرضة لهجمات الثوار المتتابعة[٧٨] •

وقد كتب ايرلاند عن الوضع في أواسط العراق في تلك الفترة ، قائلا : « ان بغداد كانت محرومة من أي نوع من الخطوط الدفاعية ، زمنا طويلا »[٧٩] • أما الاحوال في المناطق الكردية ، فكانت تنبيء بوقوع ثورة واسعة النطاق بين فترة واخرى[٨٠] • لقد ازدادت الحالة سوءا في جميع المناطق المحتلة ، وأصبحت أنباء الثورة ترعب السلطات وتزيدها قلقا لتردي الموقف ، مما دفعهـــا الى تعزيز خطوطها الدفاعية ، حتى في المنطقة الممتدة من بغداد الى كوت الامارة على سواحل دجلة[٨١] •

كانت عمليات القوات البريطانية ، حتى نهاية آب ، مقتصرة على

---

٧٨ ــ ومثال ذلك ، انّ الثوار احتلوا سامراء من الساعة الثانيـــة بعد منتصف الليلحتى ظهيرة اليوم التالي « ديلي هيرالد » في٣/٩/١٩٢٠•

٧٩ ــ ايرلاند ، ص ٢٦٨

٨٠ ــ ويلسون المصدر السابق ، ص ٢٩٠

٨١ ــ « تايمس » في ٢٤/٩/١٩٢٠

الدفاع عن المواقع المحاصرة وتموينها بالذخيرة والمواد الاولية[٨٢] • وقد احيطت بغداد بخطوط دفاعية قوية ، استعدادا للدفاع عنها ضد أي هجوم متوقع • ووضعت القطارات وقوافل السيارات المتوجهة الى الحلة والناصرية وسامراء ، تحت حراسة عسكرية صارمة • وقد انتهت محاولة القوات المحتلة لفك الحصار عن السماوة ، بالفشل الذريع • اذ استطاع الثوار اغراق عدد من القوارب المسلحة التي هاجمت المدينة ، مما اضطر القطعات المهاجمة الى التقهقر في الثالث من ايلول ، بعد أن خسرت قطارا للبضائع وقطارين عسكريين • كما اغرقت عدة سفن وهي في طريقها الى الفلوجة •

كان تموين المواقع البريطانية يجري بمساعدة الطائرات ، وسط مخاطر كبيرة ، لان تلك الطائرات كانت تتعرض لنيران الثوار بصورة مستمرة[٨٣] • وكثيرا ما تقع الذخيرة والمؤن التي تلقيها تلك الطائرات بالمظلات الواقية ، في أيدي الثوار ، حيث لم يكن في حوزة القوات المحاصرة سوى بعض الابنية المبعثرة في المدن التي صمدت فيها •

لقد بذل المحتلون الانكليز أقصى ما في وسعهم ، للتأثير في معنويات الثوار ، واضعاف تصميمهم بالاستمرار في الحرب • حيث كانت السفن تنقل مئات المعتقلين والمنفيين من مختلف المناطق التي يسيطر عليها الانكليز ،

---

٨٢ ــ للحقيقة نذكر ان المحتلين قاموا بعدة عمليات هجومية في تلك الفترة ، ولكنهم لم يحصلوا منها على نتائج ملموسة (في الثاني عشر والثالث عشر من شهر آب عادوا الى احتلال المسيب والهندية ، قرب الحلة ، وفي الثلاثين من تموز ، احتلوا كفري في كردستان) ، الا انهم حتى تلك الحالات القليلة لم يستطيعوا الاحتفاظ الا ببعض النقاط بعد عناء كبير بينما كان الثوار يغطون جميع المناطق المحيطة بالمدن المحتلة من قبل الانكليز

المصدر السابق

٨٣ ــ ويلسون ، ص ٢٩٣ •

الى هندجام . وحكم بالموت على العشرات من خيرة أبناء الشعب العراقي ، حيث اعدم رميا بالرصاص في السابع عشر من آب ، ستة من المشتركين في فصائل الانصار في بغداد ، بعد أن أدانتهم المحكمة العسكرية الاستعمارية بتهم ملفقة[٨٤] . كما نكّلت السلطات البريطانية بزعماء الحركة الوطنية في الناصرية والديوانية وغيرهما من المدن[٨٥] .

وعندما لمس المستعمرون عدم امكانهم اخماد الثورة ، التجأوا الى شن حملات بربرية على المناطق الثائرة . ولم يرأف الغزاة ، خلال تلك الحملات ، بالنساء والاطفال والشيوخ . فقد دمروا عشرات القرى الآمنة نتيجة القصف الوحشي المستمر ، وأحرقوا مئات الهكتارات من مزارع القمح ، وذبحوا الالوف من المواشي ، وأشاعوا الخراب بالآثار المعمارية النفيسة في البلاد[٨٦] .

على ان جميع تلك الاجراءات لم تجد نفعا ، ولم تحقق الاهداف المرجوة منها ، اذ استمرت الاحوال العامة في البلاد سيئة جدا حتى أواسط ايلول .

وقد حاول ممثلو الحكومة في البرلمان البريطاني ، تصوير الثورة في بداية أحداثها على انها : مصاعب موقتة في نظام الاحتلال ، وانها لا تخرج عن اطار الغزوات الاعتيادية للبدو . على انهم اضطروا بعد ذلك الى الاعتراف بأن الحالة كانت مفجعة بالنسبة لهم ، فقد ساد الارتباك

---

٨٤ – عبدالرزاق الحسني – العراق في دورتي الاحتلال والانتداب ، ج (١) ، ص ٩٥ .

٨٥ – عبدالرحمن البزاز ، ص٢٩

٨٦ – فقد هدم المستعمرون مسجدا من اقدم المساجد في الكوفة ، كان قد بنى في المكان الذي قتل فيه الامام علي بن ابي طالب ، الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ١١٦ ، ١٤٢ .

السلطات البريطانية في المناطق المحتلة ، مما دفع المندوب السامي الى أن يقترح جلاء القوات البريطانية عن ولاية الموصل بعد وقت قصير من حوادث الرميثة[٨٧] . وعبّرت الاوساط الاستعمارية بشكل صريح عن شكوكها في امكانية اخضاع العراق لنظام الوصاية[٨٨] ، بسبب الخسائر التي منيت بها قوات الاحتلال ، ونتيجة لتصاعد النضال الوطني التحرري ، فقد تمكنت الثورة في العراق ، من توجيه ضربة قوية للامبراطورية البريطانية المتعفنة[٨٩] .

ازمة السياسة البريطانية في العراق

لقد استأثرت حوادث العراق باهتمام الرأي العام العالمي ، واستقبلت القوى التقدمية في العالم باعجاب ، أنباء النضال البطولي لثوار العراق . وتضمن البيان الذي أصدرته الاممية الشيوعية ، الذي دعي ب (نداء الى الجماهير الشعبية المستعبدة في بلاد فارس وارمينيا وتركيا) ، تضمن فصلا خاصا بالشعب العراقي ، حيث توجه الى فلاحي العراق قائلا : « يا فلاحي بلاد ما بين النهرين ، ان الانكليز قد أعلنوا عن استقلال بلادكم ، الا انه يوجد ثمانون ألفا من جنود الاحتلال على أرضكم ، يعملون فيكم سلبا وقتلا ، ويستبيحون أعراضكم »[٩٠] . وقد ضاعف هذا النداء من ثقة الشعب العراقي بالنصر ، وزاد من تصميمه على المضي في النضال من أجل

---

٨٧ – ايرلاند ، ص ٢٦١

٨٨ – بودرلي وهيرست ، ص ١٨٤

٨٩ – لقد كتبت بيل في الخامس من ايلول ، قائلة « ان نهاية الامبراطورية الرومانية ، تعتبر اقرب حدث تاريخي يقارن بوضعنا في الوقت الحاضر » .
= بيل ، ج (٢) ، ص (٤٩٨)

٩٠ – جريدة « البرافدا » في ١٩٢٠/٧/٣

تحرير بلاده • وقد وقّع النداء ممثلو الحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) باسم شعوب روسيا السوفيتية •

لقد أعلنت شعوب الدول الرازحة تحت نير الاستعمار ، خاصة منها الدول العربية والهند ، عن تضامنها مع الشعب العراقي في نضاله البطولي الذي يخوضه ضد المستعمرين • وعقد اجتماع للمغتربين العرب السوريين في الارجنتين ، تقرر فيه رفع احتجاج الى عصبة الامم ضد المحتلين الانكلو – فرنسيين ، عن المعاملة الوحشية التي يلقاها المواطنون في المناطق العربية في سوريا ولبنان وفلسطين وبلاد ما بين النهرين »[٩١]• وطالب المشتركون في الاجتماع بالجلاء العاجل للقوات الاجنبية عن هذه الدول ، ومنحها الاستقلال التام •

وسرت في الهند ، وفي أوساط الهنود القاطنين في انكلترا ، موجة من الاحتجاجات ضد استخدام القوات المسلحة الهندية في الحرب الاستعمارية في العراق[٩٢] • وعندما أعرب (كابورتال) عن استعداده لتقديم فصائل مشاة على حسابه الخاص للاشتراك في العمليات العسكرية ضد الجماهير الشعبية الثائرة في العراق ، ادانته المنظمات العماليه في الهند ، لان قراره يتناقض مع مصالح الشعب الهندي[٩٣] •

وقد واجهت الحكومة البريطانية متاعب كبيرة في نفس انكلترا ، نتيجة حرب الابادة التي شنتها ضد الشعب العراقي ، حيث اتسعت معارضة

---

٩١ – «ديلي هيرالد» في ٢٠ / ١١ / ١٩٢٠
٩٢ – مجلة « كومونست » في ١/١١/١٩٢٠
« ديلي هيرالد » في ٢٥/٨/١٩٢٠
٩٣ – « ديلي هيرالد » في /٩/١٩٢٠

الطبقة العاملة البريطانية للحرب الاستعمارية في العراق ، واقترن ذلك بنضال عمال انكلترا ضد مخططات الاستعماريين الانكليز لشن حرب ضد روسيا السوفيتية • ففي شهر آب عام ١٩٢٠ ، شكلت « لجان العمل » في جميع أنحاء البلاد ، تحت شعار : (ارفعوا أيديكم عن روسيا) •واجتاحت انكلترا موجة من الاضرابات احتجاجا على ارسال الاسلحة والذخيرة ، وغيرها من المؤونة الى جنرالات الحرس الابيض ، أعداء الشعوب السوفيتية •

على ان العقلية الشوفينية كانت لا تزال تسيطر على بعض أوساط الطبقة العاملة البريطانية حيث انها لم تع الروابط العضوية بين نضال شعوب المستعمرات من أجل استقلالها ، ونضال الطبقة العاملة في الدول الاستعمارية من أجل تحررها الاجتماعي(٩٤) • ولم تلبث أفكار الاممية ان بدأت تنمو تدريجيا في أوساط الطبقة العاملة البريطانية منذ ذلك الحين ، ويدل على ذلك مبادرة ممثلي الحزب الاشتراكي البريطاني ، ولجان المعامل والمصانع ، الى تنظيم حملة لجمع التواقيع على النداء الذي اتخذ في مؤتمر شعوب الشرق المنعقد في باكو في الرابع من ايلول عام ١٩٢٠ • وأبدت منظمات الطبقة العاملة استعدادها لتقديم كافة المساعدات للشعوب الخاضعة للنير الاستعماري ، من أجل تحررها(٩٥) •

كما ظهرت موجة من الاحتجاجات على سياسة بريطانيا في العراق ، في الصحف البرجوازية والليبرالية البريطانية • وطالب الزعماء اللبراليون بضغط من جماهير العمال ايقاف اراقة الدماء في العراق ، وهددوا بتنظيم

---

٩٤ ـ لقد امتنع ملاحوا احدى بواخر النقل البريطانية ، عن شحن البصرة

٩٥ ـ « البرافدا » في ١٩٢٠/١١/٣
« كومونست » في ١٩٢٠/٩/٦

المظاهرات احتجاجا على ذلك[٩٦] • وقد عبّرت الصحف اللبرالية عن الاشياء والسخط المتزايد لاوسع الجماهير الشعبية في انجلترا ضد الحرب الاستعمارية في العراق • وأظهرت الانتقادات التي روجتها الصحف البرجوازية ، عدم تأييد البرجوازية الاحتكارية لنتائج السياسة البريطانية في هذه البلاد • فقد ازدادت انتقادات الصحف البرجوازية للسياسة التي تتبعها الحكومة البريطانية في العراق • وكتبت التايمس اللندنية في مقال افتتاحي بهذا الصدد قائلة : انه « يجب أن يوضع حد لهذه الحماقة ، ويجب على الحكومة تغيير سياستها في الشرق الاوسط[٩٧] •

وطالبت الاحتكارات البريطانية اتخاذ التدابير السريعة لاقرار (السلم) و (النظام) الضروريين لاستغلال الشعب العراقي بشكل (طبيعي)[٩٨] •

على ان وقوف البرجوازية البريطانية ضد سياسة الحكومة في العراق ، لا يعني تخليها عن خططها الاستعمارية في هذه البلاد ، بل انها أصبحت مقتنعة بضرورة توخي المرونة والمناورة معا ، في تطبيق تلك السياسة الاستعمارية ، نتيجة للانتصارات التي أحرزها الثوار العراقيون • فقد استنتجت التايمس في وقت اشتداد الثورة ، في آب ١٩٢٠ ، دروسا وعبرا لاسباب فشل الاستعمار البريطاني في العراق ، وأوصت بعودة (بيرسي كوكس) المندوب السامي البريطاني في بغداد على أن يؤكد للشعب العراقي بقوله : « انني جئت لتأسيس دولة عربية مستقلة ، وأن ذلك رهن بوضع حد للحرب التي تحول دون التفاهم معكم والسعي

---

٩٦ – « ديلي هيرالد » في ٧/١٢ ، ٧/١٥ ، ١٩٢٠/٨/٣ وأعداد اخرى •

٩٧ – « تايمس » في ١٩٢٠/٨/٧.

٩٨ – « تايمس » في ٨/١٩ ، ١٩٢٠/٨/٢١.

الى تحريركم »[٩٩] .

لقد أصـــدر لورينس ، الذي يعتبر من أبـــرز مخططي السياسة البريطانية في الشرق الاوسط ، كتابا ممتعا عن أحداث العراق في تلك الفترة . اذ استفاد من تجربة المستعمرين الانكليز في الحرب العـــالمية الاولى ، عندما استطاعوا توجيه الحركة الوطنية للعـــرب في صالحهم ، واستخدامها لتحقيق أغراضهم الاجتماعية ، وذلك باصدار وعود ديماكوكية كاذبة عن الاستقلال المزعوم للدول العربية وقد أوصى بتنصيب شخص آخر في منصب المندوب السامي في العراق ، يكون بمقدوره تنفيذ برنامج سياسي جديد يتلخص ـ حسب رأي لورينس ـ بتشكيل حكومة محلية ، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في البـــلاد ، وتأسيس وحدات عسكرية محلية لتحل مكان القوات البريطانية والهندية المرابطة في العراق[١٠٠] . وقد كتب لورينس في (التايمس) قائلا : « انني واثق بأن تحقيق هـــذه الشروط سيضمن اخلاص العرب لنا ، كأي عضو آخر في الامبراطورية ، مع اننا لا ننظر اليهم بقدر سنت واحد من الاهمية »[١٠١] . كان هدف البرجوازية البريطانية ، في تأكيدها لتشكيل حكومة محلية في العراق ، القاء النفقات الباهضة التي تتحملها الحكومة البريطانية للاحتفاظ بسيادتها على العراق ، على عاتق الجماهير الشعبية في البلاد بصورة كاملة .

وقـــد اضطرت الحكومة البريطانية الى اتخـــاذ اجراءات من شأنها توسيع وتعزيز القاعدة الاجتماعية للاستعمار في العراق ، نتيجة للانتصارات الرائعة التي حققتها الثورة ضد المحتلين ، حيث لم تلجأ السلطات المحتلة

---

٩٩ ـ « تايمس » في ١٩٢٠/٨/٣٠

١٠٠ ـ « تايمس » في ١٩٢٠/٧/٢٣

« ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/٨/٩ .

١٠١ ـ « تايمس » في ١٩٢٠/٧/٢٣

قبل ذلك ، الى رشوة رؤساء الاقطاع والكومبرادور ، على نطاق واسع ، لكسبهم وشراء ضمائرهم ، ولجعلهم عملاء يدورون في فلك الاستعمار • كما اتجهت أيضا الى التقرب من الفئات القومية اليمينية ، التي دفعها الرعب من الحركة الشعبية الى الارتماء في أحضان المستعمرين والسعي لكسب ودهم ، ودعم سياستهم ، على الرغم من تظاهرهم بالوقوف على الحياد في المعترك السياسي • الا ان محاولات الانكليز ، ومناوراتهم لكسب الموقف في العراق ، وتثبيت سيادتهم على البلاد ، قد باءت جميعها بالفشل الذريع ، خاصة بالنسبة لقرارها بتشكيل الجمعية التأسيسية •

وقد كان طالب باشا ، بطل المسرحية ، التي أعدها المستعمرون لتنفيذ مخططاتهم الجديدة[١٠٢] • واستغل هذا عطف الشعب العراقي عليه ، بسبب اعتقاله ونفيه الى خارج العراق من قبل السلطات البريطانية ، وخرج وكأنه المدافع عن أهداف الشعب في الحرية والاستقلال • وعلق المستعمرون الانكليز آمالهم على طالب باشا ، للعلاقة الوثيقة التي تربطه بفئات القوميين العرب قبل الحرب الاولى ، وما عرف عنه من عداء للحكم التركي •

---

١٠٢ – ان طالب باشا الرفاعي ، هو ابن نقيب اشراف البصرة • تزعم في اوائل القرن العشرين احدى الكتل الاقطاعية في منطقة البصرة ، ، التي تعمل على اقامة امارة مستقلة • ومن اجل بلوغ هدفه ، فقد عزز علاقاته بالمغتربين من القوميين العرب ، خاصة مع « حزب اللامركزية» في القاهرة • وكان من اصدقائه السياسيين ، خزعل شيخ المحمرة ، الموالي للانكليز ، وعيسى ، شيخ البحرين • وفي بداية الحرب العالمية الاولى ، عرض طالب باشا تعاونه مع الانكليز ، مقابل تنصيبه اميرا على المناطق التي تحتلها القوات البريطانية • الا ان الانكليز رفضوا هذه الشروط ، وبادروا الى اعتقال طالب باشا • (انظر خيري امين العمري ، شخصيات عراقية ، ج (١) ، ص ٢٥_٢٤ ، لونكريك ص ٧٩ ، بريطانيا العظمى ، ص ٢)

بدأ طالب باشا نشاطـــه السياسي فور عودته الى البـلاد • وكانت أهدافه ، كما تحدث عنها بالتفصيل الى جريدة (الشرق) ، هي : حب الوطن وتحقيق سيادته وتقدمه ، الا انه من (الضروري !) بلوغ تلك الاهـــداف بالوسـائل السلمية ، وليس بالثورة الـــدموية ، والحماس الطائش[١٠٣] • وذهب الى حد انه وصف الثورة الوطنية الشاملة ضـد الاستعمار ، بأنها تمرد أثارته أهداف حاقدة ، ودوافع شخصية مغرضة • وقد استشهد طالب باشا بالوضـــع في سوريا ، حيث أخمد المستعمرون الفرنسيون ، مقاومة الحركة الوطنية بسيل من الدماء • ودعا زعماء الكتل الوطنيـــة الى (التعقل) و (الحذر) ، منوها الى احتمال حدوث تلك النتيجة في العراق أيضا •

وبموجب الخطة المرســومة بدأ طـــالب باشا نشاطه العملي ، اثر الحوادث التي وقعت عندئذ في بغداد • فقد أخذ على عاتقه مسؤولية خدمة السلطات البريطانية ، خاصة في تفريق الاجتماعات الوطنية[١٠٤] • وأهم ما قام به في هذا الصدد انه دسّ العناصر المؤيدة للانكليز ، والفئـــات الانهزامية من الاقطاعيين والكومبرادور ، في المظـــاهرات الوطنية • وفي السادس من آب عام ١٩٢٠ ، ترأس اللجنة التأسيسية ، التي تضم عددا من الشخصيات السياسية الرجعية ، من أعضاء البرلمان في عهد الامبراطورية

---

١٠٣ ــ خيري امين العمري ، جـ (١) ، ص (٣٥)•

١٠٤ ــ فيلبي ، ص ١٨٦

العثمانية[105] • وقد حاولت السلطات البريطانية بمساعدته ، توسيع قاعدة الجمعية • وتنفيذا لذلك اتخذت الجمعية قرارا في اجتماعها المنعقد في السابع من آب ، بالعمل على توثيق التعاون مع عدد من القادة القوميين المتنفذين ، من أعضاء وفد بغداد ، أمثال جعفر أبو التمن ويوسف السويدي ومحمد الصدر وعبدالرحمن الحيدري ، وادخالهم في عضوية اللجنة • الا ان هؤلاء جميعا ـ باستثناء الحيدري ـ رفضوا ذلك بحزم[106] •

لم تكن اللجنة التأسيسية سوى مجموعة من العملاء التافهين للسلطات البريطانية • ففي خضم الثورة ، التي شملت جميع أنحاء العراق ، واصرار الجماهير الشعبية بعدم الدخول في أي مفاوضات مع المحتلين ، لم تناقش اللجنة سوى قانون الانتخابات • وعندما تطرق ويلسون الى واجبات اللجنة ، لم يعط أي شيء ملموس بهذا الصدد ، واقتصر على دعوة اللجنة لدراسة بعض القوانين التركية التفصيلية الخاصة بالانتخاب ، خاصة فيما يتعلق باشتراط اجادة اللغة التركية بالنسبة للمرشحين لعضوية البرلمان[107] • وقد فشلت اللجنة في تحقيق الاهداف الواسعة التي توقعها المحتلون عند

١٠٥ ـ كانت هيئة تحرير جريدة « الشرق » من الكتل المؤيدة لطالب باشا واللجنة التأسيسية • فقد بدأت هذه الجريدة في الصدور في الثلاثين من آب عام ١٩٢٠ بادارة الفئات التي كانت في خدمة الانكليز اثناء الحرب (١٩١٤ـ١٩١٨) ، وتعتبر هذه الجريدة ، الصحيفة الوحيدة ، غير التابعة لحكومة الاحتلال ، والتي تؤيد بشكل مكشوف فرض الانتداب البريطاني على العراق • (انظر رفائيل بطي ، ص ٥٣ـ٥٤ ، خيري امين العمري ، ص ٣٥ •

١٠٦ ـ امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، ج (١) ، القسم الثاني ، ص ٥٣ـ٥٤ •

١٠٧ ـ المصدر السابق ، ص ٥٣

تأسيسها ، حيث عجزت عن جذب أي من الاحزاب السياسية التي لها نفوذ في البلاد ، كما لم تنجح في التخفيف من حقد الجماهير الشعبية ٠

ونتيجة للانتصارات الرائعة التي حققتها الثورة ، فقد ساد الرعب أوساط الاقطاعيين والكومبرادور ، ولم يجرؤ معظمهم على تأييد السلطة ٠ كما امتنع الكثيرون من أعداء الحركة الوطنية عن الافصاح عن محاباتهم للمستعمرين ، خوفا من انتقام أبناء الشعب ٠ وهرب الى خارج البلاد عدد من عملاء الانكليز المكشوفين(١٠٨) ٠ بينما بادر عدد من الاقطاعيين والتجار من المؤيدين للانكليز ، الى توطيد علاقاتهم بالثوار ، حماية لمصالحهم مما قد تتعرض اليه من أخطار في حالة هزيمة المحتلين ٠ ويذكر النقيب (هاي) الضابط السياسي البريطاني في اربيل ، على سبيل المثال ، ان أثرياء اربيل (باستثناء عدد ضئيل منهم) ، ممن حافظوا على اخلاصهم للسلطات البريطانية ، قد اضطروا ـ في نفس الوقت ـ الى اقامة علاقات طيبة مع القبائل الكردية الثائرة(١٠٩) ٠

لقد استطاعت السلطات البريطانية اقامة علاقات وطيدة مع فئات الاقطاعيين والكومبرادور ، التي وقفت ضد الثورة ، وعملت جهدها على منع انتشارها ٠ أما شيوخ الرمادي وأواسط دجلة ، فقد اقتصر نشاطهم على المحافظة على « استقرار » نسبي في مناطقهم بينما تركز نشاط القوميين اليمينيين في الموصل في منع تحوّل المظاهرات الجماهيرية في المدينة الى ثورة شاملة ضد المستعمرين(١١٠) ٠ وقد استغل الانكليز الخلافات الطائفية والدينية والقبلية لتحقيق أغراضهم(١١١) ٠ الا انه تأكد لهم

---

١٠٨ ـ فيلبي ، ص ١٥٧ ، ١٩٨ ٠
١٠٩ ـ هاي ، ص ٣٤٦
١١٠ ـ ايرلاند ، ص ٦٢ ٠
١١١ ـ ويلسون ، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ٠

استحالة ايجاد كتلة قوية من مؤيدي السياسة البريطانية ، والوصول بالبلاد الى حالة « الاستقرار » المنشود ، الا بالانتصار التام على الثوار . وقد تجلى الموقف في الرسائل المتبادلة بين ارنولد ويلسون والشيخ الاصفهاني خليفة الشيرازي ، المجتهد الاكبر في كربلا . فقد استغل ويلسون حادث وفاة الشيخ الشيرازي في الثامن عشر من آب ١٩٢٠ ، وبادر الى ارسال تعزية خاصة بهذه المناسبة الى خليفته ، في محاولة لارغام الثوار على الاستسلام . وطلب من الاصفهاني مساندة الحكومة البريطانية في محاولاتها للتوصل الى حل لايقاف الحرب ، وأكد مرة اخرى حسن نوايا الحكومة البريطانية في تحقيق المطالب الوطنية المشروعة للشعب العراقي . وهدد باستخدام أشد الاجراءات ضد الثوار الذين يصرون على مواصلة المقاومة المسلحة ضد السلطات البريطانية . وقد كتب ويلسون في رسالته ، انه يجري تفريغ بواخر محملة بالجنود والمدافع والقنابل والرشاشات وكل ما هو ضروري لمواصلة العمليات العسكرية ضد الثوار(١١٢) .

على ان الاصفهاني أكد لويلسون في رسالته الجوابية ، عدم قبوله لشروط الصلح التي عرضها ، وعدم استعداده التوسط لدى الثوار لالقاء سلاحهم(١١٣) . وأكد ان هدف المفاوضات غير واضح بالنسبة له ، وانه لا يعتقد بأن تلك المفاوضات ستنتهي بنتيجة مرضية(١١٤) . وذكر الاصفهاني في رسالته ، عدم موافقة قيادة الثورة على الدخول في أي مفاوضات مع المحتلين دون اتخاذ اجراءات عملية من شأنها خلق جو ملائم لتلك المباحثات .

---

١١٢ ــ امين سعيد ــ المصدر السابق ، ص ٧٥

١١٣ ــ المصدر السابق ، ص ٧٦ .

١١٤ ــ المصدر السابق ، ص ٧٧

كما ان محاولات الانكليز للوصول الى « تفاهم مشترك » مع قادة الفصائل الثائرة في منطقة ديالى ، قد باءت كلها بالفشل ، حيث أعلن الشيخ حبيب الخيزران ، زعيم قبيلة العزة ، ومن أبرز قادة الثوار ، أعلن في رسالة مفتوحة ، وجهها الى السلطات البريطانية ، ان مسألة احلال السلام والتفاهم المشترك لا يمكن تحقيقها الا باقرار المطالب القومية للعرب[١١٥] .
أما محمد باقر الشبيبي ، رئيس تحرير جريدة « الفرات » وعضو جمعية حرس الاستقلال المنحلة ، والذي يرتبط بأواصر وثيقة بقيادة الثورة ، خاصة منهم رجال الدين ، فقد كتب في احدى مقالاته قائلا : ان المباحثات لا يمكن أن تبدأ الا بتحقيق ثلاثة شروط وهي : ١ ـ جلاء القوات البريطانية عن العراق ٢ ـ عودة المنفيين الى البلاد ٣ ـ حضور ممثلي دول محايدة في المفاوضات المزمع عقدها بين الانكليز وقادة الثورة[١١٦] .

وقد بادرت سلطات الاحتلال الى تحقيق بعض مطالب الثوار سعيا منها لاقناع قيادة الثورة بجدوى ايقاف القتال ، وامكانية التفاهم ، حيث أطلقت سراح المعتقلين السياسيين في نهاية تموز ، من بينهم محمد رضا ابن الشيرازي الذي سبب اعتقاله غضب قادة الثورة[١١٧] . على ان تلك الاجراءات الجزئية لم تؤد الى أي نتائج ايجابيّة ولم تغيّر من موقف قيادة الثورة .

الوضع في المناطق المحررة ، وحالة المنظمات الثورية للفصائل المسلحة :

لقد عزمت الجماهير الشعبية في العراق ، على عدم القاء السلاح الا

---

١١٥ ـ رفائيل بطي ، ص ٥٧ .
١١٦ ـ المصدرالسابق ، ص٧٥ . مقالة نشرت في جريدة «الفرات» العدد الخامس ، في ٣ محرم سنة ١٣٣٩ هجرية (١٧ ايلول ١٩٢٠م) .
١١٧ ـ بريطانيا العظمى ، ص ١٤٥

بتحقيق النصر النهائي على العدو • وكانت على ثقة في ان العودة الى سلطة المحتلين ، تعني بالنسبة لهم : الاضطهاد العنصري والامتهان من قبل (المتحضرين) ، والخضوع للضرائب العالية ، وابتزاز الاموال • أما قبائل الفرات الاوسط ، التي تعتمد الزراعة ، فقد كانت تعلم ان عودة المحتلين ستعزز من سلطة الاقطاعيين ، وتسرع من اجراءات نزع ملكية القبيلة للارض لمصلحة الاقطاعي والبيروقراطية ، المحلية منها والاجنبية على حد سواء• وقد أصبحت القبائل الثائرة درعا حصينا للحركة الوطنية التحررية، خاصة بعد تمزيقها وحدات الجيش الانكلو ـ هندي المدربة •

ومع اصرار الجماهير الثائرة على الاستمرار في حرب التحرير حتى النهاية ، الا انه كانت هناك أسباب كثيرة تحول دون ذلك • فقد بقيت فئات البرجوازية الوطنية والمثقفين الثوريين ، المعروفة بمواقفها الثابتة ضد الاستعمار ، بعيدة عن معترك الثورة ، وعاجزة عن توجيه حوادثها • فلم يكن بين أوساط الثوار أي من قادة الكتل البرجوازية الوطنية في بغداد ، بمن فيهم الشخصيات البارزة أمثال جعفر أبو التمن ، وعلي البزركان ، وعارف حكمت ، وغيرهم • اذ اقتصر نشاط هؤلاء ، بصورة رئيسية ، على الدعاية لافكار التحرر الوطني ، في الصحف والمنشورات التي كانوا يصدرونها في النجف • ومن أهم تلك الصحف جريدة (الفرات) التي كان يصدرها باقر الشبيبي ، أحد مؤسسي جمعية (حرس الاستقلال) ، ومن أبرز قادتها • وجريدة (الاستقلال) التي أسسها محمد عبدالحسين بعد هروبه من بغداد الى منطقة الفرات الاوسط(١١٨) • وقد كانت جريدة (الفرات) المتحدث الرسمي لقيادة الثورة • وأهم ما نشرته ، فتاوى وخطب رجال الدين ، وتصريحات قادة

١١٨ ـ رفائيل بطي ، ص ٧٦

الثورة البارزين ، وزعماء القبائل ، ومقتطفات من أحداث ثورة •• وما الى ذلك • الا ان ما واجهته تلك الصحف من صعوبات تكنيكية ، وقلة كميات الورق المتوفرة لديها ، قد حالت دون صدورها بشكل دوري منتظم • اذ صدر العدد الاول من جريدة (الفرات) في الخامس عشر من ايلول ١٩٢٠ ، وتوقفت عن الصدور بعد خمسة أعداد فقط • أما جريدة (الاستقلال) فقد بدأ صدورها في الثالث من تشرين أول من تلك السنة ، وتوقفت بعد صدور ثمانية أعداد منها[١١٩] • ومن ذلك يظهر ان النشاط الدعائي للقوميين البرجوازيين لم يتخذ أبعاداً واسعة في المعركة ضد الاستعمار •

كانت القيادة الفعلية للثورة ، تتكون في معظمها من الفلاحين ، وقد تولاها عنهم رؤساء القبائل وشيوخها ورجال الدين • على انه تسرب الى قيادة الثورة ، عدد كبير من العناصر المترددة • مما كان له أثر كبير على الاوضاع التي سادت المناطق المحررة • اذ لم تتخذ اجراءات ضد الاقطاعيين الذين تخلفوا عن الثورة ، وعرفوا بمواقفهم الانهزامية تجاه المحتلين • وبالرغم من توفر معلومات عن بعض الاجراءات ضد الفئات المؤيدة للسلطات البريطانية بشكل سافر ، كما حدث في منطقة الدغارة ، عندما هاجم أفراد قبيلة (العكرة) ، حرس الشيخ علوان جهالي أحد رؤساء قبيلة البو زياد ، المعروف بموالاته للمحتلين ، وأردوه قتيلا[١٢٠] • وجرى حادث مماثل في أوائل تشرين الثاني في منطقة الحلة ، حيث حطم الثوار طابية أحد الشيوخ الذين رفضوا تقديم المساعدة اليهم[١٢١] • الا ان تلك الحوادث

---

١١٩ ــ أمين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٧٣
رفائيل بطي ، ص ٦ ، ٧٩

١٢٠ ــ الحسني ــ المصدر السابق ، ج (١) ، ص (١٣٧) •

١٢١ ــ « تايمس » في ١٩٢٠/١٠/٢٢

كانت فردية ومنعزلة عن بعضها ، ولم تمثل اتجاها عاما في جميع المناطق التي يسيطر عليها الثوار •

لم تكن لدى الاقطاعيين من قادة الثورة ، رغبـــة في قطع علاقاتهم بالفئات المؤيدة للانكليز ، والتي لم تقف على الحياد الا خشية من الثوار ، وكانت بمثابة (الرتل الخامس) بالنسبة للثورة ، لما أحدثته من اضعاف لروح المقاومة في المناطق المحررة ، فضلا عن احتفاظها بعلاقات وطيـــدة بالسلطات البريطانية ، وقيامها بالتجسس والعمالة لمصلحتها • وقد امتازت تلك الفئات بالقوة والنفوذ حتى في مركز قيادة الثورة • وهذا ما أدى الى بقـــاء ممثلي الادارة المدنية السابقـــة في النجف(١٢٢) • كما استطاعت السلطات البريطانية أن تبعث بأحد عملائها الى النجف بصفة طبيب لاسرى الحرب • وقد حصل هذا من قادة الثورة على حق الاتصال ببغداد في أي وقت يشاء(١٢٣) • ويلاحظ ان بعض الشيوخ الذين انضموا الى الثورة ، كانوا قد احتفظوا بعلاقاتهم السابقة بالحاميات المحاصرة(١٢٤) •

وقد تهيأ لعملاء الانكليز ، في بعض الاماكن ، أن يرتقوا الى قيـادة الثورة ، وأن يفلحوا في تجميد نشاطات بعض الثوار عمليا • ففي مدينة مندلي ، انتقلت السلطة منذ بداية الثورة الى أيدي فئات اقطاعية يتزعمها الياس آغا نقيب الاشراف في المدينة ، الذي يلتقي مع طالب باشا في آرائه

---

١٢٢ ــ كان المندوب البريطاني في النجف آغا حميد خـان ، مـــن من اقرباء آغا خان •

ويلسون المصدر السابق ، ص ٢٩٨

١٢٣ ــ « تايمس » في ١٩٢٠/٨/٩

١٢٤ ــ وبهذا الصدد نذكر هذه الحقيقة : ان الانكليز اضطروا في سبيل فك الحصار عن حاميتهم الموجودة في النجف ، المحاصرة من قبـــل الثوار ، الى القاء اكياس مملوءة بالنقود بواسطة الطائرات على عملائهم ، لضمان تعاونهم مع الحامية المحاصرة •

السياسية . فقد استلم هذا مقاليد الامور في المـــدينة ، وأخذ يستعمل صلاحيات الضابط السياسي بصورة مباشرة . وبذلت اللجنـة الحكوميـة التي شكلها الياس آغا ، جهودا كبيرة لمنع مشاركة سكان مندلي في القتال ضد المحتلين . وقد كتب ايرلاند ، ممتدحا هذه اللجنة ، بقوله : « ومع كونها لا تملك تجربة كافية ، الا انها نجحت في المحافظة على النظـــام والقانون »[١٢٥] .

أما في السليمانية ، فقد كان الشيخ عبدالقادر زعيم قبيلة سافكاو الثائرة ، قد استغل هزيمة الشيخ محمد البرزنجي ، واستولى على مشاجب الاسلحة والاموال التي جمعها الانكليز كضرائب من المواطنين[١٢٦] . على انه كان قد وعد (ليس) الضابط السياسي البريطاني ، أثناء مباحثاته معه ، بأن ما سيتخذه من اجراءات انما يهدف بالاساس الى منع الثوار من الاستيلاء على مشاجب الاسلحة ، وانه سيعيد جميع الاسلحة التي يستولي عليها الى السلطات البريطانية . وقد توصل الشيخ عبدالقادر و (ليس) الى اتفاق بتنصيبه رئيسا اداريا (حكمدارا) في المنطقة التي تقطنها قبيلته ، مقابل التزامه بالمحافظة على (الاستقرار) في المنطقة ، كما حصل على عفو من السلطات البريطانية نتيجة اشتراكه في انتفاضة عام ١٩١٩[١٢٧] .

لقد نشط عملاء المخابرات البريطانية في منطقة شط الحي (المنتفك) ، حيث يقطن كبار شيوخ القبائل ، وعلى رأسهم خيون العبيد . فقد ســاند الكثير من هؤلاء (بيرترام توماس) الضابط السياسي البريطاني ضـــد الثوار ، وتوطدت عرى التعاون بينهم وبينه بعد اندلاع الثورة ، مما دفـع

١٢٥ ـ ايرلاند ، ص ٢٧٠

١٢٦ ـ « مجلة الجمعية الآسيوية المركزية » ١٩٢٨ المجلد الخامس عشر العدد الثالث ، ص ٦ ٢ .

١٢٧ ـ المصدر السابق ، ص ٦٧

بيرترام توماس الى أن يقرر قبل هروبه من المـدينة منح خيون العبيد صلاحيات رئيس الوحدة الادارية في الشطرة ، وقام الشيخ خيون وأنصاره، مقابل ذلك ، بايصال توماس الى الطائرة التي ارسلت خصيصا لاجـلاء الموظفين الانكليز في المنطقة(١٢٨) . وقد بقي خيون وحواريّوه في مراكزهم بعد تحرير المنطقة من قبل الثوار . وكان ذلك سببا مهما في عرقلة مسيرة الثورة .

لقد تركز اهتمام قيادة الثورة في حفظ (الأمن) و (الاستقرار) في البلاد ، مما أضعف احتمالات النصر ضد المحتلين(١٢٩) .

وبالرغم من اصرار قبائل المنتفك على مواصلة القتال حتى النصر ، فان شيوخ هذه المنطقة ، حافظوا على ولائهم للسلطات البريطانية(١٣٠) ، وبذلك فقد فشلت خطط الوطنيين في المعارك التي دارت قرب الناصرية ، وأحبط الشيوخ جميع المحاولات التي تهدف الى تشديد القتـال ضـد المستعمرين . فقد أمر شيخ الشطرة (لعله خيون العبيد) بطرد اثنـين من الشيوخ ، ممن عرفوا بمعاداتهم للمستعمرين ، واصرارهم على النضال ضدهم(١٣١) .

على ان أكبر ضربة تلقتها قوى الثورة ، في المناطق المحررة ، كانت بسبب الخلافات القبلية التي أثارها عملاء الانكليز . فقد ازدادت حـدة الخلافات بين القبائل في منطقة المنتفك ، مما أدى الى نشوب معارك دموية بينها ، الذي سبب اضعاف تلك القبائل ، وعجزها عن مواصلة القتـال

---

١٢٨ ـ توماس ، ص ١٠٩ـ١١٠.
١٢٩ ـ الحسني ، المصدر السابق ، ج(١) ، ص ١٥٢ .
١٣٠ ـ لونكريك ، ص ١٢٤
١٣١ ـ « تايمس » في ٢٢/١٠/١٩٢٠

ضد المحتلين(١٣٢) .

وقد أدت سياسة (فرق تسد) التي اتبعها المحتلون ابان الثورة ، الى دعم النشاط المحموم المؤيد للمستعمرين ، الذي أبداه زعماء القبائل في منطقة دجلة الوسطى ، خاصة منهم رؤساء قبائل (بني لام) . الذين سرعان ما استطاعوا توريط قبائلهم في خصومات مع قبـائل المنتفك ، مما حوّل المنطقة الممتدة من المنتفك حتى شط الحي الى حاجز منيع لوقف انتشار الثورة الى المناطق الواقعة في أواسط دجلة شرقي البلاد .

كما استغل المستعمرون الخلافات القبلية والدينية بين قبائل البادية السورية والدليم وامارة عنزة وشمر ، وبين قبـائل الفرات الاوسـط والجزيرة ، مما أدى الى عدم وقوف عدد من تلك القبـائل الى جانب الثورة . واستطاع عملاء الانكليز ، احداث صدامات دموية بين القبـائل في منطقة (الهندية) ، التي تعتبر قلب الثورة(١٣٣) ، وكذلك في منطقة (سوق الشيوخ)(١٣٤) . كما تهيـأ للمخابرات البريطانية اثارة قبيلة (كالخور) ضد الثوار من قبيلة (ديلو) في منطقة كردستان(١٣٥) . وقد انبرت جماعات من قبيلة (كالخور) بقيادة رؤساء القبيلة ، للدفاع عن مؤسسات شركة النفط الانكلو ـ ايرانية في منطقة النفطخانة ، بينما تزعم عملاء الانكليز ، من رؤساء قبائل (سنجاب) ، حملة ضد قبيلة (ديلو) الثائرة(١٣٦) .

---

١٣٢ ـ « تايمس » في ١٨/٩/١٩٢٠
١٣٣ ـ « تايمس » في ٢٣/٨/١٩٢٠
١٣٤ ـ « تايمس » في ٢٥/٩/١٩٢٠
١٣٥ ـ امين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٦٩
١٣٦ ـ « تايمس » في ٣١/٨ ، ١/٩/١٩٢٠
ايرلاند ، ص ٢٧

على ان أهم الجوانب السلبية في الثورة ، هو عدم وجود أي علاقة تقريبا ، بين الثوار العراقيين من جهة ، والحركة الوطنية التحررية في الدول المستعمرة ، والقوى الديمقراطية في العالم من جهة أخرى[١٣٧]. وقد بادر قادة الفئات الوطنية ، قبل الثورة الى الاتصال بالدول العربية الاخرى، خاصة منها الحجاز وسوريا ، لتنسيق نشاطها معها ، حيث ارسل الى مكة ودمشق ، في ربيع ١٩١٩ ، وفد يمثل الشيخ محمد رضا الشبيبي ، الذي عرف بسعيه لايجاد وحدة وطنية من الكتل والمنظمات المعادية للاستعمار في العراق ، والعمل على تنسيق أعمالها مع المنظمات الوطنية السورية ومع حكومتي الحجاز وسوريا[١٣٨] • الا ان هذا الوفد فشل في تحقيق هدفه، اذ اضطر الى العودة الى العراق بعد هزيمة القوات السورية في معركة ميسلون •

وقد انقطعت العلاقات المباشرة بين الوطنيين في العراق والحجاز • أما حكام الحجاز فانهم وقفوا من ثورة العشرين في العراق ، موقفا حياديا يتسم بالحذر[١٣٩] • فقد صمتت جريدة (القبلة) الناطقة باسم حكومة الحجاز ، صمتا مطبقا تجاه أحداث الثورة •

واستمر التعاون بين الجماهير الشعبية في سوريا والعراق ، وكذلك بين المنظمات الوطنية التي ظهرت ابان الحكم التركي وأثناء انتفاضة دير الزور[١٤٠] • على ان ذلك التعاون كان ضيقا جدا ، ولم يشمل مجالات

---

١٣٧ ـ « تايمس » في ٩/٢١ ، ١٩٢٠/٩/٢٥

١٣٨ ـ امين سعيد ، المصدر السابق ج (١) ، القسم الثاني ، ص ٣٠ ـ ٣١ •

١٣٩ ـ انظر المصدر السابق ، ج (٣) ص ٣ـ٤ •

١٤٠ ـ ومثال على الروابط بين الثوار العراقيين وبقية الدول العربية ان جريدة (الفرات) التي تصدر في منطقة الثورة ، كانت ترسل الى الحجاز وسوريا (انظر : رفائيل بطي ، ٦٤) •

واسعة • وقد اضمحل كثيرا بعد احتلال القوات المسلحة الفرنسية لسوريا (في تموز ١٩٢٠) ، حيث لم يشترك في الثورة العراقية سوى عدد قليل من المهاجرين السوريين ، خاصة منهم البدو السوريون الذين يقطنون قرب الحدود العراقية •

وما عدا ذلك فلم تكن للثوار في العراق ، علاقة بالدول الاخرى ، حتى ان مؤتمر شعوب الشرق الذي انعقد في باكو في ايلول عام ١٩٢٠ لم يضم أي ممثل عن ثوار العراق • ولم يحضر المؤتمر سوى ثلاثة مندوبين عرب وثمانية أكراد[١٤١] ، واثنين عن الاتراك القاطنين في روسيا •

كما ان الاتصالات بين المناطق المحررة ، كانت هي الاخرى ، ضعيفة جدا • فبالرغم من وقوع أكثر من نصف مساحة العراق في أيدي الثوار ، ورفع شعار استقلال البلاد ، فانه لم يتحقق من ذلك شيء ، ولم يتخذ أي اجراء بتشكيل جهاز لسلطة ثورية عليا تضم جميع القوى الثورية والوطنية في المناطق المحررة •

ومع تشكيل (الهيئة الدينية العليا) برئاسة الشيخ الاصفهاني ، التي تعتبر أعلى سلطة في المناطق الثائرة ، وتضم زعماء رجال الدين والشخصيات البارزة في النجف[١٤٢] • الا ان نفوذ هذه الهيئة قد اقتصر على بعض

---

١٤١ ــ « الازفستيا » في ١٩٢٠/٩/٢١

١٤٢ ــ أمين سعيد ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٧١ ــ ٧٢ •

يعتبر الشيخ الاصفهاني ، خليفة للشيرازي المجتهد الاكبر الذي توفى في الثامن عشر من آب عام ١٩٢٠ •

المناطق دون غيرها(١٤٣) •

لقد اقتصر نشاط (الهيئة الدينية العليا) على خلق ايديولوجية ثابتة للحركة الثورية(١٤٤) • حيث أصدر بعض رجال الدين البارزين فتاوى ونداءات ، نشر قسم منها في الصحف التي يصدرها الثوار ، وتتلخص جميعها في الدعاية للثورة ، والعمل على تصعيدها •

كانت الهيئة الدينية تشرف على أجهزة الادارة الذاتية في النجف ، أما المناطق المحررة الاخرى فكانت تديرها مجالس ادارية وقبلية من الشيوخ كما كانت الحال في كربلا وبعقوبة وشهربان ودلتاوة والشطرة • ومن صلاحيات هذه المجالس جمع الضرائب والرسوم المحلية وادارة الشؤون المتعلقة بالمرافق العامة والامور الصحية في المدينة • كما شكلت في كل حارة في النجف هيئات للادارة الذاتية ، أشبه ما تكون بحكومة محلية • ويضم المجلس البلدي في المدينة عددا من الوجهاء بزعامة الشيخ جواد الجواهري • وكانت للمجلس دائرة خاصة بالمالية باشراف التاجر النجفي عبدالمحسن الشلش ، تشاركه في ذلك لجنة تنفيذية خاصة • كما جندت في المدينة فصائل من الجندرمة المحلية التي اختصت بأعمال الحراسة(١٤٥) • وكان نور عزيز الياسري ، قائممقام النجف قد ركز

---

١٤٣ ــ ويلسون المصدر السابق ص ٢٨٥ ، ٢٨٦
« تايمس » في ١٩٢٠/٨/٣١

١٤٤ ــ لقد الحق « مكتب الدعاية والاخبار » الذي اسسته قيادة الثورة باللجنة الدينية العليا للعلماء ، ومهمته اصدار البلاغات العسكرية عن العمليات الحربية التي يقوم بها الثوار (رفائيل بطي ، ص ٧٥ ، ٧٦) •

١٤٥ ــ أمين سعيد ، المصدر السابق ، ج (٢) القسم الثاني ، ص ٧١ •

معظم السلطات الادارية في قبضته[١٤٦] • أما ادارة شؤون المعتقلين الانكليز الذين جلبوا الى النجف بعد معركة الرستمية فقد كانت بيد لجنة مستقلة شكلت لهذا الغرض[١٤٧] •

وفي كربلا كانت الادارة المحلية باشراف (المجلس الاعلى) و (المجلس الملي) • وكان المجلس الاعلى يشرف على نشاط المجلس الملي ، الذي يعتبر الجهاز الاداري في المدينة • وقد تقلد تقي الشيرازي ، رئاسة كلا المجلسين حتى وفاته • ولعب الزعيم القبلي الكبير محسن أبو طبيخ متصرف كربلا ، دورا كبيرا في ادارة المدينة •

أما في الديوانية فقد كان (المجلس الاداري البلدي) ، الذي يضم بعض التجار والملاكين ، يشرف على ادارة المدينة[١٤٨] •

على ان الكثير من المدن الاخرى التي يسيطر عليها الثوار ، كانت تفتقر الى الهيئات الادارية التي تنظم شؤونها[١٤٩] ، حيث كانت الادارة محصورة بأيدي زعماء القبائل المحلية •

وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها المنظمات الدينية وشيوخ القبائل و (حرس الاستقلال) و (لجان الثورة) ، لجمع شمل القوى الوطنية ، الا أنَّ تلك الجهود لم تحقق نتائج ملموسة في هذا المجال •

كانت القوى المسلحة في المناطق التي يسيطر عليها الثوار تقاسي

---

١٤٦ ـ رفائيل بطي ، ص ٧٥ ، ٧٦ •

١٤٧ ـ أمين سعيد ، المصدر السابق ، جـ (٢) القسم الثاني ، ص ٧١ •

١٤٨ ـ المصدر السابق ، ص ٧٢ •
الحسني ، المصدر السابق ، جـ (١) ص ١٦٦ •

١٤٩ ـ الحسني ، المصدر السابق ، جـ(١) ، ص ١٦٦ •

أوضاعا صعبة جدا ، نتيجة وجود عدد من الشيوخ المؤيدين للانكليز في قيادة الثورة • كما كان قادة الفصائل الثورية يمتنعون عن مواصلة القتال ، خشية الحاق هزيمة بهم ، قد تؤدي الى معاقبتهم من قبل المستعمرين ومصادرة أموالهم وأراضيهم •

وقد حالت الخصومات بين قادة الثورة أنفسهم ، دون الوصول الى وحدة القيادة العسكرية • فبالرغم من عقد عدد من المؤتمرات التي تضم زعماء القبائل وفصائل الانصار ، الا ان تلك المؤتمرات لم تستطع تنظيم رقابة لتنفيذ مقرراتها • على ان بعض القادة الذين خاضوا القتال في جبهات ثانوية ، استطاعوا تنسيق نشاط الثوار في مناطقهم وتحقيق انتصارات رائعة على العدو ، أمثال علوان الياسري وعبدالواحد سكر ، اللذين قادا عمليات الثوار في المنطقة الواقعة بين الهندية وكربلا • وكاطع العوادي الذي نظم حصار الحلو ، وعلوان السعدون ، قائد الفصائل المسلحة في قبيلة بني حسن ، التي طوقت الكوفة(١٥٠) • وتولى محمد الصدر ، الرئيس السابق لجمعية (حرس الاستقلال) ، قيادة الثوار في المنطقة الواقعة الى الشمال الغربي من دلتاوة • بينما أشرف الشيخ ضاري المحمد ، على عمليات الثوار في منطقة بعقوبة ، في أشد مراحل القتال ، حيث تفرقت فصائل الثورة عن بعضها ، وانقطعت سبل الاتصال فيما بينها(١٥١) •

لم يكن في وسع الثوار حشد العدد المناسب من قواتهم في الجبهات المهمة ، وذلك لان تلك القوات لم تتركز عدديا بأكثر من خمسة آلاف

---

١٥٠ ـ أمين سعيد ، المصدر السابق ، (١) ، ص ١١٤ •
١٥١ ـ ويلسون المصدر السابق ص ٢٩٤ •

مقاتل تحت قيادة واحدة في أي وقت من الاوقات[١٥٢] • على ان الفصائل الثائرة كانت تقاتل بضراوة بالقرب من مناطقها ، وتمكن بعضها أن ينتشر الى المناطق المجاورة على بعد (٥٠-٧٠) كم عن مواطنها ، بعد أن بذلت جهودا كبيرة • وجدير بالذكر ان الفصائل المسلحة لقبـــائل الشاميـــة ، استطاعت أن تنتقل الى المواقع الامامية في الحلة والهندية ، بينما انتقلت قبائل السماوة الى الرميثة ، كما توجهت وحدات مكونة من (٧٠٠) محارب من الفرات الاوسط الى بغداد[١٥٣] •

كانت معظم الفصائل الثائرة ، تتوقف عن القتال بعد قيامها بتحرير مناطقها مباشرة • أما قبائل الدغارة وعفك فان معظمها لم يشترك في القتال، بعد أن انتقلت المعارك الى مناطق الناصرية والحلة • وكان الثوار الذين اشتركوا في القتال بصورة مستمرة ، مضطرين الى العودة لارضهم بـين وقت وآخر ، لانجاز الاعمال الضرورية التي تتطلبها الزراعة •

لقد كان جيش الثورة ضعيفا فيفعالياته لحرمانه منالقيادة الستراتيجية الفعلية • ومع وجود عدد من الضباط الاكفاء فيه ، الا انهم لم يكونوا قد تعرفوا على التكنيك العسكري الحديث ، الذي لم يكن مستعملا فيالوحدات

---

١٥٢ - « تايمس » في ١٩٢٠/٨/٢٤

لقد فرضت معظم الفصائل المحاربة للثوار ، الحصار على الحاميات البريطانية ، المجهزة بعدد كبير من الجنود • ففي حصار حامية الكوفة التي يتراوح عدد جنودها ١٠٠ - ٢٠٠ محارب اشترك معظم افراد قبيلة بني حسن ، التي تعد من اكبر القبائل •

١٥٣ - أمين سعيد ، المصدر السابق ، ج (٢) القسم الثاني ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ •

الحسني، المصدر السابق ، ج (١) ، ص ١١١ ، ١٣٠ - ١٣١ ، ١٤٥ •

التركية التي خدموا فيها سابقا[١٥٤] • وكانت الفصائل العسكرية التي شكلت أثناء الثورة ، على أساس القبيلة أو المنطقة ، لا تجيد سوى تكتيك غارات الانصار المباغتة ، وتنظيم الحصار • ومع ان الثوار كانوا قد أقاموا الخطوط الدفاعية ، وعزلوا الخنادق عن بعضها ، الا انهم كثيرا ما كانوا يبادرون بالتراجع قبل البدء بالهجوم على القوات العسكرية المتراصة للعدو • ومن الامثلة التي تكشف عن عدم دراية الثوار بالعمليات الحربية تحت قيادة موحدة ، حالة الاستيلاء على الحلة في الثلاثين من تموز ، اذ انه بالرغم من وضع الخطة ومناقشتها من قبل مؤتمر الشيوخ ، فان الشيخ گاطع العوادي لم يستطع توحيد الفصائل التي الحقت به ، حيث بدأت الفصائل المقاتلة لقبائل بني حسن وآل ياسر وغيرها بالهجوم على المدينة من الجهة الغربية ، في الوقت المتفق عليه ، ولكنها لم تحصل على مساندة من الفصائل الاخرى التي كان يجب أن تهاجم المدينة من الجنوب والجنوب الغربي • وعندما بدأ هجوم الجبهة الثانية على الخطوط الدفاعية للانكليز بعد ساعة ونصف من القتال ، كانت فصائل بني حسن وآل ياسر قد باشرت بالانسحاب في هذا الوقت[١٥٥] •

كانت مسألة تسليح جيش الثورة وتمويله بالذخيرة ، من أهم المشاكل التي واجهتها الثورة ، خاصة في بدايتها • فقد بدأت الفصائل الثائرة القتال وهي لا تملك سوى أسلحة بالية ، قديمة • وتتحدث المصادر الانكليزية على ان من بين (١٣٠-١٣٥) ألف من رجال الثورة ، كان (١٦) ألف منهم فقط يمتلك أسلحة حديثة ، و(٤٣) ألف يمتلك أسلحة قديمة[١٥٦]،

١٥٤ ـ الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ص ١٢٢ •
«ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/١١/١١
١٥٥ ـ الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ص ١٣١ •
١٥٦ ـ « تايمس » في ١٩٢١/٨/٦ •

أما بقيـــة الثوار فكانوا مزودين بالسلاح الابيض فقط[١٥٧] • على ان الثوار تمكنوا من الاستيلاء على كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة اثر الانتصارات الرائعة التي أحرزوها على العدو ، بضمنها عشرات المـدافع والمدافع الرشاشة[١٥٨] • الا ان مشكلة تموين الفصائل الثائرة بالذخيرة الحربية بقيت دون حل ، يدل على ذلك ، ما جاء في احدى أدبيات الثورة ، التي كان يصـــدرها محمد باقر الشبيبي ، حيث اعطيت مسألة العنـــاية بالذخيرة ، بما فيها الخراطيش أهمية قصوى من بين المشاكل التي تواجه الثوار ، وذلك بسبب عدم استفادتهم من الغنائم التي استولوا عليهـــا ، بشكل مجد ، لتعقد استعمالها • فقد استخدموا المدافع والمدافع الرشاشــة والقنابل اليدوية ، الا ان معظم الاسلحة التي استولى عليهـــا بقيت دون استعمال • وفي أثناء قصف الكوفة والسماوة المحاصرتين بالمدافع الرشاشة، لم يكن الثوار على اطلاع بقواعد حرب المدفعية ، وشروط الرمي المنحني • كما كانوا يجهلون كيفية تسديد المدافع الحديثة لاهدافها[١٥٩] •

وقد أنفق القوميون العراقيون ، القاطنون في سوريا ، مبالغ طائلة لتمويل الدعاية ضد المحتلين في العراق ، الا انهم رفضوا تقـــديم العون المادي للثورة بعد نشوبها ، فقد التقى علوان الياسري ومحمد الشهرستاني وغيرهما من رجال الثورة ، بعبدالرزاق الحسني في الثلاثينات وأكدوا له ان الثوار لم يتلقوا أي مساعدة من سوريا أو من الحجاز ، ولا من أي

١٥٧ ــ وعلى سبيل المثال ، كان معظم الثوار الذين هاجموا مدينة شهربان ، وتمكنوا من احتلالها ، لا يملكون سوى الخناجر والســكاكين سلاحا لهم (تايمس) في ٥/٢٥ ، ١٩٢١/٥/٢٨) •

١٥٨ ــ أمين سعيد ، المصدر السابق ، ج(٢) القسم الثاني ، ص ٧٣ •

١٥٩ ــ هاملتون ، ص ٣٣

دولة اخرى ، بل انهم لم يحصلوا شيئا من العون حتى من بغداد ، ولم تصل اليهم سوى مبالغ قليلة من النجف ومن بعض رؤساء القبائل • وفيما عدا ذلك اعتمد الثوار على الضرائب المحلية في بعض مناطق الثورة[١٦٠]• على ان هذه المبالغ لم تكن كافية لتغطية جميع متطلبات الثورة • وازدادت مسألة تموين الثوار أهمية بحلول فصل الخريف ، فقد ذكرت جريدة (الاستقلال) ، ان الثوار لم يكونوا يملكون ما يقيهم برد الشتاء وأمطاره[١٦١] • واستمر جيش الثورة على هذه الحال ، حتى بدأ الانكليز هجومهم المضاد •

بداية العمليات الهجومية الواسعة للجيش البريطاني

اتجه المحتلون الانكليز الى تشديد القتال ضد الثوار ، بعد أن فشلت جميع المحاولات السلمية لاخضاعهم • فقد وصلت العراق امدادات عسكرية تبلغ عشرة أفواج من المشاة من انكلترا والهند في نهاية آب عام ١٩٢٠[١٦٢] ، واستدعي جميع الضباط والجنود المجازين للعودة الى وحداتهم ، وعبئت القوات العسكرية العاملة في الجبهة ، بعد أن طعمت بعدد من الضباط من ذوي النزعات الشوفينية ، وبالمتطوعين الانكليز[١٦٣]•

---

١٦٠ ـ الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ص١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ •

١٦١ ـ رفائيل بطي ، ص ٧٧ •

١٦٢ ـ فقد غادر البصرة اول قطار عسكري في السادس من آب عام ١٩٢٠

« تايمس » في ١٢٩٢٠/٨/١٣ •

١٦٣ ـ « ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/٨/٢١ •

فقد ارسل الى العراق الشخصية (ذائعة الصيت) كلوب باشا ، ألذي اصبح فيما بعد قائدا للجيش العربي الاردني آذار عام ١٩٥٦ •

جي • بي • كلوب ، قصة الفيلق العربي ، لندن ١٩٤٨ •

وبذلك بلغ عدد الجنود والضباط في جيش الاحتلال ثلاثين ألف رجل • كما ارسلت على وجـــه السرعة ، وحدات ميكانيكية كبـــيرة وقطعـات جوية[١٦٤] • واستقدمت بالاضافة الى ذلك ، وحدات انكلو ـ هندية ، كانت ترابط في ايران •

وجه المحتلون ضـربتهم الاولى الى منطقة الثوار في ديالى ، بسبب أهميتها السوقية والاقتصادية البالغة ، ولانهـــا كانت تمثل نقطة ضعف بالنسبة للمناطق الثائرة الاخرى[١٦٥] • فقد كانت ديالى منعزلة تقريبـا عن بقية مناطق الثورة ، خاصة منها منطقـــة الفرات الاوســط ، حصن الثورة ، بالاضافة الى انعدام التنسيق في العمليات الحربية التي تقوم بهـا فصائل الثوار الصغيرة ، المبعثرة هناك ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان احتلال منطقة ديالى ، يعتبر ذا أهمية سياسية كبيرة بالنسبة للانكليز ، حيث تنتشر في هذه المنطقة اقطاعيات تعود لاثرياء بغداد ، مما يجعل مسألة كسب تأييد هؤلاء للمستعمرين الانكليز ، رهن بتأمين (استقرار) تلك المنطقة •

بدأ هجوم قوات الاحتلال على ديالى في نهـــاية آب ، فقد ارسلت فرقة الجنرال (كونينكيم) الرابعة والثـــلاثين من منطقة الحلة لتعزيز الوحدات العسكرية الموجودة في تلك المنطقة[١٦٦] ، وانضمت اليهـــا الوحدات العسكرية التي جلبت من شمال غربي ايران الى خانقين •

---

١٦٤ ـ ديلي هيرالد في ٩/١٣ ، ١١/١٧ ، ١٩٢٠/١١/٢٤
فان لودر ، ص ٩٥
ايرلاند ، ص ٢٧٢
١٦٥ ـ ان اهمية ديـالى تبـدو في الطـريق الســـتراتيجي الذي
١٦٦ ـ « ديلى هيرالد » في ١٩٢٠/٩/١١ •

على انه بالرغم من الظروف المواتيــة التي حالفت المحتلين ، فان قواتهم لم تبلغ النصر الا بعد أن تكبدت خسائر فادحة ، فقد دافع الثوار بضراوة عن كل مدينة وكل خط دفاعي ، وأظهروا بطولات رائعــة في قتالهم مع المستعمرين على مشارف شهربان ، وفي موقعة أبي جسرة التي استمرت ساعات طويلة •

على ان قوى الثوار لم تكن متكافئــة مع جيوش الاحتلال ، فبينما كانت فصائلهم الصغيرة المبعثرة تتفرق الواحدة تلو الاخرى ، فان قوات العدو كانت تتعزز باستمرار ، بوصول امدادات عسكرية من بغداد • وفي السابع والعشرين من آب ، دخل المحتلون بعقوبة ، واحتلوا قزل رباط في السادس من ايلول ، وفي الثامن منه احتلوا شهربان • وسرعان ما التقى جناحا القوات البريطانية ، القادمان من الشرق والغرب • واقيمت مراكز للحراسة على طول خط السكة الحديد بين بغداد وخانقين • وبذلك فقد انشطرت قوى الثوار في منطقة ديالى الى قسمين • وتمكنت وحدات الجيش البريطاني ، التي يقدر عددها بخمسة عشر ألف رجل[١٦٧] أن تحصل على مواقع حصينة تستطيع أن تنطلق منها للقيام بعمليات عسكرية جديـدة ضد الثوار • وبادرت بحشد قواتها على امتداد خط السكة الحديد ، تمهيداً للبدء بعملية (تطهير) المناطق الزراعية المتبقية بأيدي الثوار • وشرعت وحدات المشاة والمدفعية تساندها الطائرات ، بالهجوم على القرى الآمنة ونهبها ، ثم حرقها عن آخرها • وتوجهت قوات ضخمة من بعقوبة لاحتلال دلتاوة ، الا انها واجهت أثناء زحفهــا ، مقاومة عنيفة من قبـل الثوار ، الذين بادروا الى نسف السدود واحراق المنطقة[١٦٨] ، وعرقلوا

١٦٧ ـ « تايمس » في ١٩٢٠/٩/١١ •

١٦٨ ـ « ديلي هيرالد » في ١٩٢٠/٩/٣٠ •

بذلك تقدم قوات الاحتلال الى المدينة • ولم يستطع الانكليز احتلال المدينة الا في الرابع والعشرين من ايلول ، بعد قتال مرير •• واضطر محمد الصدر الذي كان قائدا لفصائل الثوار ، على التراجع مع قسم من الثوار الى سامراء ، حيث استمر في المقاومة في تلك المنطقة(١٦٩) •

في خضم المعارك التي دارت بين الثوار وقوات الاحتلال ، ظهرت خيانة بعض قادة الثورة ، وكانت سببا في الانتكاسات التي منوا بها في معاركهم مع العدو • ففي أثناء الاستيلاء على شهربان من قبل المحتلين ، بعث الشيخ حامد التماسا الى الانكليز ، الذين أحاطوا منزله ، طالبا منهم حمايته ، لقاء تعهده بالتوقف عن مقاومتهم(١٧٠) • ولم يكن هذا الحادث الوحيد من نوعه ، فمنذ الخامس عشر من ايلول ، بدأت (علاقات صداقة) بين السلطات البريطانية ، وعدد من الشيوخ(١٧١) • وفي أوائل تشرين الثاني ، استسلم كبار الشيوخ في منطقة ديالى (باستثناء شيخ قبيلة بني تميم) • وتقدم أربعون شيخا يمثلون أربعة عشر قبيلة في أواسط تشرين الثاني ، بوثيقة الاستسلام الرسمية ، الى السلطات البريطانية(١٧٢) • وقد جاء في هذه الوثيقة : « ••• ورغبة من الشيوخ ، في أن يسود النظام المنطقة ، والعيش بسلام ، في ظل حكومة تعمل تحت الانتداب البريطاني ، فانهم يتقدمون بهذه الوثيقة باسمهم وباسم قبائلهم ، دليلا على قبولهم الصلح بالشروط التالية • ويتعهدون بعدم القيام بأي عمل عسكري ضد الحكومة ، والامتناع عن الاعتداء على أموالها • ودفع جميع الضرائب ،

---

١٦٩ ـ « تايمس » في ٨/١٠/١٩٢٠ •
١٧٠ ـ « تايمس » في ٣١ـ٥ـ١٩٢٠ •
١٧١ ـ « تايمس » في ٢٥/٩/١٩٢٠ •
١٧٢ ـ « تايمس » في ١٧/٩ ، ٢٥/٩ ، ٢/١٠ ، ٤/١٠ ، ٨/١٠/١٩٢٠ •

وتسليم الخيول والاسلحة والذخيرة التي في حوزنهم والعائدة لها • كما يلتزمون بدفع التعويض عن جميع الممتلكات التي استولت عليها القبائل ، والتي لم يكن بالامكان اعادتها قبل ذلك ، وعن أعمال التخريب التي لحقت بخطوط السكة الحديد والابنية وغيرها من أموال الدولة •••»[١٧٣]• وقد تعهد المحتلون من جانبهم بالتوقف عن تنظيم الحملات العسكرية ضد القبائل ، وتنفيذ شروط الهدنة • ولذلك فقد انصرف الاقطاعيون في منطقة ديالى ، بعد الهزائم التي لحقت بهم ، الى مخرج للازمة ، باعلانهم الاستسلام ، والاعتراف بالانتداب البريطاني على العراق[١٧٤] •

لقد وجهت تلك الاتفاقية ضربة ماحقة لقوى الثورة ، في جميع أنحاء العراق • فبعد أن استسلم شيوخ ديالى ، استطاع المحتلون الانكليز نقل قسم كبير من قواتهم المسلحة الى مناطق اخرى ، لا زالت رحى المعارك تدور فيها • كما ان استسلام شيوخ ديالى قد أخل بميزان القوى لصالح المحتلين في جميع الجبهات ، وخاصة في كردستان ، حيث اضطر شيوخ القبائل الكردية الثائرة ، الى انهاء القتال بالوسائل السلمية • وعقد زعماء قبيلتي خوشناو وگبردي ، مباحثات مع الضابط السياسي البريطاني ، عرضوا فيها احلال السلام بموجب شروط التعويض عن الخسائر التي لحقت بالسلطات البريطانية[١٧٥] • وعلى أثرهم ، دخل الشيخ عبدالله ، زعيم قبيلة سورجي ، في مفاوضات مع الانكليز ، بشرط البقاء في مركزه كزعيم للقبيلة ، وتعهد من جانبه الامتناع عن مقاومة قوات العدو[١٧٦] •

---

١٧٣ – « تايمس » في ١٩٢٠/١٠/١٩ •

١٧٤ – فقد نشرت جريدة « الشرق » العراقية ، المؤيدة لطالب باشا ، عدة عرائض لرؤساء قبائل ديالى ، اعلنوا فيها عن تأييدهم لبقاء الانتداب او الحماية البريطانية على العراق (رفائيل بطي ، ص ٥٤) •

١٧٥ – هاي ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٩–٣٤١ •

١٧٦ – المصدر السابق ، ص ٣٤١ •

وجــرت مباحثات مشابهة مع شــيوخ القبــائل في منــاطق كركوك والسليمانية(١٧٧) .

بعد أن سيطر الانكليز على منطقة ديالى ، تحولوا بأنظارهم الى المناطق الاخرى . ففي الثالث من ايلول تحركت الفرقة التابعة للجنرال سيندرسون ، من بغداد متجهة الى الفلوجة بمحاذاة خط السكة الحديد . الا انهــا اصطدمت ، أثناء زحفها ، بمقاومة عنيفة من قبل الثوار بقيادة الشيخ ضاري المحمود ، ولم تستطع احراز أي نصر الا بعد وصول امدادات جديدة(١٧٨) . وفي الحادي والعشــرين من ايلول تمكنت من احتــلال (خان نقطة) ، وهاجمت قلعة الشيخ ضاري ونسفتها بالمدفعية الثقيلة ، وقطعت الماء من الحقول والقرى التابعة لقبيلته ، وأضرمت فيها النيران(١٧٩) . وفي الرابع والعشرين من ايلول ، وصل الفلوجة قطار عسكري ، بحماية رتل من المشاة ، وبوشر باحتلال المدينة . وفي السادس والعشرين من هــذا الشهر ، فكت قوات الاحتلال الحصار الذي ضربه الثوار على الرمادي ، واتجهت بعد ذلك الى الشمال ، حيث احتلت هيت في الرابع من تشرين الاول . واقيمت خطوط دفاعية منيعة في منطقة ديالى ودجلة ، وحــول خطوط السكة الحديد في المناطق بين الفلوجة وبغداد ، وبغداد والحلــة وعلى نهر الفرات بين الفلوجة والمسيب . وقد أدت الثغرة التي أحدثها المحتلون في الفلوجة ، واقامتهم الخطوط الدفاعية قرب منــاطق الثوار ، أدت الى شطر قوى الثورة التي تمتد من الناصرية حتى حدود سوريا الى قسمين : الاول يضم الفصائل الثائرة التي اتجهت نحو الشمال . والثاني

---

١٧٧ ــ « تايمس » في ١٩٢٠/٩/١٧ .

١٧٨ ــ هاي ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٧ .

١٧٩ ــ امين سعيد ، المصدر الســابق ، ج (٢) ، القســم الثاني ، ص ٧٠ .

يضم الفصائل الثائرة الموجودة في الفرات الاوسط •

وقد اضطر زعماء القبائل الثائرة ، تجاه هذا الوضع الى القيام بالانسحاب • واستسلم ثلاثة شيوخ من قبيلة الزوب أثناء المعارك التيدارت قرب (خان نقطة) • وعلى أثرهم بادر خمسة من زعماء القبائل في منطقة الرمادي الى القاء أسلحتهم واعلان استسلامهم لقوات المحتلة[١٨٠] • وبعد فشل المقاومة في المناطق القريبة من بغداد ، عمل المحتلون في تلك المناطق ارهابا دمويا لا مثيل له • فقد أعدموا الثوار الذين وقعوا في أسرهم ، دون تحقيق أو محاكمة[١٨١] ، ونهبوا القرى والارياف والحقول ، وأشعلوا فيها الحرائق • وبعد أن فرضوا سيطرتهم على المناطق القريبة من بغداد ، حشدوا قواتهم استعدادا للهجوم على منطقة الفرات الاوسط ، قلب الثورة •

في نهاية تشرين الاول ، وأوائل تشرين الثاني ، بدأت القوات البريطانية تؤيدها وحدات جلبت من المناطق التي انتهى فيها القتال ، بتنفيذ عملية عسكرية لضرب الثورة في الفرات الاوسط • فقد باشرت الحشود العسكرية في الحلة والناصرية وأور بعمليات (تطهير) في ضواحي هذه المدن ، من الثوار المتمركزين هناك • وبدأت الفرقة الخامسة والخمسون عملية عسكرية على مواقع الثوار شمالي الحلة ، بينما قامت الطائرات والقوات العسكرية السريعة ، بمسح عام للمنطقة الواقعة جنوبي تلك المدينة[١٨٢] • وبدأ العمل باصلاح خط السكة الحديد الذي ضربه الثوار على امتداد خط أور ـ سماوة •

---

١٨٠ ـ « تايمس » في ٩/١٧ ، ١٩٢٠/٩/٢٨ •

١٨١ ـ امين سعيد ، المصدر السابق ، ج ٢ القسم الثاني ، ص٧٠ •

١٨٢ ـ « تايمس » في ٩/٢٧ ، ٩/٢٨ ، ١٩٢٠/١٠/٢٢ •

تقدّمت الحشود العسكرية من منطقة أور ، مخترقة منطقة الثوار ، وبعد معارك ضارية دامت أكثر من ثلاثة أسابيع ، استطاعت الاقتراب من السماوة ، وفي الثالث عشر من تشرين الاول اشتبكت مع الثوار على مشارف السماوة ، في معارك عنيفة لم يسبق لها مثيل منذ احتلالهم للعراق • ولم تستطع القضاء على مقاومة الثوار الذين يبلغ عددهم خمسة آلاف مقاتل ، الا بعد أن تكبدت خسائر فادحة في الاموال والارواح • على ان تلك الوحدات لم تستطع مواصلة تقدمها بسبب المقاومة العنيفة التي أبداها الثوار قرب الجسر الذي يربط ضفتي الفرات في منطقة الامام عبدالله • واقتصرت العمليات العسكرية لهذه الوحدات على المعارك الدفاعية ضد الثوار ، الذين كانوا يشنون الغارات على منطقة السماوة باستمرار ، والمحافظة على خطوط السكة الحديد ، وتعزيز خطوط التحصينات الدفاعية ، وعمليات المسح في المناطق المحيطة بالفرات قرب الخضر •

وفي تلك الفترة ، كانت تدور رحى المعارك الضارية في منطقة الحلة • ففي الثاني عشر من تشرين الثاني ، هاجمت وحدات من الفرقة الثالثة والخمسين مدينة طويريج الواقعة على الفرات ، مواجهة الثوار المتحصنين في الخنادق • وتحت غطاء من قصف المدفعية ، قامت باجتياز ثلاثة خطوط دفاعية للثوار محصنة بالخنادق والحواجز • على أن القتال استمر متأججا في تلك المناطق ، فقد دافع الثوار بشجاعة عن كل شارع وكل بيت ، ولم يجلوا عن طويريج الا بعد أن جاءت نيران المدافع على الجزء الاكبر من المدينة(١٨٣) •

١٨٣ — امين سعيد المصدر السابق ، ج (٢) ، القسم الثاني ، ص ٧٨ ، « تايمس » في ١٨/١٠/١٢٠ •

وقد واصل المحتلون زحفهم حتى بلغوا ضواحي كربلا • الا ان الثوار في هذه المدينة كانوا قد عقدوا العزم على الاستمرار في المقاومة حتى آخر فرد فيهم • وبعد فرض الحصار على المدينة ، أخذت قوات الاحتلال تواجه صعوبات كبيرة أثناء الحصار ، بسبب وجود حشود ضخمة من الثوار في المدينة والمناطق المجاورة لها • على ان وجهاء كربلا ورجال الدين فيها ، اضطروا الى البدء بمفاوضات مع الانكليز بغية الوصول الى حل سلمي ، حيث أرسلوا وفدا لهذا الغرض الى قيادة الفرقة الثالثة والخمسين البريطانية ، صادق على وثيقة التسليم في الخامس عشر من تشرين ثاني(١٨٤) •

أما الفرقة الخامسة والخمسون ، والوحدات التي ألحقت بها ، فقد تحركت في السادس من تشرين الاول باتجاه الكفل والكوفة والنجف(١٨٥) • وفي التاسع عشر منه وصل الكوفة وفد مكون من رجال الدين والتجار في النجف ، ووقعوا على وثيقة استسلام المدينة دون قيد أو شرط ، وأسرعوا بتسليم المعتقلين الانكليز ، الذين اسروا في موقعة الرستمية وغيرها من المعارك وعيّن محافظ بريطاني في النجف •

وعلى اثر احتلال النجف انسحبت الغالبية العظمى من الثوار ، بقيادة

---

١٨٤ ـ لقد الزم المستعمرون ، سكان كربلا تحقيق الشروط التالية : ١ ـ تسليم سبعة عشر من ابرز الشخصيات في الحركة الوطنية ، من مواليد كربلاء ، ٢ ـ تسليم اربعة آلاف بندقية مع مئات الخراطيش مع كل بندقية ، او تعويض نقدي مناسب ، خلال ثلاثة ايام ، ٣ ـ دفع الضرائب المتأخرة ، ودفع تعويضات عن الاضرار التي لحقت بالحكومة ، ٤ ـ الخضوع التام للحكومة ٥ ـ تسليم اللاجئين القادمين من المناطق الثائرة • وقد حقق شخصيات المدينة ما التزموا به من تبعات • (امين سعيد ، المصدر السابق ، ج (٢) القسم الثاني ، ص ٧٨ ـ ٧٩ •

١٨٥ ـ « تايمس » في ١٢/١٠/١٩٢٠ •

بعض زعماء الثورة[١٨٦] ، الى مناطق الاهوار والاراضي القاحلة قرب الشامية ، كما استطاعوا الاحتفاظ بالمساحة الممتدة من منطقة الامام عبدالله حتى الجنوب الشرقي لمدينة الحلة ، بالاضافة الى مناطق شط الحي وسوق الشيوخ والدغارة التي بقيت صامدة في وجه القوات البريطانية • وقد أقام الثوار التحصينات الدفاعية في الطرق التي يتوقعون مرور القوات البريطانية فيها ، المؤدية الى الشامية والديوانية والرميثة •

على ان نشاط الثوار في تلك الفترة ، اقتصر بشكل عام على العمليات الدفاعية ، حيث كان آخر هجوم واسع لهم على مدينة الكوفة ليلة الثالث والعشرين الى الرابع والعشرين من تشرين الثاني •

لقد قامت الطائرات البريطانية بمسح مناطق الثوار ، وقصف حشودهم ، وضرب المدن والقرى الآمنة • وفي أثناء ذلك تهيأت القوات البرية البريطانية للهجوم على حشود الثوار المتمركزين في مناطق الديوانية والرميثة والشامية •

تشكيل [الحكومة المؤقتة] وانتهاء القتال

واصلت القوات البريطانية غاراتها الانتقامية ضد السكان الآمنين ، في محاولة لاحلال (السلام) و (الاستقرار) في البلاد ، بالحديد والنار • وقد حاول (بيرسي كوكس) الاداري الاستعماري المخضرم ، تكوين قاعدة اجتماعية للمستعمرين ، من الاقطاعيين والكمبرادور • وأعلن عن سياسته بعد أن وصل بغداد مباشرة ، في الحادي عشر من تشرين الاول ، وتوليه منصب المندوب السامي البريطاني ، قائلا ان الحكومة

١٨٦ ـ على ان معظم كبار الشيوخ في النجف وغيرها من المناطق ، اعلنوا استسلامهم ، اثناء تقدم القوات البريطانية انظر : «تايمس» في ١٩٢٠/١٠/٨ •

البريطانية قد بعثته من أجل الاتفاق مع الشخصيات البارزة والواعية في العراق ، للمساعدة على تأسيس دولة عربية مستقلة تحت اشراف الحكومة البريطانية • وعبّر عن أمله في الوصول الى الهدف المنشود مؤكدا ان جهوده في هذا المجال لن يكتب لها النجاح ما دامت الثورة مستمرة(١٨٧) •

وقد كشف المندوب السامي البريطاني في خطابه ، انه حتى لو صدق في سعيه لتحقيق مطالب الشعب العراقي ، فان الحكومة البريطانية لا ترغب بالمرة في التنازل عن مطامعها الاستعمارية في ابقاء العراق تحت الانتداب مباشرة • وقد أعلن برسي كوكس في احدى خطبه قائلا ان الاستقلال لا يمكن فهمه كاستقلال بدون انتداب(١٨٨) • وفي هذا الخطاب ربط برسي كوكس ، مرة اخرى ، بين مسألة تشكيل الحكومة الوطنية و (تأمين الاستقرار) التام في البلاد • وأعلن انه قد آن الاوان لتشكيل جهاز دولة موقت ، حتى في استمرار القتال في البلاد • وأكد على انه يرغب في تأليف حكومة وطنية موقتة ، أما الحكومة الدائمة فستؤلف بعد استتباب الامن في البلاد(١٨٩) •

لم يكن قرار السلطات البريطانية بتشكيل الحكومة العراقية ، الا نتيجة للمقاومة المستمرة التي أبدتها الجماهير الشعبية في العراق للنظام الاستعماري • وقد اضطر المحتلون الى اتخاذ هذا القرار تحت ضغط الحركة الثورية في العراق ، والرأي العام البريطاني ، الذي أعلن استياءه لاستمرار الحرب الاستعمارية الدموية ، الباهضة التكاليف • على انهم لم يكونوا يهدفون من ذلك سوى تثبيت سيادة بريطانيا على العراق •

---

١٨٧ ــ امين سعيد ، المصدر السابق ، ج (٢) ، القسم الثاني، ص ٩٣ •

١٨٨ ــ المصدر السابق •

١٨٩ ــ ايضا •

كان الهدف من تشكيل (الحكومة الموقتة) ، اقناع البرجوازيين والاقطاعيين انه لا يمكن تحقيق مطالب الشعب العراقي الا بواسطة تلك الهيئة ، ومن جهة اخرى ، فان المستعمرين أرادوا بتأسيس (الحكومة الموقتة) ، توحيد العناصر المؤيدة لهم من الاقطاعيين والكومبرادور •

وقد صدر قانون بتأسيس (الحكومة الموقتة) في الرابع والعشرين من تشرين الاول ، وكان هدفه الحفاظ على السيادة البريطانية في العراق، مع انه نص على تشكيل عدد من الوزارات ، ذات استقلال شكلي • ومما يؤكد عدم جدية المستعمرين الانكليز في تأسيس الحكومة الموقتة ، انهم لم يعيروا أهمية لتأسيس وزارة للخارجية ، حتى في تلك الصورة الشكلية• وقد عين في كل وزارة مستشار من الضباط والموظفين الانكليز ، يملك نفس الصلاحيات التي للوزير • فكان للمستشار أن يحضر اجتماعات المجلس الاداري ، الذي أطلقت عليه السلطات البريطانية رسما اسم (الحكومة الموقتة) ، وتدقيق الكتب الرسمية والتعليمات التي يصدرها الوزير ••• الخ • وتخضع جميع القرارات التي تتخذها الوزارات أو المجلس الاداري نفسه ، لتصديق المندوب السامي البريطاني ، الذي له حق الاعتراض المطلق (الفيتو) بالنسبة لتلك القرارات • كما ان القوانين التي تصدرها الحكومة الموقتة ، لا تعتبر نافذة الا بعد مصادقة المندوب السامي ، الذي له الحق في تعديلها • واسندت الى المندوب السامي أيضا صلاحيات المحكمة العليا ، وكذلك النظر في الخلافات التي تنشأ بين الوزراء ومستشاريهم[١٩٠] • وقد تضمن قرار تشكيل (الحكومة الموقتة) وعدا بتوسيع صلاحياتها بعد فترة مناسبة ، ودعوة الجمعية العمومية لتشريع القانون الاساسي (الدستور) ومن ثم تشكيل الحكومة الدائمة •

---

١٩٠ ـ الحسيني ، تاريخ الوزارات العراقية ، جـ (١) ، ص ١١ـ١٤

في تلك الاثناء ، بادرت السلطات البريطانية ، الى اجراء مباحثات هامة مع قادة الجناح اليميني ، من القوميين اليمينيين والاقطاعيين • كما قام برسي كوكس بجولة في معظم المناطق الخاضعة للاحتلال ، لغرض احلال (التفاهم) بين المواطنين والسلطات البريطانية • أما زعماء الكتل الاقطاعية ، والكومبرادور ، فقد ازدادوا ثقة بأنفسهم ، ورحبوا بالمقترحات البريطانية بعد أن لمسوا الخسائر الفادحة التي تكبدها الثوار[١٩١] • كما هلل العهديون لما أعلنه بيرسي كوكس عن الحكومة الموقتة ، واكتفوا بالمطالبة بحرية الصحافة ، وأيدت ذلك أيضا ، جريدة الاستقلال (التي بدأت تصدر في بغداد في الثامن والعشرين من ايلول[١٩٢] • وكان أهم ما نشرته الصحافة العراقية عندئذ ، الدفاع عن حق العراق في الاستقلال ، واهليته لذلك • وقد ارتبط محررو الصحف بعلاقات وثيقة مع برسي كوكس بعد وصوله الى العراق مباشرة • وأصبحوا دعاة لافكاره وآرائه السياسية ، واستغلوا قرار تشكيل الحكومة الموقتة بالثناء والترحيب • وقد كسبت جريدة (الاستقلال) رضا المحتلين وقابلوا ما تكتبه برحابة صدر ، فأفسحت بذلك مجالا لا بأس به لحرية الصحافة[١٩٣] •

بدأ المحتلون بتطبيق خطتهم باحلال (التفاهم) مع الاطراف السياسية ، في أواسط تشرين الاول • على ان تلك المهمة لم تكن أمرا يسيرا بالنسبة لهم ، بالرغم مما أحرزته جيوشهم من (انتصارات) على قوى الثورة • فمنذ أن تولى طالب باشا رئاسة (الحكومة الموقتة) ، وقفت

---

١٩١ — ايرلاند ، ص ٢٧٨ ،
بودلي وهيرست ، ص ١٩٠–١٩٣ •
Société des Nations, P. 3.
١٩٢ — رفائيل بطي ، ص ٥٩ •
١٩٣ — المصدر السابق ، ص ٦٠ •

كيرترود بيل ، رئيسة المخابرات البريطانية في العراق ، وعدد آخـر من الموظفين الانكليز البارزين ، ضد ترشيحه لهذا المنصب[١٩٤] ، وذلك بسبب كـره الشعب العراقي له ، لعدائه المكشوف للحركة الوطنيـة التحررية ، وللديمقراطية • وكان طالب باشا قد استغل ، ضعف السلطات المحلية ، في عهد السيادة التركية ، فأغرق البصرة بموجة من الارهاب الدموي والاغتيالات ، مما أثار بذلك سخط المواطنين واستيائهم[١٩٥] •

وكانت السلطات البريطانية على علم بمركز طـالب باشا ، ولكنها أملت الاستفادة من نفوذه الكبير على كبار الاقطاعيين في جنوب العراق ، خاصة في منطقة البصرة ، وشط العرب ، من بينهم سالم الخيون زعيم قبائل المنتفك ، وبعض كبار الملاكين في البصرة[١٩٦] •

على ان الانكليز عدلوا عن ترشيح طـالب باشا لرئاسة الوزارة ، وقرروا اختيار عبدالرحمن الكيلاني[١٩٧] ، عميد أكبر العائلات الاقطاعية الثرية في بغداد • وكان هذا الترشيح ملائما جـدا لهم ، لان الكيلاني يمثل أقصى الجناح اليميني للاقطاعيين العراقيين • ففي عهـد السلطان عبدالحميد الثاني ، كان هذا أحد قادة الاقطاع المساندين للحكومة العثمانية • وبعد الثورة التركية الاولى عام ١٩٠٨ ، وقف الكيلاني بحزم ضد الاصلاح الجزئي الذي اجري في تركيا • ثم أصبح مؤيدا للانكليز بعد احتـلالهم للعراق • ومع ذلك فانـه لم يجاهر بموقفه المساند للانكليز • كما كان لمركز عائلته أهمية بالغة في اختياره لهـذا المنصب • فقد أشغل أخـوه

---

١٩٤ ـ خيري امين العمرى ، ص ٣٦ •
١٩٥ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥ ، ٣١ •
١٩٦ ـ ايضا ، ص ٣٩
١٩٧ ـ ايرلاند ، ص ٢٨١ •

(بير عباس سلام) منصبا دينيا كبيرا في بلوجستان الهندية . وكان أخوه الآخر (حسن أفندي) أحد كبـــار رجال الدين في أفغانستان[١٩٨] . وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان عبدالرحمن الكيلاني ، يحظى بتأييد الفئات الاقطاعية المؤيدة للانكليز في العراق ، خاصة في بغداد .

كانت خطة عبدالرحمن الكيلاني ، تقضي بالتلكؤ في قبول ذلـــك المنصب ، لاحـــراج الانكليز في تلـك الفترة ، ولم يوافق عـــلى تحمل المسؤولية ، الا بعد اسبوعين من المفاوضات . وقد كتبت (بيل) عن ذلك بصراحة ، قائلة : « لقد انصرف الجميع ، ما عدا المستر فيلبي ، حيث جئنا نحن الاثنين الى السير بيرسي ، نلهث قلقـــا . وفاجأنا السير بيرسي بقوله : حسنا لقد وافق (النقيب) أخيرا ... وقد شاركنا السير بيرسي فرحته ، وجلسنا بعد ذلك ، حوالي نصف ساعة ، ونحن ممتلئون سرورا واعجابا بالنقيب وبالمندوب السامي »[١٩٩] .

على ان الكيلاني ، بدأ يواجه صعوبات كبيرة في اختيار وزرائه . فقد رفض الاشتراك في الوزارة كل من السيد هادي القزويني ، وهـو ملاك من الحلة ، وحمدي بابان ، وحسن باجه‌جي ، وهما من الشخصيات السياسية التي لها علاقات وثيقة بالجناح اليساري للقوميين ، وخاصـــة مع جمعية (حرس الاستقلال)[٢٠٠] . وغدت (الحكومة الموقتة) تتألف من

١٩٨ ـ « تايمس » في ١٩٢٠/١١/٣٠ .
١٩٩ ـ بيل ، جـ (٢) ، ص ٥٦٨ .
٢٠٠ ـ ايرلاند ، ص ٢٨٥ .

لقد جرت مباحثات بين ممثلي (حرس الاستقلال) ، ورجال الدين وشـيوخ قبائل الفرات الاوسط ، في مسكن حمدي بابان ، في أيـــار عام ١٩٢٠ ، وتمخضت عن الاتفاق على قرار بالاعداد للثـــورة (امين سعيد ، المصدر السابق ، جـ (٢) ، القسم الثاني ، ص ٣٩) .

عناصر مغرقة في الرجعية ، ممن وهبوا أنفسهم لخدمة الاستعمار منذ أمد بعيد • وقد أشغل طالب باشا ، أهم منصب وزاري فيهـــا ، وهو منصب وزير الداخلية • أما وزارة المالية فقد اسندت الى ساسون حسقيل ، عميد أكبر العائلات المصرفية في بغداد ، واسندت وزارة التجارة الى عبداللطيف المنديل أحد كبار الملاكين والتجار في البصرة ، الذي خـدم الاستعمار البريطاني ، منذ أول عهده في العراق •ولم يهمل الانكليز العهـــديين ، حيث اختاروا ممثلهم جعفر العسكري وزيرا للدفاع(٢٠١) • واشترك في الوزارة محمد مهدي الطباطبائي ، ممثلا عن رجال الدين ، حيث أشغل وزارة المعارف والصحة • أما مناصب الوزارات بدون وزارة فقد اسندت لشيوخ القبائل ووجهاء المدن وكبار رجال الدين •

لقد شكلت الوزارة في السابع والعشرين من تشـــرين الاول عام ١٩٢٠ ، وكان أول واجب ملقى على عاتقها ، هو القضاء على الثورة(٢٠٢) •

---

٢٠١ ــ لقد تيسر لجعفر العسكري دخول العراق ، وتقديم خدماته للمستعمرين قبل الثورة • ثم عين حاكما عسكريا في حلب بسوريا ، اثناء حكم فيصل ، واضطر الى الهرب مع فيصل الى مصر ، بعد احتلال القوات الفرنسية لسوريا • وعندما امسك برسي كوكس بمقاليد الامور في العراق ، بعث اليه فيصل رسالة خاصة ، يرجـــوه فيهـــا منح العسكرى ، احد المناصب عند تشكيل حكومة الاحتلال في العراق ، لكى يستطيع الاسهام في تنظيم القوات المسلحة المحلية • (أنظر :
A.T. Wilson, P. 303; خيري امين العمرى ، ص ٩٠) •

٢٠٢ ــ وحتى قبل تشكيل الوزارة ، كان الاعضاء المشاركـــون فيها ، قد قدموا للمحتلين خدمات جليلة • فبالاضافة الى ما ذكرناه ، عن نشاط طالب باشا ضد الكتل الوطنية ، والتوفيق بين مختلـــف الفئات الاقطاعية والكومبرادوية المؤيدة للانكليز ، فان هناك عضو آخر لـ « الحكومة الموقتة » هو حسقيل ساسون ، الذي كان قد ابدى تعاونه ومساعدته لكبار اثرياء بغداد ، في الرابع عشر من تشرين الاول ، من اجل احلال (الاستقرار والسكينة) في منطقة ديالى • (بيل ، جـ[٢] ، ص ٥٦٤) •

حيث أصدر المندوب السامي ، بيانا في الثامن من تشرين الثاني ، بعد تشكيل الوزارة مباشرة ، حدد فيه واجبات المجلس الاداري والجمعية التأسيسية (التي ستستمر في مناقشة مسألة الانتخابات) ، وقد أكد في البيان قوله : « ان من يساعد المندوب السامي في الدعوة المخلصة للجمعية العمومية ، وقرارها المعلن ، يجب أن يساعد أيضا في توعية الشعب في المناطق الثائرة بضرورة اطاعة الحكومة ، لكي لا يكون ذلك عائقا لاقرار السلام والقانون والنظام[٢٠٣] .

وأصدرت الحكومة الجديدة مجموعة من القرارات ، في محاولة لانقاذ سمعتها بين الفئات القومية في البلاد . ومن تلك القرارات ما اتخذ في الجلسة المنعقدة في العاشر من تشرين الثاني ، بالاعلان عن توسط الحكومة لدى المندوب السامي البريطاني باطلاق سراح ستة وعشرين من قادة الحركة الوطنية المنفيين في هندجام ، ووافق بيرسي كوكس على ذلك ، بعد مماطلة طويلة[٢٠٤] . وقد استغلت الحكومة المصاعب التي يواجهها الثوار ، فوجهت اليهم نداءا بالقاء السلاح ، مؤكدة لهم ان أهداف الثورة قد تحققت بتشكيل الحكومة الموقتة . وأعلن جعفر العسكري ، وزير الدفاع ، وعضو العهد ، في خطاب له قائلا انه يجب على الفلاح العودة الى كوخه ، والراعي الى مرعاه . يجب وقف هدر دماء شعبنا ، ويجب على البلاد أن تجني ناتجا زراعيا جيدا . لاي سبب نجلب الخراب لقبائلنا نتيجة الحرب ، ونهلك مدننا جوعا ؟[٢٠٥] .

---

٢٠٣ ـ امين سعيد ، المصدر السابق ، ج (٢) ، القسم الثاني ، ص ٩٦ .

الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج (١) ، ص ١٩٦
٢٠٤ ـ ايرلاند ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٨ .

٢٠٥ ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

لقد انبرت الفئات المؤيدة للانكليز من الاقطاعيين والكومبرادور ، لتأييد الاجراءات التي قامت بها الحكومة الموقتة ، بعد أن كانت تساند الانكليز في السر ، ولا تجازف بالافصاح عن آرائها المعادية للشعب ، لان ذلك يعني الفضيحة ، والموت السياسي بالنسبة لها .

أما بالنسبة لقادة الثورة فقد كان لتشكيل (الحكومة الموقتة أثر بالغ عليهم ، حيث وجد بعضهم في هذا الاجراء مبررا لوقف المقاومة المسلحة ، خاصة بعد ظهور الاتجاهات الانهزامية لدى بعض أوساط الثورة ، وتكبد الثوار خسائر فادحة . الا ان معظم قادة الثورة البارزين لم يوافقوا على اجراءات الانكليز ، ورفضوا فكرة التعاون مع (الحكومة الموقتة) ، ولكنهم وجدوا ان لا مندوحة لهم في استمرار القتال ، بسبب الموقف الصعب الذي تجتازه فصائل الثوار ، نتيجة ارسال حشود جديدة لقوات العدو . وقد زاد في رغبة قادة الثورة بايقاف القتال ، ما أعلنته السلطات البريطانية من وعود بتعويضهم عن أراضيهم وأموالهم التي صودرت من قبلها .

واستمر رجال الدين في كربلا والنجف بوساطتهم بين الادارة البريطانية وقادة الثورة . وأيدهم في ذلك معظم شيوخ القبائل الثائرة[٢٠٦] . على انه بالرغم من ان الادارة البريطانية قد أعلنت في بداية تشرين الاول بأنها ترحب بأي وفد يأخذ على عاتقه التوسط بينها وبين الثوار ، الا انها رفضت جهود رجال الدين ، في التوسط ، بسبب عدائهم للسياسة البريطانية . كما ان المستعمرين فضلوا الاتفاق مع زعماء القبائل ، الذين لم يكن لهم دور بارز في قيادة الثورة ، وكانوا يبغون من وراء ذلك جر

---

٢٠٦ ـ ايرلاند ، ص ٢٧٢ ، ٢٨٨ .

قادة الثورة لاتخاذ قرار بايقاف القتال • ففي الثـاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٢٠ ، بعد بضعة أيام من تشكيل (الحكومة الموقتة) توجـه سلمان العطبان ومحمد العطبان ، شيخا قبيلة الخزاعل الى قيادة الفرقـة الخامسة والخمسين ، وأعلنا استسلامهما دون قيد أو شرط ، وقد شملتهما السلطات البريطانية بالعفو العام ، لما قدماه من خدمات جليلة منذ احتلال الانكليز للعراق حتى بداية الثورة[٢٠٧] •

وعلى اثر ذلك ، أعلن عدد آخر من قادة الثورة استسلامهم[٢٠٨] • واضطر آخرون الى تسليم أنفسهم للسلطات المحتلة ، أمثال عبدالواحـد سكر شيخ قبائل الفتلة ، التي كانت من أشجع القبائل الثائرة • وبالرغم من ان معظم الذين سلموا أنفسهم للسلطات المحتلة كانوا قد حصلوا على وعد بالعفو عنهم ، الا ان بعضهم سيقوا الى المحاكم العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن لمدد مختلفة أو بالنفي ، وحتى بالاعدام شنقا[٢٠٩] • أما القسم الاكبر من قادة الثورة ، الذين أبو الوقوع في أيدي المستعمرين ، فانهم هربوا الى سوريا والحجاز • أمثال جعفر أبو التمن ومحمد الصدر ويوسف السويدي وعلي البزركان وعلوان الياسري •

وأعلن زعماء القبائل في (سوق الشيوخ) عن استسلامهم للسلطات البريطانية ، خشية ارسال قوات عسكرية جديدة الى منطقتهم[٢١٠] • أما

---

٢٠٧ – امين سعيد ، المصدر السابق ، ج (٢) القسم الثاني ،ص٨٠
٢٠٨ – المصدر السابق •
٢٠٩ – المصدر السابق ، ص ٨٠ •
الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ص ١٢٩ •
في الحقيقة ان معظم تلك الاحكام لم تنفذ •
٢١٠ – «تايمس» في ١١/٢٥ ، ١٩٢٠/١١/٢٧
لونكريك ، ص ١٢٤ •

القبائل التي تقطن الديوانية والرميثة وشمالي السماوة ، خاصة منها قبيلة بني حجيم ، التي أشعلت الثورة ، فقد أبدت مقاومة ، ضارية في وجه قوات الاحتلال • كما فشلت جميع محاولات تلك القوات لاجتياز الخطوط الدفاعية التي أقامتها القبائل الثائرة في منطقة الامام عبدالله • كما قامت تلك القبائل بعدة عمليات للانصار في مؤخرة القوات البريطانية • ففي الحادي عشر من تشرين الثاني ، حاولت فصيلة من الثوار القيام بهجوم بالسلاح الابيض على المواقع البريطـــانية الى الشمال من السماوة • وفي الثاني عشر من هذا الشهر نظم الانصار هجوما على السماوة على ظهـــور الجياد(٢١١) •

وقـد أسرع المحتلون الانكليز الى قبـول الشروط التي وضعتهـا قبيلة بني حجيم ، بغية احلال (النظام) في البلاد ، واستئناف العمل في خط السكة الحديد بصرة ـ بغداد ، ووضع حد للهزائم التي تمنى بها قواتهم في جبهة القتال ، فقد وقع في السماوة ، في العشرين من تشرين الثاني ، على بروتوكول وقف القتال ، بعد مفاوضات متقطعة دامت فترة طويلة • ونص البروتوكول على ايقاف القتال من كلا الجانبين ، والتزام السلطات البريطانية بتشكيل حكومة وطنية في العراق • كما تعهدت بالامتناع عن جباية الضرائب لعام ١٩٢٠ ، والتعويضات عن الخسائر التي لحقت بالحكومة نتيجة العمليات الحربية • أما قبيلة بني حجيم ، فقد تعهـدت من جانبها بالمحافظة على خط السكة الحديد ، الذي يمر في أراضيها ،

٢١١ ـ «ديلي هيرالد » في ١٦/١١/١٩٢٠ •

وتسليم (٢٤٠٠) بندقية الى السلطات البريطانية[٢١٢] •

ويلاحظ ان المؤرخين ، يعتبرون العشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٠ ، وهو يوم استسلام قبيلة بني حجيم ، تاريخا لانتهاء ثورة العشرين الوطنية التحررية في جميع أنحاء العراق ، على ان النضال المسلح العفوي للثوار ، استمر حتى بعد استسلام زعماء الثورة في مختلف المناطق وحتى بعد اتفاقية السماوة في العشرين من تشرين الثاني •

* * *

معارك الجماهير الشعبية في المؤخرة

بالرغم من استسلام قيادة الثورة ، فان الجماهير الشعبية من الفلاحين والبدو الرحل وشغيلة المدن ، لم تنزع السلاح ، واستمرت في المقاومة تحت قيادة بعض صغار الشيوخ ، ومن برزوا مؤخرا في القيادة ، ورفضوا

---

٢١٢ ـ الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ص ١٦١ ، امين السابق ، ج (٢) ، القسم الثاني ، ص ٨١ • لقد كانت السلطات البريطانية مضطرة في اول الامر ، الى الامتناع عن وضع قبيلة بني حجيم ، تحت السيطرة المباشرة • فقد احتفظت هذه القبائل ، لعدة سنوات ، باستقلال ذاتي ، وبقيت كذلك حتى تشرين الثاني ١٩٢٣ ، عندما جهزت لغزوها حملة عسكرية ضخمة ، تتكون من القوات البرية والجوية والاسطول النهري البريطاني ، اضافة الى قوات الحكومة العراقية ، حيث اخضعت هذه القبيلة لسيطرة الحكومة الملكية العراقية•

(انظر : (Great Britain. Colonial Office. Special report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Nothern Ireland to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq, during the period 1920-1931. London, 1931, P. 41.

دائرة المستعمرات لبريطانيا العظمى – تقرير خاص لحكومة صاحب الجلالة لبرطانيا وشمالي ايرلندة الى مجلس عصبة الامم عن تقدم العراق خلال الفترة من ١٢٠ – ١٩٣١ ، لندن ١٩٣١، ص٤١ •

الرضوخ لشروط الاستسلام ، كما امتنعوا عن تسليم أسلحتهم ودفع الضرائب والتعويضات . وقد كتب الحسني يقول : انه بالرغم من اتفاقيات التسليم ، فان الغارات على مواقع العدو ومعاقله لم تتوقف[٢١٣] .

وفي مختلف مناطق العراق ، استمر الثوار في حرب الانصار أشهرا عديدة ، بعد استسلام كبار قادتهم ، وتمزق وحدتهم . فقد استمرت فصائل صغيرة للانصار في منطقة ديالى في المقاومة ، حتى بعد استسلام زعماء القبائل في تشرين الاول ، حيث أصبح خط السكة الحديد بين بغداد وخانقين مهددا باستمرار بهجمات الثوار . كما هاجم الثوار القوات البريطانية الواقعة على مشارف المنطقة المحتلة ، وكثيرا ما اشتبك الانصار مع الجنود الانكليز في مراكز الحراسة والمواقع العسكرية ، على امتداد خط السكة الحديد من خانقين حتى ضواحي بغداد . أي انهم ضاعفوا نشاطهم في المناطق التي يشعر فيها الانكليز بالمنعة والاطمئنان . ويعتبر قصف القوات البريطانية لمراكز الثوار بالقنابل مرات عديدة ، في نهاية تشرين الاول ، دليلا حيا لقوة حركة الانصار ، وشدة بأسها . حيث استمرت غارات الانصار على مراكز الحراسة البريطانية وخطوط التموين فيها خلال تشرين الثاني . ففي الرابع من هذا الشهر ـ مثلا ـ هاجم الانصار القوافل التجارية البريطانية المتوجهة من شهربان الى قزل رباط ، والتي كانت تحت الحراسة المشددة ، واستولوا على خمس سيارات شحن كبيرة منها[٢١٤] . ونتيجة لتلك العمليات ، لم تستطع القوات البريطانية اتخاذ الاجراءات التي من شأنها تعزيز سلطتها في تلك المناطق حتى نهاية تشرين الاول ، اذ انها لم تتمكن من احتلال مدينة (بلدروز) الا في

---

٢١٣ ـ الحسني ، المصدر السابق ، ج (١) ، ص ١٦٠ .
٢١٤ ـ « تايمس » في ١٩٢٠/١١/١١ .

الثلاثين من تشرين الاول • أما مدينة مندلي فقد صمدت في وجه قوات الاحتلال حتى العشرين من تشرين الثاني •

ولم يكن باستطاعة المحتلين الانكليز ، تبديد مقاومة الجماهيرالشعبية في تلك المنطقة ، حتى بعد احتلالها ، فقد امتنع الفلاحون وسكان المدن عن تسليم أسلحتهم ، مما دعا الى توجيه انذار اليهم ، حدد فيه اليوم السابع والعشرين من تشرين الثاني ، آخر موعد لتسليم الاسلحة • وأعلن المستعمرون انه في حالة امتناعهم عن ذلك ، فستعتبر جميع مدن وقرى وقبائل المنطقة في حالة (تمرد) ضد الحكومة[٢١٥] •

وأكدوا تصميمهم على تنفيذ الاجراءات القسرية ضد الثوار بأن أرسلوا فرقة خيالة لمساعدة القوات المسلحة المتمركزة في بلدروز[٢١٦]• وقامت القوات البريطانية في جنوب شهربان بمصادرة وسرقة المواشي في القرى التي لم تعلن ولاءها للانكليز ، مستهدفة من وراء ذلك الضغط على المواطنين لقبول شروط الاستسلام • ولم تستطع القوات البريطانية تهدئة الموقف الا في نهاية كانون الاول ، بالرغم من ان تلك المنطقة كانت تعتبر رسميا من المناطق (الهادئة) منذ بداية تشرين الاول[٢١٧] •

كما استمرت حركة الانصار شمالي خط السكة الحديد بين بغداد والفلوجة ، وفي الجزيرة وجميع مناطق الفرات الاعلى ، من الرمادي حتى الحدود السورية • وانتقلت فصائل الانصار بعد أن تركها معظم زعماؤها ، الى شمالي خط السكة الحديد في نهاية ايلول ، وكانت حسب معلومات الادارة البريطانية ، « قد قطعت الامل في القيام بعمليات موحدة مع

٢١٥ «تايمس» في ١٩٢٠/١١/٢٧ •
٢١٦ ــ «تايمس» في ١٢/٢ ، ١٩٢٠/١٢/٤ •
٢١٧ ــ «دبلى هيرالد» في ١٩٢٠/١٢/٢٢ ، «تايمس»في ١٩٢٠/١٢/٨

القبائل التي تقطن قرب الحلة »[٢١٨] • وبدأ الانصار بقصف مواقع القوات البريطانية في تلك المنطقة • ونسفوا خطوط السكة الحديد ، وهاجموا القطارات ، وقطعوا خطوط الهاتف والتلغراف • وفي ليلة الاول والثاني من تشرين الثاني ، هاجم الثوار مدينة هيت واشتبكوا مع الوحدات البريطانية في معارك دامية في شوارع المدينة ، وبعد بضعة أيام عادوا الى قصف المدينة مرة اخرى[٢١٩] • كما أظهرت قبيلة شمر ، بسالة منقطعة النظير في مقاومتها للعدو ، الذي اضطر الى مواصلة العمليات الحربية ضدها حتى عام **١٩٢١** •

وقد جرت حوادث مشابهة في اواسط الفرات وجنوبه • ففي تشرين الاول كانت غارات الانصار على خطوط السكة الحديد بغداد ــ حلة ، وبصرة ــ سماوة ، قد عرقلت نقل الجزء الاكبر من القوات العسكرية البريطانية الى مناطق القتال • اما القوات المسلحة البريطانية في منطقة الخضر ، فقد واجهت مقاومة ضارية من قبل الثوار وكثيرا ما اضطرت الى الانسحاب دون ان تحقق أي نصر في قتالها معهم • بينما راحت قناصة الانصار تقصف ثكنات الانكليز ليلا في منطقتي الكوفة والناصرية • واستمرت سيطرة الثوار على البساتين المحيطة بالكوفة حتى بداية تشرين الثاني •

وقد تميز شهر تشرين الثاني ، في هذه المنطقة ، بمعارك جديدة لفصائل متفرقة للانصار ، مع القوات البريطانية • ففي الاول من هذا الشهر ، اسقط الثوار طائرة بريطانية واحرقوها[٢٢٠] • وفي الثاني منه

---

٢١٨ ــ «تايمس» في ١٩٢٠/٩/٢٥ •

٢١٩ــ (تايمس) في ٦ــ١١ ، ١١ــ١١ــ١٩٢٠ •

٢٢٠ــ (ديلي هيرالد) في ٦ــ١١ــ١٩٢٠ ، لحسني ، المصدر السابق ، ج١ ص ١٦٠ •

تعرضت القـوات البريطانية في كربلا لقصف شديد من قبـل فصائل الانصار[٢٢١] • واستمر القتال قرب الخضر في السادس والسابع من تشرين الثاني ، حيث كانت خسائر الانكليز عـددا من القتلى وعشرين جريحا[٢٢٢] • وهاجم الثوار في الثامن من تشرين الثاني مدينة الجبير التي تبعد ثلاثة عشر كيلومترا الى الجنوب الشرقي من السماوة • ولم تستطع القوات البريطانية ايقاف هذا الهجوم الا بعـد ان تكبدت خسائر فادحة[٢٢٣] • وفي منطقة الكفل نسف الثوار جسرا له اهمية ستراتيجية كبيرة • واستمر القتال شمالي الخضر حتى نهاية تشرين الثاني ، مما دفع الانكليز الى سحق القرى الآمنة في المنطقة وازالة أي أثر لها من على سطح الارض • واستمرت الطائرات في قصف معسكرات الثوار الى الشمال من الناصرية •

وبعد ان اعلن رسميا استسلام قبائل الرميثة ، تقدمت القوات البريطانية ببطء من الحلة والسماوة ، لتلتقي ببعضها على امتداد خط السكة الحديد ، ولم تستطع الوصول الى الديوانية والرميثة الا في السادس من كانون الاول ، أي بعد اكثر من أسبوعين من اعلان هدنة السماوة •

وأخيرا استطاع الرتلان الالتقاء في منطقة الامام حمزة ، في الثاني عشر من كانون الاول ، مسيطرين بذلك على خط السكة الحديد باكمله ، من البصرة الى بغداد •

لقد انتشرت القوات البريطانية في جميع أنحاء العراق ، واستباحت بيوت المواطنين ، بحثا عن السلاح ، وقامت بتفتيش واعتقال الالوف منهم •

٢٢١ــ (تايمس) في ٦ــ١١ــ١٩٢٠ ، الحسني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٥٦ •

٢٢٢ــ (ديلي هيرالد) في ١١ــ١١ــ١٩٢٠ •

٢٢٣ــ (ديلي هيرالد) في ١٣ــ١١ــ١٩٢٠ •

ففي المنطقة الواقعة بين قناتي المسيب ، وخان المحاويل ، شمالي الحلة ، اعتقلت السلطات البريطانية في نهـاية تشرين الاول ثمانمـائة شخص ، متهمين بالاشتراك في معـارك الانصار[٢٢٤] • وقامت باحراق القـرى المتمردة ، كما أتلفت وأحرقت الحقول والمزارع ، وسرقت وقتلت المواشي ، واستولت على الوف البنادق • وحصل الانكليز على غرامات قدرت بموجب الاحصائيات الرسمية ب (٥٤) ألف جنيه استرليني[٢٢٥] • كان على القرى الثائرة المنهكة جدا ، جراء المعارك الدامية ، والعزلاء من السلاح ، ان تسلم نفسها للقوات البريطانية وللشيوخ الذين وافقوا على شروط الاستسلام ، والا فانهـا ستواجه عمليات الابادة بالجملة من قبـل المحتلين المدججـين بالسلاح[٢٢٦] • ومع ذلك فقـد استمرت عمليات الانصـار في مختلف المناطق حتى شهر آذار عام ١٩٢١ • وفي المنطقة الكردية أصبح طريق الموصل ـ زاخو مهددا بهجمات الفصـائل الصغيرة للانصار • واستمرت الاشتباكات في أربيل بين الثوار وقوات الاحتلال حتى منتصف كانون الاول ١٩٢١ • كما سيطر الثوار على ممر (سبليك) ، والمنطقة الجبلية الوعرة في راوندوز ، الا ان القوات البريطانية تمكنت اخيرا ان تسيطر على الموقف • ولم يبق في كردستان ، في بداية عام ١٩٢١ ، سوى جيوب مبعثرة لحركة الانصار •

وبالرغم من القضاء على الحركة الجماهيرية العفوية ، فان المحتلين لم يشعروا بالثقة بانفسهم ، حتى انهم لم يجازفوا عام ١٩٢١ الى اجـراء

٢٢٤ـ (تايمس) في ٢ـ١١ـ١٩٢٠ •
٢٢٥ـ كوك ، قلب الشرق الاوسط ، ص ١٩٣ فوستر ، ص ٩٣ •
٢٢٦ـ لونكريك ، ص١٢٥ •

تخفيض في قواتهم المسلحة في العراق .

وتفيد البيانات الرسمية للادارة العسكرية في بريطانيا ، في الحادي عشر من شباط عام **١٩٢١** ، انه لم يسحب من العراق سوى الوحدات العسكرية التي ارسلت الى البلاد كتعزيزات أثناء الثورة[٢٢٧] .

٢٢٧ـ (تايمس) في ١٢ـ٢ـ١٩٢١ .

الخاتمة

نتائج ثورة العشرين وأهميتها

بعد خمسة أشهر من الحرب الدموية ، استطاع المستعمرون الانكليز اخماد ثورة الفلاحين والبدو والعمال والحرفيين العراقيين ، المناضلين في سبيل حقهم في تقرير المصير • وكان عدم التكافؤ بين الاطراف المتحاربة في النواحي الاقتصادية والتكنيكية والعسكرية من أهم أسباب فشل ثورة العشرين • لقد استطاع الوطنيون العراقيون بفصائلهم الثائرة ، المجهزة بأبسط الاسلحة ، بقيادة لا تملك خبرة في قواعد الحرب الحديثة ، ان يقارعوا جيشا نظاميا مدججا بالسلاح حتى اخمص قدميه ، لأقوى دولة استعمارية في ذلك الحين ، كانت ثرواتها من الضخامة بحيث لا يمكن مقارنتها بالامكانيات المتوفرة لدى الثوار في جميع المجالات •

ومن جهة أخرى ، فان ثورة العشرين ، لم تكن على صلة ، من الناحية التنظيمية ، بالحركة التحررية في الدول الاخرى ، التي امتازت بتصاعد نضال شعوب المستعمرات ضد الاستعمار • بالاضافة الى ضعف الوحدة الوطنية في العراق ، حيث كانت معظم القبائل والفئات الدينية ، في المناطق المختلفة ، محافظة على عزلتها ، مما جعل استجابتها للثورة ، ليست في مستوى الاحداث ، وأعطى المستعمرين الانكليز سلاحا قويا لزرع الخلافات والنزاعات القومية والدينية والقبلية في البلاد • وقد أدت تلك السياسة التي اتبعها الانكليز الى اضعاف مساهمة الاكراد في ثورة العشرين ، بعد آن كان لهم دورا قيادي في الحركة الوطنية التحررية في البلاد عام ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ، حيث لم تقلل أعمال التنكيل ، التي قام بها

المحتلون الانكليز ، من مساهمتهم في الثورة ، بقدر ما اثرت الخلافات القومية التي اثارها المستعمرون بين العرب والاكراد •

كما استطاع المحتلون الانكليز استغلال الخلافات القبلية والدينية بين المواطنين العراقيين ، وتمكنوا من عزل القبائل التي تقطن حوض دجلة عن الثورة ، ووقوفها على الحياد •

لقد كانت الثورة غير معدة اعدادا جيدا ، فبالرغم من المفاوضات الطويلة بين (حرس الاستقلال) ورجال الدين وزعماء القبائل ، التي تمخضت عن تأسيس (مكتب الثورة) ، فان ثورة العشرين كانت قد بدأت بمبادرات عفوية من قبل الجماهير الشعبية • ولم تنجح جميع المحاولات من أجل توحيد فعاليات مختلف الفصائل الثائرة في خضم الثورة • وبالرغم من ان الثوار كانوا يقاتلون بشجاعة منقطعة النظير الا انهم نادرا ما انتقلوا الى مناطق بعيدة عن قراهم ، لانهم كانوا يخشون الابتعاد عن حقولهم وترك أعمالهم •

ونتيجة لذلك فقد تهيأت للمحتلين امكانيات كبيرة للحفاظ على نفوقهم في جميع الجبهات ، والقضاء على مقاومة الفصائل الثائرة كل على انفراد •

وأخيرا ، كان للمواقف السياسية لقيادة الثورة أثر كبير في تقرير مصيرها • وكان تكوين القيادة بالاساس من رجال الدين وشيوخ القبائل ، الذين لم يكن في مستطاعهم قطع علاقاتهم بالفئات الاقطاعية المؤيدة للانكليز ، حتى في مرحلة الانتصارات الباهرة التي حققتها الثورة • وكان للفئات الانهزامية نفوذ كبير في قيادة الثورة ، ففي بعض المناطق كالمنتفك ومندلي ، لعب هؤلاء دورا رئيسيا في توجيه الفصائل الثائرة ، واضعاف القوى الوطنية •

ان ثورة العشرين الوطنية التحررية ، لم تلب جميع الاهداف الملقاة على عاتق القوى الوطنية في البلاد ، فهي لم تحقق جلاء القوات الاجنبية عن البلاد ، والقضاء على الادارة البريطانية ، والاستقلال التام للعراق ، واستمر نظام الانتداب البريطاني في البلاد كما كان عليه قبل الثورة •

وقد اتخذ المستعمرون ، بعد انتهاء القتال ، عددا من الاجراءات التي من شأنها تقوية مركزهم المتزعزع • وكانوا يأملون من ذلك ، كما عبر بيرسي كوكس ، دعم الادارة البريطانية ، بتحقيق « أهداف واضحة الى حد ما »[١] •

ومن أهم تلك الاجراءات ، تنصيب الامير فيصل ، ابن حسين ، ملكا على العراق • وكانت السلطات البريطانية قد خططت لذلك ، لاول مرة ، أثناء تصاعد الثورة في البلاد ، بعد ان هرب فيصل من سوريا ، التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي • ففي أواخر تموز ، بعث المقدم ويلسون باقتراح الى حكومته ، بتنصيب فيصل على عرش العراق[٢] • وكان هذا الترشيح ملائما جدا للمحتلين الانكليز : أولا ، لان فيصل اعتبر نفسه عميدا للفئات الاقطاعية المؤيدة للانكليز في الشرق العربي • وثانيا ، لانه لا يملك علاقات واسعة في العراق ، مما يضمن اخلاصه للمستعمرين الانكليز • وثالثا ، ان الانكليز أرادوا من وراء ذلك ، استغلال سمعة فيصل باعتباره أحد قادة الثورة العربية ضد الاتراك •

لقد نفّذ المستعمرون خطتهم بتنصيب فيصل على عرش العراق ، في

---

١ ـ ايرلاند ، ص ٣٣٥ •
٢ ـ ويلسون ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ •
(تايمس) في ٥ـ٨ ، ١١ـ٨ـ١٩٢٠ • (ديلي هيرالد) في ١٢ـ٨ـ١٩٢٠ •

أواخر عام ١٩٢٠ • ففي الثامن عشر من كانون الاول ، جرى لفيصل استقبال رسمي في وزارة المستعمرات البريطانية بلندن ، وتسلم عرضا رسميا بترشيحه لعرش العراق[٣] • وأيد مؤتمر الشخصيات الاستعمارية البريطانية في الشرق الاوسط ، الذي انعقد في القاهرة في آذار عام ١٩٢١[٤] ، قرار الحكومة البريطانية بترشيح فيصل لعرش العراق •

وصل فيصل الى العراق في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٢٠ ، ولم يكن وقت وصوله محض صدفة ، اذ ان المستعمرين لم يستطيعوا تهيئة الجو الملائم لنجاح ترشيحه الا في ذلك التاريخ • حيث ابعد خصوم فيصل الذين كانوا يطمحون للفوز بعرش العراق ، الى خارج البلاد ، امثال طالب باشا ، الذي يعتبر أكثر الدعاة تعنتا ، وعبدالرحمن الكيلاني ، نقيب اشراف بغداد الذي سحب ترشيحه ، اما الامير عبدالله ، الذي اعلن عند ترشيحه ملكا على العراق في مؤتمر دمشق الذي انعقد عام ١٩٢٠ ، فانه نصب على عرش امارة الاردن • وقد هلل المغتربون من أعضاء العهد ، العائدون من سوريا ، بتنصيب فيصل ملكا على عرش العراق ، كما رحبت الصحف التي تصدرها سلطات الاحتلال ، وفئات القوميين اليمينيين بهذا الحدث •

وبالرغم من تلك الظروف التي هيأها المستعمرون الانكليز ، الا ان عميلهم استقبل ببرود عند قدومه الى العراق[٥] • ففي عدد من الاجتماعات الجماهيرية التي عقدت في بغداد ، رفعت شعارات تدعو الى عدم الاعتراف بفيصل ملكا على العراق ، الا في حالة انهاء الادارة الاجنبية ، ودعوة الهيئة التأسيسية • وقد أسرع الانكليز الى عقـــد اجتماع للمجلس الاداري ،

٣ ـ ايرلاند ، ص ٣١٠ ، أمين سعيد ، ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم ، بغداد ١٩٢٥ ، ص ٧٠ •
٤ ـ أمين سعيد ، المصدر السابق ، ص ٨١ •
٥ ـ ايرلاند ص ٣٢٨ •

اعلن فيـــه عن تنصيب فيصل على عرش العراق في الحادي عشر من تموز ١٩٢١ • وعندئذ أجرى المستعمرون استفتاء في اجتماع للشخصيات العراقية ، صودق فيه على قرار المجلس الاداري •

ومع ان المجلس الاداري كان يتكون من الاقطاعيين والكومبرادور فحسب ، الا انه مع ذلك ، لم يوافق بالاجماع على تنصيب فيصل ، حيث ارتفعت أصوات تعارض ذلك • كما ان مجلس الوجهاء في كركوك أصدر قرارا ضد ترشيح فيصل • وفي السليمانية لم يجر تصويت بالمرة حول هذا الموضوع[٦] ، بينما طالب الكثيرون في مجالس المدن الاخرى باعلان البلاد دولة جمهورية[٧] • وفي رأي بعض المراقبين ، انه لو لم يكن العراق تحت الضـــغط الاجنبي ، لرفض حتما ترشيح فيصـــل ، ولأعلـــن الجمهورية[٨] •

في الثالث والعشرين من آب عام ١٩٢١ ، نصب الامير فيصل ملكا على العراق ، في حماية حراب الانكليز • وهكذا انتهت مهزلة (انتخاب) فيصل ، التي اعدت ونفذت من قبل المستعمرين الانكليز ، متحدين بذلك رغبات الشعب العراقي ، بل والقسم الاكبر من الطبقات المستغلة في البلاد ، ولم يكن بالامكان تحقيق ذلك لولا الظروف الموقتة التي مرت بها الحركة الوطنية التحررية ، والهزال الذي أصابها ، بعد انتكاسة ثورة العشرين •

ونحن لا نرى ، ما يذهب اليه بعض المؤرخين العرب ، في أن ثورة العشرين قد حققت للشعب العراقي كل ما كان يصبو اليه[٩] ، مع انـــا

---

٦ ــ ايرلاند ، ص ٣٣٣ •

٧ ــ (تايمس) في ٢٧ــ١٢ــ١٩٢١ •

٨ ــ (تايمس) في ٢٩ــ١٢ــ١٩٢١ فيلبـــي ، ص ١٩٢ بيـــل ، عني سيدو الكوراني ، ص ٢٦ •

٩ ــ أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ، ص ٨٤ •

نؤكد ان أثر الثورة في تاريخ العراق ، كان كبيرا جدا • فقد وجهت ضربة قوية لسيادة المستعمرين الانكليز في البلاد ، وأودت بخططهم الهادفة الى ضم العراق الى الامبراطورية البريطانية •

ولقد اضطر المستعمرون الى تقديم بعض التنازلات تحت ضغط الحركة الوطنية التحررية ، حيث أسسوا في البلاد ، أجهزة محلية للدولة، بما فيها الحكومة المركزية في بغداد • وبالرغم من أن السلطات البريطانية ، كانت قد وضعت رقابة صارمة على نشاط تلك الاجهزة عن طريق المستشارين الانكليز الذين عينوا في الوزارات والبلديات ، فان مجرد الاعتراف بوجود الدولة العراقية كان قد وضع حدا للسيادة المطلقة لانكلترا في العراق •

وقد أعلن الدستور العراقي ، الذي نص على بعض الحرياتالسياسية للمواطنين ، مما هيأ بعض الامكانيات لتطور البلاد بالرغم من بقاء الاحتلال البريطاني •

وبعد فترة أسس في العراق عدد من الاحزاب السياسية اليسارية ، التي استفادت من الحرية النسبية السائدة عندئذ ، ووقفت مرارا ضد مخططات المستعمرين الانكليز ، واستغلت بذلك الهيئات التشريعية للدولة (المجلس التأسيسي والبرلمان) لتحقيق أهدافها • ونذكر بصفة خاصة المعارضة المتواصلة للاتفاقية البريطانية ـ العراقية الاستعبادية لعام ١٩٢٢ ، التي اريد بها انهاء الازمة السياسية الداخلية المستمرة في العراق ، والتي لم تفلح بمصادقة المجلس التأسيسي الا في عام ١٩٢٤ •

وبالرغم من التناقضات الكثيرة بين تلك الاحزاب ، فانها بصورة عامة ، لعبت دورا ايجابيا ، وأدت الى تماسك القوى الوطنية التحررية في

البلاد ، وقد مهدت تلك العوامل ، لتطور النضال الوطني في البلاد ، من أجل الاستقلال التام •

على ان أهم نتيجة للثورة ، هي انها دفعت الجماهير الشعبية في العراق للانتفاض ، وخوض قتال ضار ضد الاستعمار ، بتأييد الثورة البروليتارية في روسيا • ولاول مرة في تاريخ العراق ، تصبح الحركة المعادية للاستعمار ، حركة جماهيرية أصيلة ، تشمل جميع أنحاء البلاد من أقصاها الى أقصاها •

لم يقلل من أهمية الثورة ، حقيقة ان قيادة جماهير الشغيلة الثائرة ، كانت تتكون من الفئات الاقطاعية ورجال الدين ، اذ انه بالرغم من الايديولوجية الاقطاعية ـ الاكليركية لقيادة الثورة ، فان أحداثها قد امتازت بتصاعد النضال المعادي للاستعمار في البلاد •

ولثورة العشرين أهمية خاصة ، تبدو في ان (١٣٠) ألف ثائر من الفلاحين والبدو وسكان المدن ، شهروا السلاح في وجه أقوى دولة أمبريالية في ذلك الحين ، وقاتلوا قواتها المتفوقة عددا وعدة لأكثر من خمسة أشهر بشجاعة لم يسبق لها مثيل •

ولابد من القول ان ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق قد أدت الى تعميق الازمة العامة للرأسمالية ، وزعزعت النظام الاستعماري ، وأضعفت مركز المعسكر الامبريالي في محاولته لاعادة السيادة المطلقة للبرجوازية الاحتكارية في جميع أنحاء العالم ، لتهديد الثورة البروليتارية في روسيا ، وخنق الحركة الثورية لعمال وفلاحي الدول الرأسمالية • وبالرغم من ان قادة الثورة كانوا من ممثلي الطبقة الاقطاعية الا انها كانت في واقعها نضالا ثوريا أضعفت الاستعمار وقوضته •

لقد أضعفت الحركة الشعبية في العراق ، الى حد كبير ، مركز المستعمرين الانكليز في منطقة الشرق الادنى • ففي أثناء ثورة العشرين ، اضطرت القيادة البريطانية في العراق الى سحب قواتها المتمركزة في شمال غربي ايران ، التي قدر عددها ب ١٤ ـ ١٧ ألف رجل ، مما أضعف مركز الاستعمار البريطاني في ايران ، وهيأ ظروفا مناسبة لنضال الشعب الايراني ضد التدخل البريطاني في شؤون بلاده ، ووقوفه بحزم ضد الاتفاقية الانكلو ـ ايرانية الاستعبادية لعام ١٩١٩ •

ان تصاعد الحركة الوطنية التحررية في العراق خلال الاعوام من ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ، والذي تكلل بثورة العشرين ، قد كشف بأن الحركة الجماهيرية الشعبية في البلاد ، هي التي رسمت الخطوة الاولى في طريق التحول من التمرد العفوي ضد المحتلين الى النضال الواعي من أجل الحرية والاستقلال • وكانت الثورات الشعبية قبل تلك الفترة تقتصر على النضال لتحقيق أهداف عملية • كما طرحت في الاعوام (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) مسألة تحرير جميع أنحاء البلاد وتأسيس دولة عراقية مستقلة موحدة •

وبالرغم من عمق الخلافات القومية والدينية والقبلية في البلاد عندئذ ، فقد ظهرت اتجاهات تدعو الى تقارب الجماهير الشعبية لمختلف القوميات والاديان والقبائل ، وهو ما تثبته الحقائق في مبادرات المواطنين العرب والاكراد ، التي جاءت في آن واحد ، وأثرت في بعضها البعض • وبالرغم من المواقف المعادية لبعض الزعماء الدينيين والاقطاعيين ، فقد ظهرت بوادر للتعاون المتبادل بين السنة والشيعة ، خاصة في بغداد • وفي منطقة الجزيرة ، قاتل السنة من قبيلة الدليم جنبا الى جنب مع قبائل شمر طوقة الشيعية ضد المحتلين • وأخيرا فان قبائل الفرات الاوسط التي كانت حتى ذلك الحين في عداء مستمر فيما بينها ، بدأت تقاتل العدو

المشترك جنبا الى جنب مع بعضها ، وقد حدث مثل هذا التقارب لدى قبائل مختلفة في المناطق الكردية •

لقد كانت فترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ ، مهمة جدا لتعزيز ثقة الجماهير الشعبية بقدرتها على قهر المستعمرين • ففي خلال تلك الفترة ، خاصة المدة من أيار حتى آب عام ١٩٢٠ ، تمكنت الجماهير الشعبية في العراق أن تسبب خسائر فادحة للوحدات العسكرية البريطانية المختلفة ، حتى أصبح المحتلون أمام مطلب الجلاء التام عن العراق ، وجها لوجه • وفي المعارك التي جرت لتحرير السليمانية ودير الزور ، ومعركة الرميثة ، وخلال جلاء المحتلين عن مناطق الفرات الاوسط عام ١٩٢٠ ، خبر الشعب العراقي كيف يهزم قوات المستعمرين ، الذين يمتازون بقوة كبيرة، واكتسب تجربة نضالية غنية ساعدته في خوض المعارك التالية ضد الاستعمار •

في أثناء القتال ضد المستعمرين خلال الاعوام ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ ، واجهت الجماهير الشعبية أحداثا كثيرة تؤكد عدم ثبات الفئات الاقطاعية التي تزعمت الثورة ، وعدم رغبتها في قطع علاقاتها بزعماء الاقطاع والكومبرادور المؤيدين للانكليز • وظهرت أثناء الثورة علائم تدل على عدم ثقة الجماهير الشعبية تجاه طبقة الاقطاعيين • ونكل الثوار في عدد من المناطق بالعملاء السافرين للانكليز ، ففي الرابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٢٠ ، قتل الانصار شريف الفاروقي ، وهو من أبرز الشخصيات الانهزامية من القوميين العرب ، وذلك أثناء هجومهم على خط السكة الحديد بين بغداد وشرقاط وامتد الشعور بعدم الثقة الى بعض العناصر في قيادة ثورة العشرين ، ويؤكد ذلك استمرار القتال بعد استسلام

أو هـــروب زعماء الثورة ، حيث رفضت الجماهير الشعبية بحزم تسليم أسلحتها والامتناع عن حرب الانصار •

وعلى ذلك فان تصاعد الحركة الوطنية التحررية في الفترة بـــين ١٩١٨ و ١٩٢٠ ، وتكللها بثورة ١٩٢٠ ، قد أدى الى نمو الوعي الطبقي للجماهير الشعبية في العراق ، وأسرع في تعزيز تضامن قوى الحركـــة الجماهيرية الديمقراطية •

ان القوى الوطنية في العراق ، قد حافظت على التقاليد النضالية لثورة العشرين الوطنية التحررية ، التي تعتبر في رأيها حربا وطنية عظمى من أجل التحرر • كما ان الطلائع التقدمية في البلاد تنظر بتقدير بالغ الى هذه الثورة ، وتعتز بها •

وأصبحت المآثر البطولية للفلاحين وسكان المدن ، أثناء الثورة ، توحي للجماهير الشعبية في العراق ، بالاستمرار في النضال من أجل الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي • فبالرغم من التنكيل الشديد بالمساهمين في الثورة الوطنية التحررية ، فان المحتلين الانكليز لم يستطيعوا القضاء على اصرار الشعب العراقي ، ورغبته في تحقيق الاهداف العادلة التي يناضل من أجلها •

كما ان الانتفاضات التي قام بها الشعب العراقي ضد الاستعمار خلال الاعوام ١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، والانتفاضـــة الجبارة التي حدثت خلال الاعوام ١٩٣٥ ـ ١٩٣٨ ، قد سجلت أحـــداثا مجيدة في تاريخ النضال التحرري للشعب العراقي •

وبضغط من الحركة الجماهيرية الشعبية ، اضـــطر المستعمرون الانكليز عام ١٩٣٢ الى انهاء الانتداب في العراق • وبعد هزيمة الرجعية العالمية والفاشية أثناء الحرب العالمية الثانية ، واتساع الازمة العامة للاستعمار ،

والنمو الهائل لقوى المعسكر الديمقراطي بدأت تترسخ في العراق أفكار التحرر الوطني والاجتماعي بصورة متزايدة • فقد مزقت الجماهير الشعبية في العراق محاولات المستعمرين في ربط البلاد باتفاقية بورتسموث الاستعبادية مع انكلترا عام ١٩٤٨ • وفي الوقت الحاضر فان الرجعية الداخلية بالتعاون مع الفئـــات العسكرية الاستعمارية قد أفلحت موقتا في خنق الحركـــة الشعبية • وخيم على البلاد نظام اضطهاد دموي ضد المواطنين والمنظمات الوطنية وضد المناضلين من أجــل السلم والمؤيدين للصداقة مع الاتحاد السوفيتي •

وبالرغم من ارادة الشعب العراقي ، فقد قطعت الحكومة علاقاتهـــا الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي ، وانضمت الى حلف بغداد العسكري العدواني ، الذي لا تعتبره الشعوب العربية ، تهديدا للسلم في الشـــرق الادنى فحسب ، بل وتهديدا لاستغلال وحرية الدول العربية أيضا •

ان سياسة السلطة الرجعية في العراق ، تواجه مقاومة عنيدة من قبل الجماهير الشعبية ، التي تناضل من أجل الوحدة مع الدول العربية الشقيقة التي تنهج سياسة خارجية وداخلية مستقلة ، والقضـــاء على كل أشكال التدخل الاجنبي في شؤون العراق ، واحداث الاصلاحات السياسية والاجتماعية في البلاد • وقد وقف الشعب العراقي بحزم ضد العـــدوان البريطـــاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر في تشرين الاول ـ تشرين الثاني عام ١٩٥٦) ، وسادت البلاد مظاهرات صاخبة تأييدا لمصر ، حيث تعالت الاحتجاجات ضد السياسة المؤيـــدة للاستعمار التي تسلكها حكومة نوري السعيد ، ورفض معظم الضباط والجنود العراقيين الانصياع لأوامر الحكومة •

وبالرغم منَ النظام الاستبدادي الذي يسود العراق ، فان الجماهير الشعبية وجميع القوى الوطنية في العراق قد تفهمت الاثر العظيم لاكتوبر على الحياة السياسية • ومضت باصرار وثبات في نضالها العادل من أجـل الاستقلال والحرية والانتصار التام على الرجعية الداخلية والمستعمرين الاجانب • وقد نضجت في البلاد مقدمات لقيام الجماهير الشعبية ، المسلحة بالتقاليد الثورية في مقارعة الاستعمار ، بانتفاضة واسعة لبلوغ أهدافها •

مصادر الكتاب

اولا ــ وثائق الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي ، والامية الشيوعية ، ومؤلفات قادة الحزب الشيوعي

١ ــ القرارات التي اتخذها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي في مؤتمرات ، وجلسات اللجنة المركزية ج(١) ، ١٩٥٤ ٠

أ ــ مؤتمر عموم روسيا للحزب الروسي الاشتراكي الديمقراطي ٠ ص (٢٦٥ ــ ٢٨٧)

ب ــ الاجتماع الصيفي (في آب) للجنة المركزية للحزب الروسي الاشتراكي الديمقراطي مع العاملين الحزبيين ص (٣٠١ ــ ٣١٧) ٠

جـ ــ المؤتمر الثامن لعموم روسيا للحزب الروسي الاشتراكي الديمقراطي (البولشفيك) ص (٣٣٢ ــ ٣٥٣) ٠

٢ ــ لينين ف٠ي ــ من هم «اصدقاء الشعب» وكيف يقاومون الاشتراكيين الديمقراطيين المؤلفات (الطبعة الثالثة) ج(١) ص (١٨٧ ــ ٣١٣) ٠

٣ ــ لينين ف٠ي ــ موضوعات في المسألة القومية ٠ المؤلفات ج (١٩) ص (٢١٣ ــ ٢٢١)

٤ ــ لينين ف٠ي٠ ملاحظات نقدية في المسألة القومية ٠ المؤلفات ج (٢٠) ص (١ ــ ٣٤)٠

٥ ــ لينين ف٠ي ــ حق الشعب في تقرير المصير ٠ المؤلفات ، ج ، (٢٠) ، ص ٣٦٥ ــ ٤٢٤)

٦ ــ لينين ف٠ي٠ ــ الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية ٠ المؤلفات ، ج (٢٢) ، ص (١٧٣ ــ ٢٩٠) ٠

٧ ــ لينين ف٠ي حول كتيب يونيوس ٠ المؤلفات ، ج (٢٢) ، ص (٢٩١ ــ ٣٠٥) ٠

٨ ـ لينين ف ٠ ي ٠ ـ الدولة والثورة ٠ المؤلفـــات ٠ ج (٢٥)، ص (٥٣٥ ـ ٤٦٢)
٩ ـ لينين ف٠ي٠ ـ موضوعات عن الاعداد الاولى في المسألة القوميـــة ومسألة الاستعمار ٠ المؤلفات ٠ ج (٣) ، ص (١٢٢ ـ ١٢٣) ٠
١٠ ـ لينين ف جي ٠ ـ المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية من ١٩ تموز الى ٧ آب عام ١٩٢٠ ٠ خطاب في لجنة القضايا القومية والاستعمار في ٢٦ تموز ٠ المؤلفات ٠ ج (٣١) ، ص (٢١٥ ـ ٢٢١)
١٣ ـ ماوتسي تونك ـ طبقات المجتمع الصيني ٠ المؤلفات المختارة ٠ ج (١) ، ص (١٣ ـ ٣١)
١٢ ـ ماوتسي تونك ـ كيف يحدد التقسيم الطبقي في القرية ٠المؤلفات المختارة ٠ ج (١) ، ص (٢٢٩ـ٢٣٤)
١٣ ـ ماوتسي تونك ـ الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني ٠ المؤلفات المختارة ٠ ج (٣) ، ص (١٣٣ ـ ١٨٦)
١٤ ـ ماركس ك ٠ ـ رأس المال ٠ ج (١) الفصل (٢٤) ما يدعى ببداية الادخار ، ج (٣) الفصل (٤٧) نشوء الريع الرأسمالي للارض
١٥ ـ ماركس ك ٠ و انجلز ف ٠ ـ الثورة في الصين واوربا ٠ المؤلفات، ج (٩) ، ص (٣١١ ـ ٣٢٢) ٠
١٦ ـ ماركس ك٠ وانجلز ف ـ الممتلكات البريطانية في الهند ٠ المؤلفات ، ج (٩) ، ص (٣٤٦ ـ ٣٥٢)
١٧ ـ ستالين ي ٠ ف ـ كيف يفهم الحزب الاشتراكي الديمقراطي المسألة القومية ٠ المؤلفات ٠ج (١) ، ص (٣٢ ـ٥٣) ٠
١٨ ـ ستالين ي ٠ ف ـ الماركسية والمسألة القومية ٠ المؤلفـات ٠ ج (٢) ، ص (٢٩٠ ـ ٣٦٧)
١٩ ـ ستالين ي٠ف٠ ـ ثورة اكتوبر والمسألة القومية ٠ المؤلفات ٠ ج (٤) ، ص (١٥٥ ـ ١٦٧)
٢٠ ـ ستالين ي ٠ ف ٠ ـ لاتنسوا الشرق ٠ المؤلفات ٠ ج (٤) ، ص (١٧١ ـ ١٧٣) ٠
٢١ ـ ستالين ي٠ف ٠ حول المسألة القومية في يوغسلافيا ٠ المؤلفـات ٠ ج (٧) ، ص (٦٩ ـ ٧٦) ٠
٢٢ ـ ستالين ي٠ف٠ ـ المسؤوليات السياسية لجامعة شعوب الشرق ٠ المؤلفات ، ج (٧)، ص (١٣٣ ـ ٥٢)

٢٣ ـ ستالين ي • ف • ـ عودة الى المسألة القومية • المؤلفات • ج (٧)، ص (٢١٦ ـ ٢٢٦) •

٢٤ ـ ستالين ي • ف • ـ موجز لمقالة «الطبيعة الدولية لثورة اكتوبر» • المؤلفات ، ج (١٠) ص (١٦٨ ـ ١٧١) •

٢٥ ـ ستالين ي • ف • ـ الطبيعة الدولية لثورة اكتوبر • بمناسبة مرور عشر سنوات لثورة اكتوبر •المؤلفات ج (١٠) ، جي (٢٣٩ ـ ٢٥٠)

٢٦ـ ستراتيجية وتكتيك الكومينتيرن في الثورة الوطنية المعادية للاستعمار في مثال الصين ١٩٣٤ •

ثانيا ـ المصادر والوثائق والمطبوعات الرسمية ، والمذكرات ، واليوميات ومذكرات الرحالة :

١ ـ المصادر العربية :

١ ـ اسماعيل چول ـ اليزيدية قديما وحديثا ، بيروت ١٩٣٧

٢ ـ أمين الريحاني ـ ملوك العرب • رحلة في البلاد العربية • بيروت ١٩٢٥ •

٣ ـ أمين سعيد ـ الثورة العربية الكبرى • القاهرة م١و٢ (ج١ـ٢) •

٤ ـ أمين سعيد • ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم • القاهرة ١٩٣٣ •

٥ ـ حسين فوزي النجار ـ السياسة و لاستراتيجية في الشرق الاوسط • القاهرة ١٩٥٣ •

٦ ـ خيرى أمين العمري • شخصيات عراقية • بغداد ١٩٥٥ •

٧ ـ رفائيل بطي • الصحافة في العراق • المحاضرات • القاهرة ١٩٥٥

٨ ـ عبدالرحمن البزاز ـ محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال • القاهرة ١٩٥٤ •

٩ ـ عبدالرزاق الحسني ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب • صيدا ١٩٣٥ •

١٠ـ عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الوزارات العراقية م ١ـ٢ صيدا ١٩٣٣ـ١٩٣٤ •

١١ـ علي سيدو الگوراني ـ من عمان الى العمادية • جولة في كردستان الجنوبية • عمان ١٩٣٩ •

١٢ـ محمد طاهر العمري الموصلي ـ تاريخ مقدرات العراق السياسية ، م ١و٣ • بغداد ١٩٢٥ •

٢ـ المصادر الروسية :

١٣ـ بيتزنكر ـ رسالة عن كردستان • مجموعة وثائق جغرافية وطوبوغرافية واحصائية عن آسيا • سانكت ـ بتربورغ ١٩١١ •

١٤ـ ن• برينجانينوف ، الشرق والغرب • موسكو ١٩١٢ •

١٥ـ أ• ك• ايميليانوف ، الجبهة الفارسية (١٩١٥ ـ ١٩١٨) ، برلين ١٩٢٣ •

١٦ـ أ•ي•أياس ـ رحلة في شمال كردستان الفارسية • الفوج اللاتفي ـ لعقيد أياس ، أ• ي•القنصل الامبراطوري الروسي السابق في سوج ـ بولاج ، بتروغراد ١٩١٥ •

١٧ـ العقيد كارتسيف ـ نبذة عن الاكراد ـ رسائل فرع القفقاس للجمعية الروسية الامبراطورية الجغرافية • الجزء التاسع عشر ، تبليس ١٨٩٧ •

١٨ـ معلومات عن اتنوغرافية تركيا الاسيوية وجغرافيتها • تبليس ١٨٨٨

١٩ـ يا• مالوما ـ طبيعة ومنطقة حكيار • اخبار الجمعية الجغرافية الامبراطورية الروسية • قسم القفقاس • الجزء الثاني •

٢٠ـ مجموعة الرسائل القنصلية • ١٩٠٢ـ١٩٠٥ •

٢١ـ ف• سيمينوف ـ رحلة في آسيا الصغرى • الكتيبة لآلية ، الرئيس الركن سيمينوف ف•ي• (١٩٠١ـ١٩٠٢) بتربورغ ١٩٠٤ •

٢٢ـ ك• سرفادزتيانيتس ـ نبذة عن منطقة فاسبوراكانسكي والمناطق التابعة لها ـ تبليس ١٨٩٠ •

٢٣ـ تيلور ـ رحلة في كردستان • تبليس ١٨٧٣ •

٢٤ـ الرائد تروتير ـ اكراد آسيا الصغرى • تبليس ١٨٨٢ •

٢٥ـ الزيارة الى كربلاء والنجف • رحلة احد المسلمين من تفريز •

٢٦ـ خورشيد أفندى ـ وصف لرحلة عند الحدود التركية ـ الفارسية بتربورغ ١٨٧٧ •

١٧ـ ي•ي• جيريكوف ـ المجلة السياحية • ي•ي• جيريكوف ، القوميسار الوسيط الروسي في مباحثات الحدود التركية الفارسية ١٨٤٩ ـ

١٨٥٢ ، سانت – بتربورغ ١٨٧٥ ٠
٢٨ـ ب٠ي٠ شـــيلكوفنيكوف ـ القوات العسكرية والمنطقة السادســـة للوحدات التركية (ولايات بغداد والموصل والبصرة) ٠ تقرير عن اجازة في بلاد الرافدين في ١٩٠٢ـ١٩٠٣ ، ج١ ٠ الفصول (٣،٢،١) تبليس ١٩٠٤ ٠
٢٩ـ آفيريانوف ـ عرض اتنوغرافي عســـكري ســـياسي عن الممتلكات الآسيوية للامبراطورية العثمانية ٠ سانت ـ بتربورغ ١٩١٢ ٠
٣٠ـ أ٠ آدموف ـ العراق العربي ـ ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ٠ سانت ـ بتربورغ ١٩١٢ ٠
٣١ـ ي٠ بيلياكيفج ـ الحالة الاقتصادية في العراق ٠ من مجلة (سخيدي سفيت) خاركوف ١٩٢٩ ٠ العدد الثالث ٠
٣٢ـ أ٠ ل٠ بونداريفسكي ـ طريق بغداد ، وتسرب الاستعمار الالماني في الشرق الادنى (١٨٨٣ – ١٩٠٣) طشقند ١٩٥٥ ٠
٣٣ـ أ٠ گالدجيان ـ المسألة الزراعيه في العراق ٠ في مجموعة بحـــوث (المسألة الزراعية في الشرق) ، موسكو ١٩٣٣ ٠
٣٤ـ ي٠ي گولوبولودكو ـ تركيا في ماضيها وحاضرها ٠ موسكو ١٩٠٨
٣٥ـ ب٠م٠ دانتسيك ـ العراق ٠ عرض جغرافي موجز ـ موسكو ١٩٥٥ ٠
٣٦ـ ن٠ك٠ كورسون ـ الشرق العربي ٠ ج١ ـ العراق ـ موسكو ١٩٢٨
٣٧ـ ي٠د٠ ليفين ـ العراق ، بلاد ما بين النهرين الحديثة ـ موسكو ١٩٣٧
٣٨ـ ك٠ماك كوان ـ محميتنا الجديدة ٠ وصف لخصائص تركيا الاسيوية الجغرافية والاتنوغرافية والاقتصادية – موسكو ١٨٨٤
٣٩ـ أ٠د٠نوفيجيف ـ مقتطفات عن اقتصاديات تركيا ، قبل الحـــرب العالمية ٠ موسكو ـلينينغراد ١٩٣٧ ٠
٤٠ـ أ٠د٠ نوفيجيف ـ اقتصاديات تركيا خلال الحرب العالمية ٠ موسكو ـ لينينغراد ١٩٣٥ ٠
٤١ـ أ٠ي٠ برشيتس ـ الحياة الاقتصادية للقبائل الرحل في العربيـــة السعودية ٠ من مجلة (سوفيتسكايا ايتنوكرافيا) العدد الاول سنة ١٩٥٢ ٠
٤٢ـ أ٠أ٠ سيمينوف ـ جيل الشياطين لدى الاكراد في آسيا ٠ نشـــرة جامعة آسيا الوسطى التابعة للدولة رقم ١٦ ، لسنة ١٩٢٧ ٠

٤٣ـ ي٠ب٠ صون ـ الاكراد وبلادهم ٠ مترجم عن اللغة الانكليزية ومزود بملاحظات وتعليقات من قبل بيكيتين ، الذي كان يشغل منصب نائب القنصل الروسي في أورميا ٠ اورميا ١٩١٧ ٠

٤٤ـ سعيد أمين ـ الثورة العربية الكبرى ٠ ج١ القسم الثاني ٠ ترجمة مطبوعة ـ موسكو ٠

٤٥ـ المجموعة التركية (عن الاحداث في الشرق الادنى) ٠ رئيس التحرير : م٠ك٠ بكرمان ٠ بترسبورغ ١٩٠٩ ٠

٤٦ـ جعفر خياط ـ القرية العراقية ٠ موسكو ١٩٥٣ (باللغة الروسية) ٠

٤٧ـ أي٠ شولتسه ـ النزاع من أجل نفط العراق وفارس ٠ موسكو ١٩٢٤ ٠

٣ ـ المصادر الانكليزية :

(48) Bell, G.L., The letters of Gertrude Bell, vol. I-II. London, 1927.

جي٠ ايل٠ بيل ـ رسائل كرتروود بيل ٠ المجلدين الاولوالثاني ، لندن ١٩٢٧ ٠

(49) Blunt, A., Apilgrimage to Nejd, the cradle of the Arab race. A visit to the court of the Arab envir and "our persian campaigue", vol. I-II. London, 1881.

أ٠ بلنت ـ رحلة الى نجد ، مهد الجنس العربي ٠ زيارة الى محكمة أمير عربي و (حملتنا الايرانية) ٠ الجزئين الاول والثاني ٠ لندن ١٨٨١ ٠

(50) Candler, E., The long road to Baghdad. vol. II. London etco, 1919.

أي٠ كاندلر ـ الطريق الطويل الى بغداد ، المجلد الثاني ـ لندن ١٩١٩

(51) Dickson, H.R.P. The Arab of the desert. Aglimpse into badawin life in Kawait and Saudi Arabia. London, 1948.

اج٠ار٠بى٠ ديكسون ـ عبر الصحراء ، لمحة عن الحياة البدوية في الكويت والعربية السعودية ٠ لندن ١٩٤٨ ٠

(52) Egan, E.F. The war of the Cradle of the World. Mesopotamia. London, 1918.

أي٠ايف٠ ايكان ـ الحرب في مهد العالم ٠ ما بين النهرين لندن ١٩١٨

(53) Ess, J. van. Meet the Arab. New York, 1943.

جي٠فان٠ أيس ـ لقاء مع العرب ٠ نيويورك ١٩٤٣

(54) Field, H. The Yezidis of Iraq General series of Anthropology, No. 10 Menasha 1943.

ج٠ فيلد ـ اليزيديون في العراق السلسلة العامة في الانثروبولوجي٠ رقم (١٠) ٠ ميناشا ١٩٤٣

(55) Forbes, R. Conflict Angora to Afganistan. New York, 1931.

ار٠ فوربز ـ معركة انكورا الى افغانستان ٠ نيويورك ١٩٣١

(56) Geere, H.V. By Nile and Euphrater. A record of discovery and advanture. Edinburgh 1904.

اج٠في٠ كير ـ بين النيل والفرات ٠ سجل الاكتشاف والمخاطرة ٠ ادنبرة ١٩٠٤ ٠

(57) Gdubb, J.B. The story of the Arab Legion. London, 1948.

جي٠بي٠ كلوب ـ قصة الفيلق العربي ٠ لندن ١٩٤٨ ٠

(58) Great Britain - Civil Commissioner of Mesopotamia, Review of the Civil Administration of Mesopotamia. Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty. London, 1940.

بريطانيا العظمى ٠ المندوب السامي المدني في بلاد ما بين النهرين ـ عرض للادارة المدنية لبلاد ما بين النهرين مقدم الى مجلسي البرلمان بأمر من صاحب الجلالة ٠ لندن ١٩٢٠ ٠

(59) Great Britain. Colonial Office. Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period April, 1923 - December 1924. London, 1925.

بريطانيا العظمى ـ دائرة المستعمرات ٠ تقرير لحكومة صاحب الجلالة البريطانية عن ادارة العراق للمدة من نيسـان ١٩٢٣ حتى كانون الاول ١٩٢٤ ٠ لندن ١٩٢٥ ٠

60) Great Britain. Colonial Office, Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the year 1925. London, 1926.

بريطانيا العظمى ـ دائرة المستعمرات ٠ تقرير خاص لحكومة صاحب الجلالة البريطانية الى مجلس عصبة الامم عن ادارة العراق خلال عام ١٩٢٥ لندن ١٩٢٦ ٠

(61) Great Britain. Colonial Office. Special report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931. London, 1931.

بريطانيا العظمى ـ دائرة المستعمرات • تقرير خاص لحكومة صاحب الجلالة البريطانيا وشمالي ايرلندا الى مجلس عصبة الامم عن تقديم العراق خلال المدة ١٩٢٠ـ١٩٣١ • لندن ١٩٣١ •

(62) Great Britain. Foreign Office Diplomatic and Consular reports on trade and finance. London, 1890-1913.

بريطانيا العظمى ـ وزارة الخارجيـــة • التقارير الدبلوماسـية والقنصلية عن التجارة والمالية • لندن (١٨٩٠ـ١٩١٣) •

(63) Hamilton, A.M. Road through Kurdistan. The narrative of an engineer in Iraq. London, 1937.

أي•ام• هاملتون ـ الطريق خلال كردستان • تقرير لمهنـدس في العراق • لندن ١٩٣٧ •

(64) Hay, W.R. Two years in Kurdistan. Experiences of a political officer, 1918-1920. London, 1921.

دبليو• آر• هاى ـ سنتان في كردستان • تجارب ضابط سياسي ١٩١٨ـ١٩٢٠ • لندن ١٩٢١ •

(65) Hoare, S. Aflying visit to the Middle East. Cambridge, 1925.

أس• هور ـ زيارة سريعة للشرق الاوسط • كمبردج ١٩٢٥ •

ايج• سي• لوك ـ الموصل والاقليات فيها • لندن ١٩٢٣ •

(66) Luke, H.C. Mosul and its minorities. London, 1923.

تي• ليل ـ داخل وخارج بلاد ما بين النهرين لندن ١٩٢٣ •

(67) Lyell, T. The ins and outs of Mesopotamia. London, 1923.

(68) Parfit, C.J.T. Twenty years in Baghdad and Syria. Showing Germany's bid for the mastory of the East. London, 1917.

سي• جي• تي• بارفيت ـ عشرون سنة في بغداد وسوريا • تبين عرض المانيا للسيطرة على الشرق • لندن ١٩١٧ •

(69) Percy, H.A.G. Highlands of Asiatic Turkey. London, 1901.

ايج· اي· جي· برسي ــ الاراضي المرتفعة في تركيا الاسيوية ·
لندن ١٩٠١ ·

(70) Philby, H. St. J. Arabian days. An Autobiography. London, 1948.

ايج· اس· تي· جي· فيلبي ــ الايام العربية · تاريخ حياة ·
لندن ١٩٤٨ ·

(71) Philby, H. St. J. Apilgrim in Arabia. London, 1946.

ايج· اس· تي· جي· فيلبي ــ رحلة في الجزيرة العربية ·
لندن ١٩٤٦ ·

(72) Soan, E.B. To Mesopotamia and Kurdistan in disguise London, 1926.

أي· بي· صون ــ الى بلاد ما بين النهرين وكردستان في الخفاء ·
لندن ١٩٢٦ ·

(72) Stark, F. Beyond Euphrates. Autobiography 1928-1933, London, 1951.

أف· ستارك ــ فيما وراء نهر الفرات · تاريخ حياة · ١٩٢٨ــ
١٩٣٣ · لندن ١٩٥١ ·

(73) Stevens, E.S. By Tigris and Euphrates. London, 1923.

أي· اس· ستيفنس ــ حول دجلة والفرات · لندن ١٩٢٣ ·

(74) Storrs, R. The memories of sir Ronald Storrs. New York, 1937.

آر· ستورس ــ مذكرات السير رونالد ستورس · نيويورك ١٩٣٧

(75) Sykes, M. The Caliphs last feritage. A short history of the Turkish Empire. London, 1915.

أم· سيكس ــ الخليفة الاخير · تاريخ موجز للامبراطورية
التركية · لندن ١٩١٥ ·

(76) Thomas, B. Alarms and excursions in Arabia. London, 1931.

بي· توماس ــ رعب ونزهات في الجزيرة العربية · لندن ١٩١٣ ·

(77) Torossian, S. From Dardanelles to Palestine. A true story of five battle fronts of Torkey and her allies and harem romance. Boston, 1947.

اس· نوروسيان ــ من الدردنيل الى فلسطين · قصة حقيقية لخمسة
معارك لتركيا وحلفائها ، وقصة الحريم · بوستون ١٩٤٧ ·

(78) United States. Depart of State. Papers relating to the Foreign Relations of the United States. 1919 vol. XII. Washington, 1948.

حكومة الولايات المتحدة ـ وثائق تتعلق بالعلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، ١٩١٩ • المجلد الثاني عشر • واشنطن •

(79) Willcocks, W. The irrigation of Mespotamia. London, 1911.

دبليو• ويلكوكس ـ الري في بلاد ما بين النهرين • لندن ١٩١١ •

(80) Wilson, A.T. Loyalties. Mesopotamia, 1015-1917. A personal and historical record. London, 1930.

أي• تي• ويلسون ـ الولاء في بلاد ما بين النهرين ١٩١٥ـ١٩١٧ • سجل شخصي وتاريخي • لندن ١٩٣٠ •

(81) Wilson, A.T. Mesopotamia 1917-1920. A clash of loyalties. A personal and historical record. London, 1931.

أي• تي• ويلسون ـ بلاد ما بين النهرين ١٩١٧ـ١٩٢٠ • تنازع الولاء • سجل شخصي وتاريخي • لندن ١٩٣١ •

(82) Young, H. The independent Arab. London, 1933.

ايج• يونك ـ استقلال العرب • لندن ١٩٣٣ •

(83) Antonius, G. The Arab Awakening. The story of the Arab national movement. London, 1938.

جي• انطونيوس ـ النهضة العربية • قصة الحركة الوطنية العربية • لندن ١٩٣٨ •

(84) Bodley, R. and Hearts, L. Gertrude Bell, New York, 1940.

آر• بودلي وأيل هيرست ـ كيرترود بيل نيويورك ١٩٤٠ •

(85) Bonné, A. The economic development of the Middle East.. An autlin eof planned reconstruction after the war. London, 1945.

أي• بون ـ التطور الاقتصادي في الشرق الاوسط • موجز لخطط الاعمار بعد الحرب • لندن ١٩٤٥ •

(86) Bonné, A. State and economics in the Middle East. A society in transition. London, 1948.

الدولة والاقتصاد في الشرق الاوسط • المجتمع في مرحلة الانتقال • لندن ١٩٤٨ •

(87) Coke, R. Baghdad, the city ofthe peace. London, 1927.

آر· كوك ــ بغداد ، مدينة السلام · لندن ١٩٢٧ ·

(88) Coke, R. The heart of the Middle East. London, 1925.

آر· كوك ــ قلب الشرق الاوسط · لندن ١٩٢٥ ·

(89) Emin, A. Turkey in the world war. New Hafen 1930.

أي· أمين ــ تركيا اثناء الحرب العالمية · نيوهافن ١٩٣٠ ·

(90) Foster, H. The making of the Modern Iraq. Norman, 1935.

ايج· فوستر ــ بناء العراق الحديث· نورمان ١٩٣٥ ·

(91) Gordon, C. H. Lands of the Cross and Crescent. Aspects of Middle Eastern and Occidental Affairs. Ventnor, 1948.

سي· ايج· كوردون ــ اراضي الصليب والهلال · نظرة في مشاكل الشرق الاوسط وغربه · فنتنور ١٩٤٨ ·

(92) Hourani, A.H. Minorities in the Arab World. London, 1947.

أي· ايج· حوراني ــ الاقليات في العالم العربي · لندن ١٩٤٧ ·

(93) Ireland, P.W. Iraq. A study in political development. London, 1937.

بي· دبليو· ايرلاند ــ العراق · دراسة في التطـــور السياسي · لندن ١٩٣٧ ·

(94) Jamali, M.F. The new Iraq. Its problem of bedouin education. London, 1934.

ام· ايف· جمالي ــ العراق الحديث ــ مشكلة تعليم البـــدو ، لندن ١٩٣٤ ·

(95) Jawad, H. The social struction of Iraq. Jerusalem, 1945.

ايج· جواد ــ التكوين الاجتماعي للعراق · القدس ١٩٤٥ ·

(96) Loder, J. de V. The truth about Mesopotamia, Palestine and Syria. London, 1923.

جي·دي·تي· لورد الحقيقة عن بلاد ما بين النهرين وفلســطين وسوريا · لندن ١٩٢٣ ·

(97) Longrigg, S.H. Iraq, 1900 to 1950. A political, social and economic history. London etc., 1953.

اس · ايج · لونكريك ــ العراق من ١٩٠٠ الى ١٩٥٠ ، التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي · لندن ١٩٥٣ ·

(98) Main, E. Iraq from mandate to independence. London, 1935.

أي· مين ـ العراق من الانتداب الى الاستقلال لندن ١٩٣٥ ·

(99) Persian Gulf. (Handbooks prepared under the direction of the Historical section of the Foreign Office No. 76. London, 1920.

الخليج الفارسي · (كراسات معدة من قبل قسم التاريخ في وزارة الخارجية ـ رقم ٧٦ ـ لندن ١٩٢٠) ·

(100) Warriner, D. Land and poverty in the Middle East. London, 1948.

دي· ووريتر ـ الارض والفقر في الشرق الاوسط · لندن ١٩٤٨ ·

٤ ـ المصادر الالمانية :

(101) Berichte der K. und K. Osterr - ung. Konsularämter. Wien, December, 1916, Marz 1917; June 1917; August 1917.

(102) Sachau, E. Am Euphrate und Reisenotizen aus dem Winter 1897-1898. Leipzig, 1900.

(103) Cachan, E. Reise in Syrien und Mesopotamien. Leipzig, 1883.

(104) Kirchner, I. Der Nahe Oster. Brün, 1943.

(105) Martin, R. Berlin - Baghdad. Das Deutsche Weltreich in Zeitalter der Luftschiffahrt 1910-1931. Stuttgart und Leipzig, 1917.

(106) Rohrbach, P. Die Baghdadbahen. Berlin, 1911.

(107) Schäfer, C. A. Deutsche - turkische Freundschaft. Stuttgart und Berlin, 1914.

(108) Seifert, H. E. Der Auffruch in der Arabischen Welt. Berlin, 1940.

٥ ـ المصادر الفرنسية :

(109) Societé des Nations. Mandats. Note du Gouvernment Britanique sur la situation politique en Mésopotamie depuis le 1-er octobre 1920. Geneva, 1921.

٦ ـ الصحف والمجلات :

١١٠ـ (الازفستيا) موسكو من ١٩١٨ حتى ١٩١٢ ·

١١١ـ (المترجم العسكري القفقاسي) تبليس من ١٩١٠ حتى ١٩١١ ٠
١١٢ـ (كومونست) ، باكو من ١٩٢٠ حتى ١٩٢١ ٠
١١٣ـ (البرافدا) موسكو ١٩٢٠ حتى ١٩٢١ ٠

(114) "Daily Herald" London, 1919-1920.

(ديلي هيرالد) لندن من ١٩١٩ حتى ١٩٢٠ ٠

(115) "New York Times" New York, 1920.

(نيويورك تايمس) نيويورك ١٩٢٠ ٠

(116) "The Times" London, 1918-1921.

(التايمس) لندن من ١٩١٨ حتى ١٩٢١ ٠

١١٧ـ (انباء اركان حرب منطقة القفقاس) تبليس ١٩٠٥ـ١٩٠٩ ٠
١١٨ـ (نوفي فوستوك) (الشرق الجديد) موسكو ـ لينينغراد ٠
١١٩ـ (نشرة معلومات عن الدول المجاورة ، تحصل عليها المخابرات) تبليس ١٩١١ـ١٩١٣ ، رقم ١ـ٥٧ ٠

(120) "Bulletin of the School of Oriental Studies" London University, London.

(نشرة مدرسة الدراسات الشرقية) جامعة لندن ، لندن ٠

(121) "Journal of the American Oriental Society", New Haven, 1896.

(مجلة جمعية الشرق الامريكية) نيوهافن ١٨٩٦ ٠

(122) "Journal of the Central Asian Society", London, 1919-1929, vol. VI-XVI.

(مجلة الجمعية المركزية الاسيوية) لندن ١٩١٩ـ١٩٢٩ مجلدات (٦ ـ ١٦) ٠

(123) "The Geographical Journal" London, 1894-1923, Vol. III-LXI.

(المجلة الجغرافية) لندن ١٨٩٤ ـ ١٩٢٣ ٠

((124) "The Imperial and Asiatic Quarterly Review and Oriental Records", London, 1886-1907, vol. I-XXIII.

(النشرة الفصلية لانباء الامبراطورية وآسيا ، وانباء الشرق) لندن ١٨٨٦ـ١٩٠٧ ٠ المجلدات (١ـ٢٣) ٠

(125) "World News", vol I. No. 20, May, 15, 1954.

(اخبار العالم) المجلد الاول ٠ رقم (٢٠) ٠ ١٥ أيار ١٩٥٤ ٠

فهرست الاعلام

فهرست المواقع الجغرافية

الفهرست

وزارة الاعلام
مديرية الثقافة العامة

مديرية التأليف والترجمة والنشر

صدر عن سلسلة الكتب المترجمة المطبوعات التالية :

اسم الكتاب	ثمن النسخة فلس
١ ـ الاصطلاحات الموسيقية تأليف : أ· كاظم · نقله عن التركية ابراهيم الداقوقي ملحق ـ١ـ المستدرك على الاصطلاحات الموسيقية المؤلف نفسه وتعريف ابراهيم الداقوقي	١٠٠
٢ ـ رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر نقله الى العربية عن الالمانية الدكتور محمد حسين الامين · قدم له وعلق عليه السيد سالم الآلوسي	٢٠٠
٣ ـ الحياة في العراق منذ قرن للمسيو بيير دي فوصيل · نقله عن الفرنسية الدكتور أكرم فاضل	٢٠٠
٤ ـ في زنزانات اسرائيل مذكرات النقيب التركي شهاب طان : ترجمة ابراهيم الداقوقي	١٢٠
٥ ـ الاساطير في بلاد ما بين النهرين تأليف صموئيل هوك وترجمة يوسف داود عبدالقادر	١٢٥
٦ ـ التقويمان الهجري والميلادي تأليف فريمان جرنفيل · ترجمة الدكتور حسام محي الدين الآلوسي	٢٠٠
٧ ـ اصوات واشارات تأليف أ· كوندرانوف · نقله عن الانكليزية ادور يوحنا	٢٥٠

Л. Н. КОТЛОВ

НАЦИОНАЛЬНО-ОСВОБОДИТЕЛЬНОЕ ВОССТАНИЕ 1920 ГОДА В ИРАКЕ